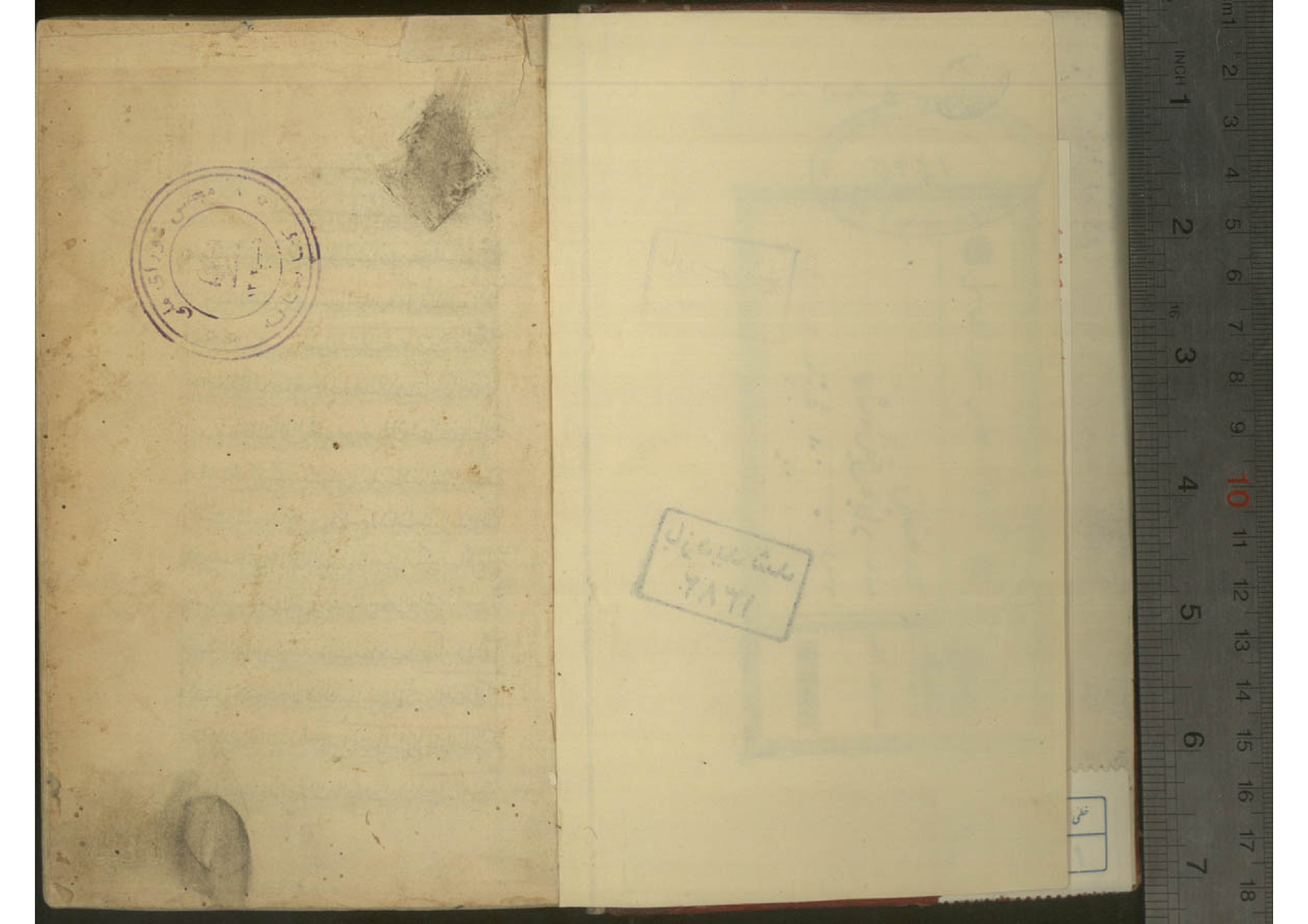


بازرسی شد
۳۷ - ۶
بازدید شد
۱۳۸۲
کتابخانه مجلس شورای ملی
۵۲۴۱
خطی - فهرست شده -
۴۹۵۳



بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الحقائق للمحسن

الحمد لله الذي نور قلوبنا بنور الايمان، وعرفنا من اسرار الحديث
والقرآن، والصلوة على محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين
المعصومين اما بعد فيقول الفقير الى الله محمد بن مرتضى المدعو بمحسن
ايده الله اني اذكر بعون الله تعالى في هذا الكتاب من اسرار الدين ما ينتفع
به من كان له قلب او القى السمع وهو شهيد من معارج اليقين وانما اخذته
من كتاب الله ثم سنة سيد المرسلين واحاديث الائمة المعصومين واضفت اليه
ما وجدت في كتب علماء الدين ولا سيما كتاب احياء العلوم الدين
لابي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي مما يصلح لان يكون بيانا للمأثور و
تفسيرا للمغابر بعبارات اتقن ومزيد متقن مؤثرا للفرائد مجتنبا سبيل الزوائد
وسميته بالحقائق ورتبته على ست مقالات في كل مقالة ابواب
وفي كل باب فصول ومن الله التأييد **المقالة الاولى** في ما هو بمنزلة الاصول
وفيها ثلثة ابواب **الباب الاول** في العلم اعلم ان السبب الكلي لخلق العالم العلوي
والسفلي وافضل ما يتقرب به الى الله العلي هو العلم قال سبحانه وهو الذي

خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا
ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وقال
شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة واولوا العلم قائما وقال انما
يخشى الله من عباده العلماء وقال هل يستوي الذين يعلمون و
الذين لا يعلمون وقال وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها
الا العالمون وفي الحديث النبوي العلماء ورثة الانبياء وفيه
اللهم ارحم خلفائي قيل يا رسول الله ومن خلفاؤك قال الذين
يأتون من بعدي يروون حديثي وسنتي وفي الحديث العلوي ان
كمال الدين طلب العلم والعمل به وان طلب العلم اوجب عليكم من طلب المال
وان المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وضمنه وسيفي
لكم والعلم مخزون عند اهله فاطلبوه وعن السجاد لو يعلم الناس
ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج وعن الباقر عليه السلام
عالم ينتفع بعلمه افضل من سبعين الف عابد وعن الصادق عليه السلام من علم
خيرا فله مثل اجر من عمل به وعن الرضا عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله
انه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فاطلبوا العلم في مظانّه

واقتبسوه من اهله فان تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة والمذاكرة
به تسبيح والعمل به جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة
الى الله تعالى لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة والمونس في
الوحشة والصاحب في الغربة والوحدة والمحدث في الخلوة والدليل
على السراء والضراء والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء
ويرفع الله تعالى به اقواما فيجعلهم في الخير قادة تقتبس اثارهم ويقتدى
بفعالهم وينتهي الى رايهم ترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها
تمسحهم وفي صلواتها تبارك عليهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس حتى
حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه ان العلم حيوة القلوب
من الجهل وضياء الابصار من الظلمة وقوة الابدان من الضعف يبلغ
به العبد منازل الاخيار ومجالس الابرار والدرجات العلى في الاخرة
والاولى الذكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله
وبه يعبد وبه توصل الارحام وبه يعرف الحلال والحرام العلم امام والعمل
تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء فطوبى لمن لم يحرمه الله
من حظه والاخبار في فضيلة العلم وشرفه اكثر من ان تحصى **فصل** اعلم

ان الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم الى ما يطلب لذاته والى ما يطلب لغيره
والى ما يطلب لذاته ولغيره وما يطلب لذاته اشرف وافضل مما يطلب لغيره
وما يطلب لذاته ولغيره اشرف مما يطلب لذاته فحسب والمطلوب لغيره كا
لدنانير والدراهم فانهما حجران لا منفعة فيهما ولولا ان الله عز وجل
يسر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصى بمنزلة واحدة والذي يطلب
لذاته كاللذات والذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فان
سلامة الرجل مطلوبة من حيث انه سلامة عن الالم ومطلوبة للمشي بها
والتوصل الى المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رايته
لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة الى سعادة الدنيا
والاخرة وذريعة الى القرب من الله فانه لا يتوصل اليها الا به واعظم
الاشياء رتبة في حق الادمي السعادة الابدية والقرب من الله وافضل
الاشياء ما هو وسيلة اليها ولا يتوصل اليها الا بالعلم والعمل ولا
يتوصل الى العمل ايضا الا بالعلم بكيفية العمل فاصل سعادة الدنيا والاخرة
هو العلم فهو اذن افضل الاشياء وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء بشرف ثمرته
وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بافق الملائكة ومقارنة

الملائكة الاعلى هذا في الآخرة واما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم
على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان اغبياء الترك واجلاف العرب
يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد
من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتمييز الانسان بكمال
مجاوز لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم باختلاف الامر فيها
فتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها الى ان ينتهي الى معرفة الله ثم بحقيقة
اليقين التي هي اصل كل معرفة صحيحة قال الصادق ع لو يعلم الناس ما في فضل
معرفة الله ما مدوا اعينهم الى ما متع به الاعداء من زهرة الحياة الدنيا
ونعيمها وكان دنياهم اقل عندهم مما يطؤنه بارجلهم ولنعموا بمعرفة الله
وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنان مع اولياء الله ان معرفة الله
انس من كل وحشة وصاحب من كل وحدة ونور من كل ظلمة وقوة من كل ضعف
وشفاء من كل سقم ثم قال قد كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون
بالمناشير وتضيق عليهم الارض برحبها فما يردهم عما هم عليه شيء مما هم فيه من
غير ترة وتروا من فعل ذلك بهم ولا اذى بل ما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز
الحميد فسلوا ربكم درجاتهم واصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم

فصل

العلم علمان علم الدنيا وعلم الآخرة وعلم الدنيا ما يرتبط به مصالح
الدنيا كالطب والحساب وعلم الآخرة علمان علم يقصد لذاته وعلم
يقصد للعمل ليتوصل به الى العلم المقصود لذاته فان اريد به الدنيا الحق بعلم
الدنيا وعلم الآخرة كله محمود واما علم الدنيا فمنه محمود ومنه مذموم اما
العلم المقصود لذاته فهو نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته عن صفاته
المذمومة فينكشف من ذلك النور امور كان يسمع من قبل اسمائها
ويتوهم لها معاني مجملة غير متضحة فيتضح له ذلك حتى يحصل له المعرفة الحقيقية بذات الله
سبحانه وبصفاته التامات بقدر الامكان وبافعاله وحكمته في
خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيب الآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة
والنبي ومعنى الامامة والامام ومعرفة معنى الوحي والالهام ومعنى
الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشيطان للانسان وكيفية
ظهور الملك للانبياء وكيفية وصول الوحي الى النبي وحديث الملك
مع الامام والمعرفة بملكوت السموات والارض ومعرفة القلب وكيفية
تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة
الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان

الشفاعة والحساب ومعنى قوله عز وجل كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا
ومعنى قوله تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء
الله عز وجل والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والمقام في جواره
ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملاء الاعلى ومقارنة الملئكة والنبيين
ومعنى تفاوت درجات اهل الجنة حتى يرى بعضهم بعضا كما يرى الكوكب
الدري في جو السماء الى غير ذلك مما يطول تفصيله فان للناس في
معاني هذه الامور بعد التصديق باصولها مقامات فبعضهم يرى
ان جميع ذلك امثلة وان الذي اعد لعباد الله الصالحين ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وانه ليس مع الخلق من الجنة الا
الصفات والاسماء وبعضهم يرى ان بعضها امثلة وبعضها يوافق
حقايقها المفهومة من الفاظها وكذا يرى بعضهم ان منتهى معرفة الله سبحانه
الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعي امورا عظيمة في المعرفة بالله عز وجل
وبعضهم يقول حد معرفة الله تعالى ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام وهو
انه سبحانه عالم قادر سميع بصير متكلم مريد فنعني بالعلم المقصود لذاته
ان يرتفع الغطاء حتى تتضح جلية الحق في هذه الامور اتضاحا يجري مجرى العيان

الذي لا شك فيه وهذا في جوهر الانسان ممكن الا ان مراة القلب
تراكم صداها وخبثها بقاذورات الدنيا فلا بد من تصقيل هذه المراة
عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه وعن معرفة صفاته و
افعاله وانما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالانبياء
والائمة عليهم السلام في جميع احوالهم فبقدر ما يتجلى من القلب ويحاذي به شطر
الحق يتلالا فيه حقايقه ولا سبيل الى ذلك الا بالتعلم والهدى والخشية والتقوى
والفطنة والذكاء وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها
من انعم الله عليه منها بشيء الا مع اهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة
وبطريق الاسرار وهذا العلم الخفي هو الذي اراده النبي ع بقوله ان من
العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله فاذا نطقوا به لم يجهله الا
اهل الاغترار بالله عز وجل ولم يتحمله الا اهل الاعتراف بالله فلا تحقروا
عالما اتاه الله علما فان الله عز وجل لم يحقره اذ اتاه اياه وعن امير المؤمنين
انه قال ان من احب عباد الله اليه عبدا اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن
وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه الى ان قال قد خلع سرابيل الشهوات
وتخلى من الهموم الا هما واحدا انفرد به فخرج عن صفة العمى ومشاركة اهل الهوى

هذا من مفاتيح ابواب الهدى ومغاليق ابواب الردى قد ابصر
طريقه وسلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره واستمسك من
العرى باوثقها ومن الحبال بامتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس
وفي كلام اخر له عليه السلام قد احيى قلبه وامات نفسه حتى دق جليله
ولطف غليظه وبرق له لامع كثير البرق فابان له الطريق وسلك به
السبيل وتدافعته الابواب الى باب السلامة ودار الاقامة وثبتت
رجلاه لطمانينة بدنه في قرار الامن والراحة بما استعمل قلبه وارضى
ربه وقال عليه السلام اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم
اضطراب الارشية في الطوى البعيدة وقال عليه السلام تعلمت من رسول الله صلى الله عليه وآله
الف باب من العلم فتفتح لي من كل الف باب وسئل كميل بن زياد النخعي عن
الحقيقة فقال عليه السلام ما لك والحقيقة قال اولست صاحب سرك قال
بلى ولكن يترشح عليك ما يطفح مني ثم اجابه عما سئل وروى كميل انه قال

قال في رواية اخرى

اخذ بيدي فاخرجني الى الجبانة فلما اصحر تنفس الصعداء ثم قال
لي يا كميل بن زياد ان هذه القلوب اوعية فخيرها اوعاها فاحفظ
عني ما اقول لك الناس ثلاثة فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة

وهمج

وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور
العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق الى ان قال ها ان ههنا لعلما جما
واشار الى صدره لو اصبت له حملة بلى اصيب لقنا غير مامون عليه مستعملا
آلة الدين للدنيا ومستظهرا بنعم الله على عباده وبحججه على اوليائه او
منقادا لحملة الحق لا بصيرة له في احنائه ينقدح الشك في قلبه لاول عارض
من شبهة الا لا ذا ولا ذاك او منهوما باللذة سلس القياد للشهوة
او مغرما بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين في شيء اقرب شيء شبها
بهما الانعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه اللهم بلى لا تخلو
الارض من قائم لله بحجة اما ظاهرا مشهورا او خائفا مغمورا لئلا
تبطل حجج الله وبيناته وكم ذا واين اولئك اولئك والله الاقلون
عددا الاعظمون قدرا بهم يحفظ الله حججه وبيناته حتى يودعوها
نظراءهم ويزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة
البصيرة وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون
وانسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها
معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه آه آه

بلى خ

شوقا الى نزهتهم وعن السجاد انه قال والله لو علم ابوذر ما في
قلب سلمان لقتله ولقد اخا رسول الله بينهما فما ظنكم بسائر
الخلق ان علم العلماء صعب مستصعب لا يحتمله الا ملك مقرب او نبي مرسل
او عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان قال وانما صار سلمان من العلماء
لانه امرؤ منا اهل البيت فلذلك نسبته الى العلماء ارادة اهل بيت التوحيد
والعلم والمعرفة والحكمة لا اهل بيت النسوان والصبيان والاهل والاولاد
وفي الحديث النبوية ايضا سلمان منا اهل البيت وفي رواية لو علم
ابوذر ما في بطن سلمان من الحكمة لكفره وفي رواية لقتله وعن السجاد
في ابيات منسوبة اليه شعر اني لاكتم من علمي جواهره كي لا يرى الحق
ذو جهل فيفتتنا وقد تقدم في هذا ابو حسن الى الحسين ووصى
قبله الحسنا يا رب جوهر علم لو ابوح به لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون اقبح ما ياتونه حسنا وعن الباقر عم
الناس كلهم بهائم الا قليل من المؤمنين قوله فقد بين ذلك
الله سبحانه ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام
بل هم اضل سبيلا وعن الصادق عليه السلام ان امرنا سر مستور في سر مقنع

بالميثاق من هتكه اذله الله وقال عليه السلام ان امرنا سر مستور في
سر وسر مستسر وسر لا يفيده الا سر وسر على سر مقنع بسر وقال عم
هو الحق وحق الحق وهو الظاهر وباطن الظاهر وباطن الباطن وهو
السر وسر السر المستسر وسر مقنع بالسر وقال عم مشيرا الى وجوب كتمان هذا
السر التقية ديني ودين ابائي من لا تقية له لا دين له وقال عم خالطوا
الناس بما يعرفون ودعوهم مما ينكرون ولا تحملوا على انفسكم وعلينا
ان امرنا صعب مستصعب لا يحتمله الا ملك مقرب او نبي مرسل او مؤمن
امتحن الله قلبه للايمان فصل واما العلم المقصود للعمل المتوسل به الى
العلم المقصود لذاته فقسمان احدهما علم الاخلاق والثاني علم الشرائع
اما علم الاخلاق فهو علم احوال القلب اما المحمود منها فكالصبر والشكر
والخوف والرجاء والتسليم والرضا والزهد والتقوى والقناعة
والسخاء والعفو والاحسان وحسن الظن وحسن المعاشرة واداء
الامانة والصدق والاخلاص ومعرفة النية في جميع الاحوال
فمعرفة حقايق هذه الاحوال وحدودها واسبابها التي بها تكتسب
وثمراتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى من علم الاخرة

واما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحسد والغش وطلب
العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر و
الرياء والغضب والانفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة
والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالفقراء
والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض
فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف والمداهنة والعجب والاشتغال
عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج
الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها الذل وضعف الانتصار
للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله في
سلب ما اعطى والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة
وطول الامل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف على
فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والاعانة منهم على الاذية
والجفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة فهذه وامثالها من
صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة واضدادها
وهي الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه

الامور

الامور وحقايقها واسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة وهو
فرض عين على من له اهلية ذلك والا فبقدر ما يحصل به صلته لا يكلف الله
نفسا الا وسعها واما علم الشرايع فهو العلم بكيفية العبادات المشروعة
من الطهارة والصلوة والزكوة والصيام والحج والجهاد والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر واسرارها والعلم بالاحكام المحدودة و
من الحلال والحرام في المكاسب والمعاملات من البيع والشراء والربا
والقرض والقراض والاجارة والشركة والمزارعة والمساقاة والرهان و
والضمان والكفالة والوكالة والوديعة والاقرار والصلح و
العطايا والبر والنكاح والفراق وقسمة المواريث والعلم بالحدود
والتعزيرات والقصاص والديات وتجهيز الاموات والعلم بآداب
الاكل والشرب واللباس والمسكن والتجهيز والضيافة والطيب والكلام
والمواخاة والمعاشرة والسفر والحقوق الى غير ذلك وهو ايضا فرض
عين بقدر الاحتياج والذكاء وفرض كفاية للفقهاء والقضاة
واما الطريق الى تحصيل هذين العلمين اعني علم الاخلاق وعلم الشرايع
فهو ما نتلو عليك فاسمع واتبع سبيل الذين هم مهتدون ولا تتبع

اهواء الذين لا يعلمون **فصل** اعلم ان كلاً من العلوم الثلثة
الاخروية يسمى بعلم الدين وعلم الفقه وتعلمه يسمى بالتفقه في الدين
قال الله عز وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين و
لينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون وقال الصادق ع
[illegible] عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا اعرابا فانه من لم يتفقه في
دين الله لم ينظر الله اليه يوم القيمة ولم يزك له عملا وقال عليه السلام ليت
السياط على رؤس اصحابي حتى يتفقهوا في الحلال والحرام وقال ع
ان اية الكذاب ان يخبرك بخبر السماء والارض والمشرق والمغرب فاذا
سئلته عن حرام الله وحلاله لم يكن عنده شيء الى غير ذلك مما في هذا المعنى
فالتفقه في الدين عبارة عن تحصيل البصيرة في المسائل الدينية علمية
كانت او عملية باطنية او ظاهرية متعلقة بالعبادات او المعاملات
فرضا معرفتها او العمل بها او سنة او ادبا وغرضنا الان بيان كيفية
هذا التحصيل فان الناس اختلفوا فيه حتى اوضحوا الجواهر في التبيين و
نحن نبينها بتأييد الله عز وجل بكشف من وجه الحق فيه النقاب بحيث لا يبقى
معه شك ولا ارتياب فنقول ان الناس كانوا في زمن الرسول ص ياخذون

العلم عنه بما يوحى اليه واما بعده فصاروا فرقتين فرقة قالوا
بالاجماع الزور في تعيين الامام وباتباع المتشابهات في العقائد
والاحكام مضافا الى المحكمات ابتغاء الفتنة وابتغاء التأويل
واختاروا المدلول قبل اختلاف الدليل وهم اصحاب ابي بكر الذين
خالفوا النبي وعمر بن الخطاب العدوي ومن تبعه وحذوهم من علمائهم
قالوا بالاجتهاد والرأي في كل شيء فيتبدل اراؤهم ويختلف وهؤلاء
ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس وانهم الا يخرصون
صنفان مجتهد ومقلد اما مجتهدهم فكيفية التفقه عنده استفراغ
الوسع في تحصيل الظن فيما يحتاج اليه الناس من العلوم الدينية
اصولية كانت او فروعية من القوانين التي وضعوها والقواعد
التي اخترعوها للاستعانة بها على الاستنباط من المتشابهات
واما مقلدهم فكيفية التفقه عنده ان ياخذ من مجتهده ما استنبطه
بنظره ولو بواسطة او وسائط وفرقة قالوا بالنص من الله عز
وجل في تعيين الامام والاقتصار على اتباع المحكمات في العقائد
والاحكام وقوفا على ما جاء به الوحي والتنزيل واتقاء عما كاد

اختبار ط

يفضي الى الضلال والتضليل وهم اصحاب امير المؤمنين علي بن
ابي طالب ع الذين لا يقولون الا على النصوص بالخصوص في كل
شيء مسلمين لامامهم الاخذ علمه من الله ومن رسوله في كل
ما القاه اليهم في شيء مطيعين لما امرهم الله تعالى حيث قال تعالى
فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وحيث قال يا ايها الذين
امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم واما ما نرى
من اجتهاد بعض متاخري اصحابنا وتدوينهم الاصول وخوضهم
في الفضول فانما ذلك لشبهة عرضت لهم من مخالفيهم كما بينا وجهه
في مسفوراتنا مع الاحتمال ان يكون بسبب حدوث فهم اولا
مصلحة راوها وقت ماشاة مع مخالفيهم راعوها لئلا يزعموا ان
دقايق العلم ليست فينا ثم صار ذلك شبهة لمن تاخر عنهم وجرت
فيهم ثم سرت في ذريتهم وعلى المقلدين فليس ذلك قادحا
في منزلتهم العليا ولاسيما لالحاقهم بالفرقة الاولى حاشاهم
عن ذلك فان لهم حقوقا جمة على الفرقة الناجية الجليلة بترويجهم
المذهب الحق بمساعيهم الجميلة ورفعهم جل التقية عن كثير من العباد

والبلاد

والبلاد فجزاهم الله عنا خير الجزاء وحشرهم مع ائمتهم يوم التناد
وهؤلاء الفرقة الثانية يرجعون الى امامهم في التفقه حين تيسر
لهم ذلك والا فهم ايضا صنفان بصير ومستبصر وبعبارة اخرى
فقيه ومتفقه وبعبارة ثالثة خاصي وعامي وان شئت فسمهما
المجتهد والمقلد فلا مشاحة في الالفاظ اما بصيرهم وهو الذي
له فهم وذكاء وقوة قدسية وزهد في الدنيا وورع في الدين
فكيفية التفقه عنده ان يتبع محكمات الكتاب والسنة ومحكمات
احاديث اهل البيت عليهم السلام مما صح عنهم فيستفهم منها ما يجب اعتقاده
وما يجب ان يعمل به ويستشهد بشواهد عقله القويم وفهمه المستقيم و
يؤيد بواردات ترد على ذهنه المصفى باعماله الصالحة المرضية
وقلبه المنور بنور اخلاقه المهذبة الزكية فان شرف العقل
بالشرع ولولاه لما عرف الشرع وكانه شرع من داخل كما ان الشرع
عقل من خارج وهما يتعاضدان ويتظاهران الى ان يصيرا كانهما
متحدان وفي الحديث ما ادى العبد فرايض الله حتى عقل عنه ولا
بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل والعقلاء

هم اولوا الالباب ولا تظنن ان خواص المؤمنين انما امنوا بالله
واليوم الاخر بجادلات المتكلمين وجادلة المجادلين هيهات هيهات
وانما عرفوا الله بمثل ما قلناه من تعاضد العقل والشرع واجتماع
النور الداخل مع النور الخارج كاجتماع نور العين مع نور الشمس
في الرؤية والى مثل هذا العقل اشير بقوله عز وجل يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يعني نور العقل والشرع وفي
الحديث ليس العلم بكثرة التعلم انما هو نور يقذفه الله في قلب من يريد
الله ان يهديه فهذا البصير ان تبين له الحكم بحيث لا شبهة فيه
فلا ريب يعتريه احد به وشكر الله وان اشتبه عليه الامر وكل علمه
الى الله والى الامام المنصوص عليه من الله وعمل فيه بالاحوط ولا
يفتي في مسئلة بالحتم والبت قال الصادق ع اما انه شر عليكم ان تقولوا
بشيء ما لم تسمعوه منا وقال ع كل علم لا يخرج من هذا البيت فهو
باطل واشار بيده الى بيته فلا يخرج من تلقاء نفسه قاعدة كلية
غير منحصرة ولا مسموعة يقطع الاختلاف فيه كقاعدة حجية خبر الواحد
او عدم حجيته على الاطلاق التي لم يحرر محل النزاع فيه قط ولم يحرر

الى غير ذلك من القوانين المسماة عند اهلها باصول الفقه
بل يطلب في كل مسئلة اهمها رواية خاصة ويجوز التعويل
عليها او دراية ناصة تطمئن النفس اليها ولا يحكم بالمتشابه الا
بالمتشابه لان المحكم فيه وكيف يجوز ان يجعل المتشابه محكما وقد جعله
الله متشابها فلا ينبغي تاويله ولا رده الى احد الطرفين كما يفعله الذي
في قلبه زيغ وذلك لان الله سبحانه جعل الامور ثلثة كما ورد
في الحديث النبوي بين رشده فيتبع وبين غيه فيجتنب ومتشابهات
بين ذلك يرد حكمها الى الله والى الراسخين في العلم العالمين بتاويله
فكيف يطلب لشيء منها حكما حكم الله فيه بالتثليث مع ان في المتشابه
ومصالح يمتحن الله بها اصناف عباده ولا يجمع ايضا بين الاخبار
المتعارضة الا بما اشار اليه المروي عنهم عليهم السلام من التفصيل الذي
ينتهي الى التخيير وبذلك ينجو البصير من الخلاف والاختلاف في القول
بالرأي والجزاف فلا اجتهاد عنده ولا رأي ولا اجماع بل ليس تعويله
الا على الروايات والدرايات والسماع ومعنى الاجماع عنده ليس الا اتفاق
قدماء الاصحاب على العمل بالنص المشهور بحيث العلم صادرا من الفرقة

معوله

حتى عند الجمهور كمسح الرجلين ونزع الخفين عند الوضوء فالاجماع
عنده تابع للنص مؤيد له لا النص مستنبط من الاجماع كما اشتهر بين
طائفة من اهل الخلاف والنزاع والبراءة في كلام الصادق عليه السلام
في خبر تعارض الاخبار خذ بالمجمع عليه بين اصحابك فان المجمع عليه
لا ريب فيه واما عوام هذه الفرقة فكيفية تفقههم ان ياخذوا
مسائلهم عن خواصهم ولو بواسطة او وسائط الا ان اليوم
اشتبه عليهم الامر غاية الاشتباه لالتباس من ليس من الخواص بالخواص
وادخالهم انفسهم في جملتهم فصار العوام حائرين بايرين لا
يهتدون الى شيء ولا يدرون بامر من ياتي فالحزم لهم ان يرجعوا
في ذلك الى قوم متدينين عارفين باهل البصيرة ليعرفوهم اياهم
فان لم يتيسر فليستفت العامي من غلب على ظنه انه منهم وانه ممن لا
يبيع دينه بدنياه فان افتاه بحكم فليسئله هل هذا الحكم في كتاب الله
او سنة رسول الله صلى الله عليه وآله او حديث احد من المعصومين عليهم السلام فان قال نعم فليعمل به
وان قال انه ليس في شيء منها بخصوصه وانما يستفاد منها بالاستنباط
وهو مما اجمعوا عليه من غير نص يلغي فيه او نحو ذلك سئل غيره حتى

لبشى

يصادف

يصادف من اجابه من القرآن والحديث بخصوص و بنصوص او اشار
له الى الاحتياط او التخيير فان عمل العامي في ذلك هو المتعين في
تلك المسئلة هذا هو الحق المبين ومذهب قدمائنا الامامية
وعليه المعول في الدين وليس لمن انتسب الى اهل البيت عليهم السلام وتسمى با
الشيعة والامامية والاثني عشرية الا الاخذ بذلك فان خرج عن هذا
الطريق الى شيء من طرق المخالفين من غير عذر فقد خرج عن صدق هذا
الانتساب وهذه التسمية على وجه وان لم يشعر بذلك ثم لا يتفطن
انّ العلم يحصل في نسبة مضمون اخبار المعصومين عليهم السلام اليهم لا بد ان يكون
كالعلم بوجودهم في الوضوح والاتقان والقوة او تواترها كتواتره والا
فهي اخبار احاد ولا تفيد الا ظنا كلّه كيف ولو زعمت ذلك فادات
لتتيقن بامامتهم لان في علمك بامامتهم ليس كقوة علمك بوجودهم
ولا تواترها كتواتره قطعا بل اذ العلم تعرف بعد ان اليقين كالظن له مراتب
في القوة والضعف وانه يزداد باذدياد دواعي العقل والشرع في اعتقاد
كل منهما بالاحزوان في الاحكام الشرعية يكتفي بما دل مراتبه مع ان اكثر
الاخبار الاحكامية ليست في القوة بادل من اخبار الامامة متنا وسندا فكل

كلا ٩ ذ

ما اطمأنت اليه النفس من الاخبار يعمل به وكل ما لم تسكن اليه فقد
في سبيله وروى في الكافي باسناده عن ابي عبد الله ع انه سئل
عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق به قال اذا ورد
عليكم حديث فوجدتم له شاهدا من كتاب الله او من قول رسول الله ص والا
فالذي جاءكم به اولى به وفيه باسناده عنه ع قال كل شيء مردود الى
الكتاب والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف وفي عيون
الاخبار عن الرضا ع في حديث طويل قال في آخره بعد ذكر العرض على
كتاب الله ثم السنة ثم التخيير والرد الى رسول الله ص وما لم تجدوه في شيء
من هذه الوجوه فردوا الينا علمه فنحن اولى بذلك ولا تقولوا فيه بآرائكم
وعليكم بالكف والتثبت والوقوف وانتم طالبون باحثون حتى يأتيكم
البيان من عندنا وقد ورد في الحث على العمل باخبارهم عليهم السلام اخبار
بلغت قريبا من مبلغ التواتر منها ما يدل على جواز الاخذ بها وان صدرت
عن تقية ومنها ما يدل على جواز العمل بها وان لم يصدر عنهم عليهم السلام
في الواقع وهو قول الصادق ع من سمع شيئا من الثواب على شيء
فصنعه كان له اجره وان لم يكن على ما بلغه وذلك لانه تسليم وطاعة

وانقياد لا لداعي غيره ولا اجتهاد وقال الصادق عليه السلام احتفظوا
بكتبكم فانه سوف تحتاجون اليها وقال المفضل بن عمر اكتب وبث علمك
في اخوانك فان مت فاورث كتبك بنيك فانه يأتي على الناس
زمان هرج لا يأنسون فيه الا بكتبهم وقال الصاحب صلوات الله
عليه واما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا فانهم
حجتي عليكم وانا حجة الله عليهم وبالجملة فقد اذنوا في الاخذ بالاخبار
والكتب بالتسليم والانقياد ولم ياذنوا في الاخذ بالآراء والاجتهاد
بل ونهوا فليس لنا الا الاتباع والاقتصار على السماع من دون ابتغاء
الدليل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل فصل ومن فضل الله
علينا ولطفه بنا وله الحمد اضعاف ما حمده الحامدون ان جعل لنا اماما
بعد امام ظاهرا فينا وان كان مستورا على اعدائنا الى ان انقضى من
الهجرة النبوية مائتان وستون سنة ثم حصل للامة بعد غيبته سفراء
الى قريب من تمام ثلاثمائة وثلاثين سنة وكان اصحابنا في هذه المدة
يأخذون مسائل الدينية ظاهرها وباطنها من معدنها على اطمينان
من قلوبهم وانشراح من صدورهم بغير قابليتهم ومرتبتهم ومنزلتهم

علوم

فاغناهم الله بذلك عن تقليد من لا يجوز تقليده فنجاهم من
حيرة الحيران وبعد انقضاء هذه المدة كانوا يرجعون الى الاصول
الماخوذة عنهم المشتملة على كثير مما يحتاج اليه الناس حتى شذ مسئلة
ضرورية لا يكون فيها حكم جزئي او كلي عنهم ع وفي قوله صدق قال
امير المؤمنين ع يا معشر شيعتنا والمنتحلين ولايتنا اياكم واصحاب
الراي فانهم اعداء السنن تفلتت منهم الاحاديث ان يحفظوها واعيتهم
السنن ان يعوها فاتخذوا عباد الله خولاً وماله دولاً فذلت لهم
الرقاب واطاعهم الخلق اشباه الكلاب ونازعوا الحق واهله
فتمثلوا بالائمة الصادقين وهم من الجهال الملاعين فسئلوا عما لا
يعلمون فانفوا ان يعترفوا بانهم لا يعلمون فعارضوا الدين بارائهم
فضلوا واضلوا اما لو كان الدين بالقياس لكان باطن الرجلين اولى
بالمسح من ظاهرهما وعن الباقر عليه السلم من افتى الناس برايه فقد
دان الله بما لا يعلم ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله حيث احل
وحرم فيما لا يعلم وعن الصادق ع انه قيل ترد علينا اشياء لا نعرفها
في كتاب ولا سنة فننظر فيها قال لا اما انك ان اصبت لم توجر وان

المعصرين الصادقين نخ

اخطأت كذبت على الله وقال امير المؤمنين ع في ذم اختلاف العلماء
في الفتيا ترد على احدهم القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها برايه
ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ثم
يجتمع القضاة بذلك عند امامهم الذي استقضاهم فيصوب
اراءهم جميعا والههم واحد وكتابهم واحد ونبيهم واحد
افامرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه ام نهاهم عنه فعصوه
ام انزل الله سبحانه دينا ناقصا فاستعان بهم على اتمامه ام كانوا
شركاء له فلهم ان يقولوا وعليه ان يرضى ام انزل الله دينا
تاما فقصر الرسول عن تبليغه وادائه والله سبحانه يقول ما
فرطنا في الكتاب من شيء وفيه تبيان لكل شيء وذكر ان الكتاب
يصدق بعضه بعضا وانه لا اختلاف فيه فقال سبحانه ولو كان
من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وان القرآن ظاهره
انيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات
الا به وعنه ع اعلموا عباد الله ان المؤمن يستحل العام ما استحل
عاما اول ويحرم العام ما حرم عاما اول وان ما احدث الناس

لا يحل لكم شيئا مما حرم الله عليكم ولكن الحلال ما احل الله والحرام
ما حرم الله. فصل واما علم الكلام فحاصل ما يشتمل عليه من الادلة
التي ينتفع بها فالقران والاخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما
فهو اما مجادلة مذمومة واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات
الفرق وتطويل بنقل المقالات التي اكثرها ترهات وهذيانات
تزدريها الطباع وتمجها الاسماع واكثرها خوض فيما لا يتعلق
بالدين ولم يكن شيء من ذلك مالوفا في العصر الاول وكان
الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن اليوم صار مما لا بد منه
حراسة لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة وانما حدث ذلك
بحدوث البدع كما حدث حاجة الانسان الى استئجار البذرقة
في طريق الحج لحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو ترك العرب
عداوتهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج فالمتكلم ان
تجرد للمناظرة ولم يسلك طريق الاخرة ولم يشتغل بتعهد القلب
واصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين اصلا اذ ليس عند المتكلم
من الدين الا العقيدة التي يشاركه سائر العوام فيها وهي من جملة

اعمال الظاهر للقلب واللسان وانما يتميز عن العامي بصنعة
المجادلة والحراسة فاما معرفة الله سبحانه وصفاته وافعاله
وجميع ما اشرنا اليه من العلوم الدينية فلا يحصل من علم الكلام
بل يكاد يكون الكلام حجابا ومانعا عنه وانما الوصول اليه بالمجاهدة
التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا قال امير المؤمنين ع من طلب الدين بالجدل تزندق
وروي ان رجلا قال للحسين بن علي ع اجلس حتى نتناظر في الدين
قال يا هذا انا بصير بديني مكشوف علي هداي فان كنت جاهلا
بدينك فاذهب فاطلبه ما لي وللمماراة وعن الباقر ع الخصومة
تمحق الدين وتحبط العمل وتورث الشك وعن الصادق ع لا يخاصم
الا شاك او من لا ورع له وعن الكاظم ع انه قال لعلي بن يقطين مر
اصحابك ان يكفوا عن السنتهم ويدعوا الخصومة في الدين و
يجتهدوا في عبادة الله عز وجل وعن الرضا ع انه سئل في مكاتبه ايهم
نهوا عن الكلام في الدين فتاول مواليك المتكلمون بانه انما نهى من
لا يحسن ان يتكلم فاما من يحسن ان يتكلم فلم ينهه فهل ذلك كما تاولوا

فكثرة الحسن وعز المحسن لا يتكلم فيه فان اثمه اكبر من نفعه **فصل**

انما منعوا من الجدال والمناظرة لان لهما آدابا وشروطا لا بد من
مراعاتها وآفات يجب التجنب عنها وقل من يهتدي اليها ويوفق
لما يجب والا فالجدال بالتي هي احسن مأمور به قال ابو محمد الحسن العسكري ع
ذكر عند الصادق ع الجدال في الدين وان رسول الله ص والائمة ع
قد نهوا عنه فقال الصادق ع لم ينه عنه مطلقا ولكنه نهى عن الجدال
بغير التي هي احسن اما تسمعون الله يقول ولا تجادلوا اهل الكتاب الا
بالتي هي احسن وقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتي هي احسن فالجدال بالتي هي احسن قد قرنه العلماء
بالدين فالجدال بغير التي هي احسن محرم حرمه الله على شيعتنا وكيف
يحرم الله الجدال جملة وهو يقول وقالوا لن يدخل الجنة الا من
كان هودا او نصارى قال الله تعالى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم
ان كنتم صادقين فجعل علم الصدق الاتيان بالبرهان وهل يؤتى
بالبرهان الا في الجدال بالتي هي احسن قيل يا ابن رسول الله فما
الجدال بالتي هي احسن والتي ليست باحسن قال اما الجدال بغير التي

احسن فان تجادل مبطلا فيورد عليك باطلا فلا ترده بحجة
قد نصبها الله تعالى ولكن تجحد قوله او تجحد حقا يريد ذلك المبطل
ان يعين به باطله فتجحد ذلك الحق مخافة ان يكون له عليك فيه
حجة لانك لا تدري كيف المخلص منه فذلك حرام على شيعتنا
ان يصيروا فتنة على ضعفاء اخوانهم وعلى المبطلين اما المبطلون
فيجعلون ضعف الضعيف منكم اذا تعاطى مجادلته وضعف ما في يده
حجة له على باطله واما الضعفاء فتغتم قلوبهم لما يرون من ضعف المحق
في يد المبطل واما الجدال بالتي هي احسن وهو ما امر الله به نبيه
ان يجادل به من جحد البعث بعد الموت واحياءه له فقال الله
له حاكيا عنه وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام و
هي رميم وقال الله في الرد عليه قل يا محمد يحييها الذي انشأها اول
مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا الى
آخر السورة فاراد الله من نبيه ان يجادل المبطل الذي قال كيف يجوز
ان يبعث هذه العظام وهي رميم فقال الله قل يحييها الذي انشأها
اول مرة افيعجز من ابتدأه لا من شيء ان يعيده بعد ان يبلى بل ابتداؤه

اصعب عندكم من اعادته ثم قال الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا
فاذا انتم منه توقدون اي اذا كمن النار الحار في الشجر الاخضر الرطب
يستخرجها فعرفكم انه على اعادة ما بلي اقدر ثم قال اوليس الذي خلق
السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم اي
اذا كان خلق السموات والارض اعظم وابعد في اوهامكم وقدركم
ان تقدروا عليه من اعادة البالي فكيف جوزتم من الله خلق هذا
الاعجب عندكم والاصعب لديكم ولم تجوزوا منه ما هو اسهل عندكم
من اعادة البالي قال الصادق ع فهذا الجدال بالتي هي احسن لان
فيها قطع عذر الكافرين وازالة شبههم واما الجدال بغير التي
هي احسن فان تجحد حقا لا يمكنك ان تفرق بينه وبين باطل من تجادله
وانما تدفعه عن باطله بان تجحد الحق فهذا هو المحرم لانك مثله جحد
هو حقا وجحدت انت حقا اخر **فصل** وللعلم النافع صفات وعلامات
واداب عن الصادق ع في قول الله تع انما يخشى الله من عباده العلماء
قال يعني بالعلماء من صدق قوله فعله ومن لم يصدق فعله قوله
فليس بعالم وعنه ع اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا

لمن تعلمونه العلم وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ولا تكونوا علماء
جبارين فيذهب باطلكم بحقكم وعن الرضا ع قال ان من علامات
الفقه الحلم والصمت وعن الصادق ع قال قال امير المؤمنين عليه السلام
الا اخبركم بالفقيه حق الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله و
لم يؤمنهم من عذاب الله ولم يرخص لهم في معاصي الله ولم يترك
القرآن رغبة عنه الى غيره الا لا خير في علم ليس فيه تفهم الا لا خير
في قراءة ليس فيها تدبر الا لا خير في عبادة لا فقه فيها الا لا خير في نسك
لا ورع فيه يعني ان الفقيه حقيقة ليس الا من يكون عالما بالمراد
من الوعد والوعيد جميعا عارفا بالمقصود من الاوامر والنواهي
جملة بملاحظة بعضها الى بعض وانما عرف الفقيه بهذه العلامات
السلبية لان اكثر من يسمى عند الجمهور بهذا الاسم في كل زمان
يكون موصوفا باضدادها فكان فيه تعريض بالعلماء السوء والفقهاء
الزور فهذا يبطل بكل علامة منها مذهبا من المذاهب الباطلة او اكثر
في الاصول والفروع فبالاولى يبطل مذهب المعتزلة القائلة بايجاب
الوعيد وتخليد صاحب الكبيرة في النار ومذهب الخوارج المضيقين في التكاليف

الشرعية وبالثانية مذهب المرجئة ومن يجري مجراهم من المغترين
بالشفاعة وصحة الاعتقاد وبالثالثة مذهب الحنابلة والاشاعرة
ومن يشبههم كالكثير المتصوفة وبالرابعة مذهب المتفلسفة الذين
اعرضوا عن القرآن واهله وحاولوا اكتساب العلم والعرفان
من كتب قدماء الفلاسفة ومذهب الحنفية الذين عملوا
بالقياس وتركوا القرآن والحديث والعلم الذي ليس فيه
نفتهم كالعلم الظني والتقليدي ومجرد حفظ الاقوال والروايات
فانها ليست بعلم في الحقيقة وعن الباقر ع انه سئل عن مسئلة
فاجاب فيها فقال الرجل ان الفقهاء لا يقولون هذا فقال له ويحك
وهل رايت فقيها قط ان الفقيه حق الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب
في الآخرة المتمسك بسنة النبي ص وعن الصادق ع قال طلبة العلم ثلاثة
فاعرفهم باعيانهم وصفاتهم صنف يطلبه للجهل والمراء وصنف يطلبه
للاستطالة والختل وصنف يطلبه للفقه والعقل فصاحب الجهل والمراء
موذ ممار متعرض للمقال في اندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم
قد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع فدق الله من هذا خيشومه وقطع

منه حيزومه وصاحب الاستطالة والختل ذو خب وملق يستطيل
على مثله من اشباهه ويتواضع للاغنياء من دونه فهو لحلوائهم
هاضم ولدينه حاطم فاعمى الله على هذا خبره وقطع من آثار العلماء
اثره وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر قد تحنك
في برنسه وقام الليل في حندسه يعمل ويخشى وجلا داعيا مشفقا
مقبلا على شانه عارفا باهل زمانه مستوحشا من اوثق اخوانه
فشد الله من هذا اركانه واعطاه يوم القيامة امانه وعن النبي ص العلماء
رجلان رجل عالم آخذ بعلمه فهذا ناج وعالم تارك لعلمه فهذا هالك
وان اهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه وان اشد
اهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبدا الى الله فاستجاب له وقبل منه
فاطاع الله فادخله الجنة وادخل الداعي النار بتركه علمه واتباعه
الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى فيصد عن الحق واما طول الامل
ينسي الآخرة وعنه ص منهومان لا يشبعان طالب الدنيا وطالب العلم
فمن اقتصر من الدنيا على ما احل الله له سلم ومن تناولها من غير حلها
هلك الا ان يتوب او يراجع ومن اخذ العلم من اهله وعمل بعلمه نجا

ومن اراد به الدنيا فهي حظه وعن السجادة مكتوب في الانجيل
لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعملوا بما علمتم فان العلم اذا لم
يعمل به لم يزدد صاحبه الا كفرا ولم يزدد من الله الا بعدا وعن الباقر
من طلب العلم ليباهي به العلماء او يماري به السفهاء او يصرف به
وجوه الناس فليتبوء مقعده من النار ان الرياسة لا تصلح الا
لاهلها وعن الصادق العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل ومن
عمل علم والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل عنه وعنه
اذا رايتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب لشيء
يحوط ما احب **فصل** ينبغي للمتعلم ان يطهر نفسه اولا من رذائل الاخلاق
ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلوة السر وقربة الباطن
الى الله فكما لا تصح الصلوة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر
من الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة
القلب بالعلم الا بعد طهارته من خبائث الاخلاق وانجاس الاوصاف
قال النبي صلعم بني الدين على النظافة وهو كذلك ظاهرا وباطنا وقال
الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير

مقصورتين على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف
الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اي باطنه ملطخ بالخبائث
والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات
الباطن اهم بالاجتناب فانها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل
ولذلك قال رسول الله صلعم لا تدخل الملئكة بيتا فيه كلب والقلب
بيت هو منزل الملئكة ومهبط اثرهم ومحل استقرارهم والصفات
الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب واخواتها
كلاب نابحة فانى تدخله الملئكة وهو مشحون بالكلاب ونور
العلم لا يقذفه الله عز وجل في القلب الا بواسطة الملئكة **فصل**
وينبغي للمعلم ان يخلص بتعليمه لله من غير طمع وان يشفق على المتعلم
وينصحه ويقتصر على قدر فهمه وان يبذل العلم لاهله ويمنع عن غير
اهله فعن الصادق قال قام عيسى بن مريم خطيبا في بني اسرائيل
فقال يا بني اسرائيل لا تحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها ولا تمنعوها
اهلها فتظلموهم وان لا يقول ما لم يعلم سئل الباقر ما حق الله
على العباد قال ان يقولوا ما يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون

الصادق ع قال ان الله خص عباده بآيتين من كتابه ان لا يقولوا
حتى يعلموا ولا يردوا ما لم يعلموا وقال الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
ان لا يقولوا على الله الا الحق وقال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما
يأتهم تأويله وعنه ع اياك وخصلتين ففيهما هلك من هلك اياك
ان تفتي الناس برايك او تدين بما لا تعلم وعن الباقر ع من افتى الناس
بغير علم ولا هدى من الله لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ولحقه
وزر من عمل بفتياه اريد بالعلم ما يستفاد من الانوار الالهية و
الالهامات الحقة كما هو للائمة عليهم السلام وبالهدى ما يسمع من اهل
بيت النبوة كما هو لنا وملائكة الرحمة الهادون لنفوس الاخيار الى مقاماتهم
في درجات الجنان وملائكة العذاب السائقون لنفوس الاشرار الى
منازلهم في دركات الجحيم والنيران وعن الصادق ع اذا سئل الرجل
منكم عما لا يعلم فليقل لا ادري ولا يقل الله اعلم فيوقع في قلب صاحبه
شكا واذا قال المسؤول لا ادري فلا يتهمه السائل فصل وينبغي لمن اراد
العبادة سبحانه ان يحصل اولا العلم بكيفية تلك العبادة من ماخذها
وماخذ العلوم جميعا اهل بيت النبوة الذين هم مهابط الوحي و ينابيع

لله

الحكمة

الحكمة الآخذون علومهم من الله سبحانه سئل الباقر ع عن قول الله تعالى
فلينظر الانسان الى طعامه قال علمه الذي ياخذه عمن ياخذه وقيل لما كان تفسيره الظاهر
لم يتعرض له وانما تعرض لتأويلها وعن النبي ص من عمل بغير علم كان ما يفسد
اكثر مما يصلح وعن الصادق ع العامل على غير بصيرة كالسائر على غير
الطريق لا يزيده سرعة السير الا بعدا والسر في ذلك ان اصلاح
القلب وتطهيره بالعبادات الجسمانية وتصفية النفس وتهذيبها
بالاعمال البدنية ليست مقصودة بالذات لانها كالاعدام للملكات
والعدم لا يكون مطلوبا الا بالعرض انما المطلوب ان ينكشف له المعارف
الحقيقية من العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر كل
بحسب عقله وفهمه على تفاوت مراتبهم في ذلك ولا ينكشف هذه المعارف
الا بان يقع ذلك الاصلاح والتطهير على وجه ماخوذ من صاحب الشرع
مع اعتقاد صحيح ولو بالسماع منه فمن اقتصر في سلوكه على مجرد العمل و
الرياضة والمجاهدة من غير بصيرة ولا معرفة فالتصفية يتعسر وبالا
عليه اذ يتجلى النفس بالخواطر الوهمية ويستولي عليها الوساوس
الشيطانية فيتشوش القلب حيث يتقدم له رياضة النفس بالعلوم الحقة

ما طعامه

والافكار الصحيحة ولم ياخذ كيفية العبادة عن صاحب الشرع وخلفائه
فينشئ بالقلب خيالات فاسدة وتصورات باطلة واوهاما كاذبة
وربما يتخيل في ذات الله سبحانه وصفاته اعتقادات فاسدة
من باب الكفر والزندقة ويزعمها صحيحة حقة نعوذ بالله منه
وربما يقتدي به غيره فيتعدى شره ويصير من الجاهلين المتكبرين
القاصمين للظهر ثم مع ذلك فقلما يخلو من اعجاب بنفسه وافتخار
بعلمه واغترار بعبادته ونظر الى سائر الناس بعين الاحتقار والازدراء
وربما يتخصص باطنه بامراض نفسانية وهو غافل عنها غير ملتفت
الى معالجتها وازالتها وربما يظن الرذائل فضائل والعيوب كمالات
كما اخبر الله سبحانه بقوله قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين
ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا قال
امير المؤمنين ع قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك
فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه وقال ع
لا يقبل الله عملا الا بمعرفة ولا معرفة الا بعمل فمن عرف دلته المعرفة
على العمل ومن لم يعمل فلا معرفة له الا ان الايمان بعضه من بعض

معناه ان كل معرفة تثمر حالا او صفاء في النفس وكل حال
يحمل صاحبه على عمل وعبادة وكل عبادة تثمر حالا اخر وصفاء
غير الاول وهو يثمر معرفة اخرى سوى الاولى وهكذا يتكامل ايمان
المرء بالمعرفة والعبادة حتى يبلغ الغاية ويخلص من التعب والمشقة
واستقر في مقام الامن والراحة واصلا الى عين اليقين ومثل
ذلك مثل من يمشي بسراج في ظلمة فكلما اضاء له من الطريق قطعة
مشى فيها فيصير ذلك المشي سببا لاضاءة قطعة اخرى منه وهكذا
وفي الحديث النبوي من علم وعمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
تنبيه قد ورد في ذم اهل البدع والاهواء والجهال المتشبهين بالعلماء
اخبار كثيرة عن ائمة الهدى ع ولنورد منها نبذا ليكون انموذجا
لما سواها فعن الصادق ع قال قال رسول الله ص اذا رايتم اهل البدع
والريب من بعدي فاظهروا البراءة منهم واكثروا من سبهم والقول
فيهم والوقيعة وباهتوهم كي لا يطمعوا في الفساد في الاسلام ويحذرهم
الناس ولا يتعلمون من بدعهم يكتب الله تعالى لكم بذلك الحسنات ويرفع
لكم به الدرجات وقال ع اذا ظهرت البدع في امتي فليظهر العالم علمه

فمن لم يفعل فعليه لعنة الله وقال ان عند كل بدعة يكون من
بعدي يكاد بها الايمان وليا من اهل بيتي موكلا به يذب عنه
ينطق بالهام من الله ويعلن الحق وينوره ويرد كيد الكايدين
يعبر عن الضعفاء فاعتبروا يا اولي الابصار وتوكلوا على الله وقال
كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وقال امير المومنين في خطبة
له انما بدء وقوع الفتن اهواء تتبع واحكام تبتدع يخالف فيها
كتاب الله يتولى فيها رجال رجالا فلو ان الباطل خلص لم يخف على
ذي حجى ولو ان الحق خلص لم يكن اختلاف ولكن يوخذ من هذا
ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معا فهنالك استحوذ
الشيطان على اوليائه ونجى الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقال
ان من ابغض الخلق الى الله عز وجل لرجلين رجل وكله الله الى نفسه فهو جائر
عن قصد السبيل مشعوف بكلام بدعة قد لهج بالصوم والصلاة
فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدى من كان قبله مضل لمن اقتدى
به في حياته وبعد موته حمال لخطايا غيره رهن بخطيئته ورجل
قمش جهلا في جهال الناس عان باغباش الفتنة قد سماه اشباه

الناس

الناس عالما ولم يغن فيه يوما سالما بكر فاستكثر ما قل منه خير
مما كثر حتى اذا ارتوى من آجن واكتنز من غير طائل جلس بين الناس
قاضيا ضامنا لتخليص ما التبس على غيره وان خالف قاضيا سبقه
لم يامن ان ينقض حكمه من ياتي بعده كفعله بمن كان قبله وان نزلت
به احدى المبهمات المعضلات هيا لها حشوا من رايه ثم قطع فهو
من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري اصاب ام اخطاء
لا يحسب العلم في شيء مما انكر ولا يرى ان وراء ما بلغ فيه مذهبا
ان قاس شيئا بشيء لم يكذب نظره وان اظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم
من جهل نفسه لكيلا يقال له لا يعلم ثم جسر فقضى فهو
مفاتيح العشوات ركاب الشبهات خباط الجهالات لا يعتذر
مما لا يعلم فيسلم ولا يعض في العلم بضرس قاطع فيغنم يذري الروايات
ذرو الريح الهشيم تبكي منه المواريث وتصرخ منه الدماء يستحل
بقضائه الفرج الحرام ويحرم بقضائه الفرج الحلال لا ملي باصدار
ما عليه ورد ولا هو اهل لما منه فرط من ادعائه علم الحق قال
الى الله اشكو من معشر يعيشون جهالا ويموتون ضلالا ليس فيهم

ابو منا الكتاب اذا تلي حق تلاوته ولا انفق سلعة واغلى ثمنا من
الكتاب اذا حرف عن مواضعه ولا عندهم انكر من المعروف ولا
اعرف من المنكر وعن الصادق عليه السلام ان اصحاب المقاييس طلبوا العلم
بالمقاييس فلم يزدهم المقاييس عن الحق الا بعدا وان دين الله لا يصاب
بالمقاييس وعن الكاظم عليه السلام من نظر برايه هلك ومن ترك كتاب الله و
نبيه كفر ولما كان غرضنا في هذا الكتاب مقصورا على حقائق العلوم
الدينية اكتفينا بذلك ولم نتعرض لازيد منه ولا للعلوم الاخر
وعن امير المؤمنين ع انه قال العلم اكثر من ان يحاط به فخذوا من كل
علم احسنه وزاد في رواية اخرى فان النحل ياكل من كل زهر ازينه
فيتولد لجوهران احدهما فيه شفاء للناس والاخر يستضاء به
ويصدق في ذلك قول الله سبحانه فبشر عبادي الذين يستمعون
القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم
اولوا الالباب **الباب الثاني** في العقائد اعلم ان العقائد لا تؤخذ
الا بوحي من الله سبحانه بواسطة الانبياء ثم الاوصياء مع ما فطر
الناس عليه من المعرفة قال الله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل

لخلق الله

لخلق الله ذلك الدين القيم فقد ورد ان المراد بها المعرفة وفي
رواية التوحيد وفي الحديث النبوي كل مولود يولد على الفطرة
فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه والفطرة في الاصل الجبلة وهي
عبارة عن العقل المطبوع الذي هو شرع من داخل كما ان الشرع عقل
من خارج فان العقل كالسراج والشرع كالزيت يمده فما لم يكن زيت
لم يشتعل السراج وما لم يكن سراج لم يضئ الزيت وايضا العقل كالبصر و
الشرع كالشعاع ولن ينفع البصر ما لم يكن شعاع من خارج ولن يغني
الشعاع ما لم يكن بصر قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله
من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه
لاقوام عزلوا عقولهم واعرضوا عن رسلهم واتبعوا اهواءهم فضلوا واضلوا
ثم ان اعقل العقلاء نبينا وان خير الشرايع شرعه وانما ارسله الله و
انزل معه الكتاب ليقوم الناس بالقسط فصدع بامر الله وهدى الخلق
الى صراط الله وارشدهم الى معرفة صانعهم وبين لهم بالبينات والبرهان
ناسب عقولهم ونبههم على ادلة وحجج يبلغ اليها افهامهم واتى
كل طايفة من ذلك بما يصلح لعقله ويفهمه من برهان وخطابة وجدال

بالتي هي احسن ومعجزة لمن له المعجزة ايضا ليكونوا على بصيرة من امرهم
وليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ثم اكمل لهم امور
دينهم بحيث لم يحتج امته الى اثار السالفين فيما بينهم وبين ربهم
من امور الدين وليس لقايل ان يقول ان ثبوت الانبياء والشرايع
يتوقف على ثبوت الصانع وصفاته الكمالية فكيف يعرف الصانع
وصفاته بالانبياء والشرايع وذلك لانه لو لم يكن صاحب هذا الكلام
والبيان مقبول القول ومعصوم الفعال لكان فيها الحجة من حيث
مطابقتها لمقتضى العقول السليمة فان براهينه هي المتبعة وبيناتها ثم
وحججه هي الملزمة على ان ما يتوقف عليه الشرع من معرفة الصانع
وصفاته يجري مجرى الضروريات التي يحكم بها كل من له ادنى مسكة
قال الله عز وجل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله فقد ثبت ان ما ورد في الشرع كاف في الاهتداء الى سبيل
الحق مع ما جبل عليه اهل السلام من العقل المطبوع فلا حاجة
الى تكلفات المتكلمين على اختلاف طبقاتهم وتشعب آرائهم و
تناقض اهوائهم في ابداء الادلة وانهاض الحجج على امور الدين

فانهم جمعوا بين الجهل وسوء الادب اما الجهل فلكونهم لم يعرفوا
موضع الدلالة فيما نصبه الحق دليلا واما سوء الادب فلانهم
له سبحانه عنادا دخلوا فيه بما يزعمونه دليلا فجعلوا انظارهم في الادلة
اتم في الدلالة مما دل عليه الحق تعالى عن ذلك فانزل الله دينا
ناقصا فاستعان بهم على اتمامه ام انزل الله دينا تاما فقصر الرسول
عن تبليغه وادائه والله سبحانه يقول ما فرطنا في الكتاب من شيء
وفيه تبيان كل شيء وقال امير المؤمنين ع القران ظاهره انيق وباطنه
عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات الا به

فصل لما ثبت ان خير هاد الى الله سبحانه نبينا ص فقد ثبت انه
من بعده لخلافة الثقلين كتاب الله وعترته المصطفين وما اوصى
امته في ذلك الا بالتمسك بهما كما استفاض به الاخبار من طرق
العامة والخاصة جميعا على اختلاف في اللفظ واتفاق في المعنى ففي
رواية اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله
وعترتي اهل بيتي فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ومعنى عدم افتراقهما
ان علم الكتاب كله هو عند العترة فمن تمسك بهم فقد تمسك بهما جميعا

وفي رواية إني امرؤ مقبوض وأوشك أن أدعى فأجيب وقد تركت

فيكم الثقلين وفي أخرى الأكبر منهما كتاب الله سبب طرف بيد الله

وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تزلوا ولا تضلوا والأصغر منهما عترتي

لا تقتلوهم ولا تقهروهم فإني سألت اللطيف الخبير أن يردا علي الحوض

فأعطاني فقاهرهما قاهري وخاذلهما خاذلي ووليهما وليي و

عدوهما عدوي وفي رواية وهما الخليفتان بعدي وسئل أمير

المؤمنين عن معنى الحديث من العترة فقال أنا والحسن والحسين

والتسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم لا يفارقون

كتاب الله ولا يفارقهم حتى يردا على رسول الله حوضه وفي رواية

من جعلهما أمامه قاداه إلى الجنة ومن جعلهما خلفه قاداه إلى النار

وفي الخبر المستفيض إن مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها

نجى ومن تخلف عنها غرق وفي الكافي عن الباقر قال قال رسول الله

أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي ثم

أمتي ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وأهل بيتي وعن الصادق عن آبائه

قال قال رسول الله أيها الناس إنكم في دار هدنة وأنتم على ظهر

ساقاه

سفر

سفر والسير بكم سريع وقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان

كل جديد ويقربان كل بعيد ويأتيان كل موعود فأعدوا الجهاز

لبعد المجاز قال فقام المقداد بن الأسود فقال يا رسول الله وما

دار الهدنة فقال دار بلاغ وانقطاع فإذا التبست عليكم الأمور

الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع وماحل

مصدق من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار

وهو الدليل يدل على خير سبيل وهو كتاب فيه تفصيل وبيان

وتحصيل وهو الفصل ليس بالهزل وله ظهر وبطن فظاهره حكم وباطنه

علم ظاهره أنيق وباطنه عميق له نجوم وعلى نجومه نجوم لا تحصى عجائبه

ولا تبلى غرائبه فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة ودليل على المعرفة

مصباح

لمن عرف الصفة فليجل جال بصره وليبلغ الصفة نظره ينج من

عطب ويتخلص من نشب فإن التفكر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في

الظلمات بالنور فعليكم بحسن التخلص وقلة التربص وعنه قال قال

رسول الله القرآن هدى من الضلالة وتبيان من العمى واستقالة

من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الأحداث وعصمة من الهلكة

رشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا الى الآخرة
وفيه كمال دينكم وما عدل احد عن القرآن الا الى النار وعن الائمة ع
من لم يعرف امرنا من القرآن لم يتنكب الفتن وعنهم عليهم السلام من اخذ دينه
من كتاب الله وسنة نبيه ص زالت الجبال قبل ان يزول ومن اخذ دينه
من افواه الرجال ردته الرجال عنه قال محمد بن يعقوب الكليني ره
بعد نقل هذا الحديث ولهذه العلة انبثقت على اهل دهرنا
بثوق هذه الاديان الفاسدة والمذاهب المستشنعة التي قد استوفت
شرائط الكفر والشرك كلها وذلك بتوفيق الله عز وجل وخذلانه
فمن اراد الله توفيقه وان يكون ايمانه ثابتا مستقرا سبب له الاسباب
التي تؤديه الى ان ياخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه ص بعلم
ويقين وبصيرة فذاك اثبت في دينه من الجبال الرواسي ومن اراد الله
خذلانه وان يكون دينه معارا مستودعا نعوذ بالله منه سبب له
الاسباب للاستحسان والتقليد والتاويل من غير علم وبصيرة فذلك
في المشية ان شاء الله تبارك وتعالى اتم ايمانه وان شاء سلبه اياه ولا
يؤمن عليه ان يصبح مؤمنا ويمسي كافرا او يمسي مؤمنا ويصبح كافرا

لانه كلما راى كبيرا من الكبراء مال معه وكلما راى شيئا استحسن ظاهره
قبله وقد قال العالم ع ان الله تعالى خلق النبيين على النبوة
فلا يكونون الا انبياء وخلق الاوصياء على الوصية فلا يكونون
الا اوصياء واعار قوما ايمانا فان شاء تممه لهم وان شاء سلبهم اياه
قال وفيهم جرى قوله فمستقر ومستودع وعن جابر بن عبد الله الانصاري
قال لما انزل الله عز وجل على نبيه ص يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم قلت يا رسول الله عرفنا الله ورسوله
فمن اولوا الامر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك فقال ع هم
خلفائي يا جابر وائمة المسلمين بعدي اولهم علي بن ابي طالب ثم الحسن
ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف في التورية بالباقر وستدركه
يا جابر فاذا لقيته فاقراه مني السلام ثم الصادق جعفر بن محمد ثم
موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن
علي ثم سميي وكنيي حجة الله في ارضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن
علي ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الارض
ومغاربها ذاك الذي يغيب عن شيعته واوليائه غيبة لا يثبت فيها

على القول بامامته الا من امتحن الله قلبه للايمان قال جابر فقلت
له يا رسول الله فهل ينتفع شيعته به في غيبته فقال اي والذي
بعثني بالنبوة انهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته
كانتفاع الناس بالشمس وان تجلاها سحاب يا جابر هذا من مكنون
سر الله ومخزون علم الله فاكتمه الا عن اهله فصل اعلم ان الناس في
فهم العقائد وقبولها على طبقات ومنازل بعضها فوق
بعض ليسوا في درجة واحدة وانما كلف الله عباده بقدر ما اعطاهم
من العقل والفهم والوسع قال الباقر ع ان المؤمنين على منازل
منهم على واحدة ومنهم على اثنين ومنهم على ثلث ومنهم على اربع
ومنهم على خمس ومنهم على ست ومنهم على سبع فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة
ثنتين لم يقو وعلى صاحب الثنتين ثلثاً لم يقو وساق الحديث
وقال الصادق ع الايمان حالات ودرجات وطبقات
ومنازل فمنه التام المنتهى تمامه ومنه الناقص البين نقصانه
ومنه الراجح الزائد رجحانه وقال ع لو علم الناس كيف خلق الله
هذا الخلق لم يلم احد احداً فينبغي ان يقدم الى الصبي في اول نشوه

ذكره

وغيره ترجمة العقائد ليحفظها حفظاً ثم لا يزال ينكشف معناه
في كبره شيئاً فشيئاً فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والايقان
والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله
على قلب الانسان ان شرحه في اول نشوه للايمان من غير حاجة الى حجة
وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مباديها
التلقين المجرد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد
التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى انه
يقبل الازالة بنقيضه لو القي اليه فلا بد من تقويته واثباته في
نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته
واثباته ان يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن
وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظائف العبادات فلا
يزال يقوى اعتقاده ويزداد رسوخاً بما يقرع سمعه من ادلة
القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الاحاديث وفوائدها
وبما يسطع عليه من انوار العبادات ووظائفها وبما يسري اليه من
مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وسماعهم وهيئاتهم في

الخضوع لله والخوف منه والاستكانة له فيكون اول التلقين كالقاء
بذر في الصدر ويكون هذه الاسباب كالسقي والتربية له حتى
ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة اصلها ثابت
وفرعها في السماء وينبغي ان يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية
الحراسة فان ما يشوشه الجدل اكثر مما يمهده وما يفسده اكثر
مما يصلحه والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا وناهيك بالعيان
برهانا فقس عقيدة اهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة
المتكلمين والمجادلين ترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود
الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس
اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تفيئه الرياح
مرة هكذا ومرة هكذا الا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا
كما تلقف نفس الاعتقاد تقليدا فلا فرق بين التقليد في تعلم الدليل
او تعلم المدلول فتلقين الدليل شيء والاستقلال بالنظر شيء اخر
بعيد عنه ثم الصبي اذا وقع نشؤه على هذه العقائد ان اشتغل بكسب
الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد الحق اذ لم يكلف الشرع

العرب اكثر من التصديق بظاهر هذه العقائد فاما البحث و
التفتيش وتكلف نظم الادلة فلم يكلفوه اصلا وان اراد ان يكون
من سالكي طريق الآخرة وكان اهلا لذلك وساعده التوفيق حتى اشتغل
بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة
والمجاهدة انفتحت له ابواب من الهداية تكشف من حقائق هذه
العقيدة بنور الهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده تعالى
اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو الجوهر النفيس الذي
هو غاية مقصد الصديقين والمقربين وله درجات بحسب درجات
المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله و
في الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق في اسرار الطب والفقه
وسائر العلوم اذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف
الفطرة في الذكاء والفطنة فكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذا هذه
واما تفصيل متعلقات العقائد للخواص وكيفية المجاهدة لهم فقد اشرنا
اليهما في الفصل الثالث من الباب الاول

فصل قال حجة الفرقة الناجية
نصير الملة والدين محمد بن الحسن الطوسي طاب ثراه اول ما يجب اعتقاده على المكلف

هو ان لا اله الا الله محمد رسول الله ثم اذا صدق الرسول فينبغي
ان يصدقه في صفات الله واليوم الآخر ويتعين الامام المعصوم كل
ذلك مما يشتمل عليه القرآن من غير مزيد وبرهان اما في صفات الله
فانه حي قادر عالم مريد متكلم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
واما في الآخرة فالايمان بالجنة والنار والصراط والميزان والحساب و
الشفاعة وغيرها ولا يجب عليه ان يبحث عن حقيقة الصفات
وان الكلام والعلم وغيرهما حادث او قديم بل لو لم يخطر هذه بباله
ومات مات مؤمناً فان غلب على قلبه شك واشكال فان امكن
ازالته بكلام قريب من الافهام وان لم يكن قوياً عند المتكلمين ولا مرضياً
فذلك كاف ولا حاجة الى تحقيق الدليل فان الدليل لا يتم الا بذكر
الشبهة والجواب ومهما ذكرت الشبهة لا يؤمن ان تتشبث بالخاطر
والقلب فيظنها حقة لقصوره عن درك جوابها اذ الشبهة قد تكون
جلية والجواب دقيقاً لا يحتمله عقله ولهذا ورد الزجر عن البحث و
التفتيش في الكلام وانما زجر ضعفاء العوام واما أئمة الدين
فلهم الخوض في غمرة الاشكالات ومنع العوام عن الكلام يجري مجرى

منع

منع الصبيان عن شاطئ دجلة خوفاً من الغرق ورخصة الاقوياء
فيه تضاهي رخصة الماهر في صنعة السباحة الا ان ههنا موضع غرور
ومزلة قدم وهو ان كل ضعيف في عقله يظن انه يقدر على ادراك
الحقائق كلها وانه من جملة الاقوياء فربما يخوضون ويغرقون في بحر
الجهالات من حيث لا يشعرون والصواب منع الخلق كلهم الا الشاذ
النادر الذي لا تسمح الاعصار الا بواحد منهم او اثنين من تجاوز
سلوك اهل العلم في الايمان بالرسل والتصديق المجمل بكل ما اخبر به
رسول الله ص فمن اشتغل بالخوض فيه فقد اوقع نفسه في شغل شاغل
اذ قال رسول الله ص حيث رأى اصحابه يخوضون بعد ان غضب حتى احمرت
وجنتاه أفبهذا امرتم تضربون كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما امركم الله
به فافعلوا وما نهيكم عنه فانتهوا فهذا تنبيه على منهج الحق وفي
الشريعة قال الصادق ع اتق الله وكن حيث شئت ومن اي قوم شئت
فانه لا خلاف لاحد في التقوى والمتقي محبوب عند كل فريق وصفة جامع
لكل خير ورشد الى ان قال فالزم ما اجمع عليه اهل الصفا والتقى من
اصول الدين وحقايق اليقين والرضا والتسليم ولا تدخل في اختلاف

الخلق ومقالاتهم فيصعب عليك وقد جمع الامام المختار بان الله واحد
ليس كمثله شيء وانه عدل في حكمه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يقال
له في شيء من صنعه لم ولا كان وكان ولا يكون شيء الا بمشيته وانه قادر على
ما يشاء صادق في وعده ووعيده وان القران كلامه وانه كان قبل
الكون والمكان والزمان وان احداثه وافناءه عنده سواء لا يزداد
باحداثه علما ولا ينقص بافنائه ملكه عز سلطانه وجل سبحانه فمن اورد
عليك ما ينقض هذا الاصل فلا تقبله وجرد باطنك لذلك تلق
بركاته وتفوز مع الفائزين فصل اعلم ان الاسرار التي يكتمها العلماء
من العوام منها ما يقصر عن دركه افهامهم ولا يبلغ اليه عقولهم وذلك
كالروح فانه من عالم الملكوت والعوام لم يتجاوز علمهم من عالم الملك فاذا
افشي اليهم يضرهم فتنة لهم قال الله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر
ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا ومنها ما هو مفهوم في نفسه لا يكل الفهم
عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين وسر القدر من هذا القبيل ولهذا
منع من افشائه ولا استبعاد في ان يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق
كما يضر نور الشمس بابصار الخفافيش وكما يضر ريح الورد بالجعل ومنها ما يكون

بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة
والرمز ليكون وقعه في قلب المستمع اغلب وله مصلحة في ان يعظم وقع ذلك
الامر في قلبه كما لو قال قائل رايت فلانا يقلد الدر في اعناق الخنازير
وكنى به عن افشاء العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع قد يسبق الى فهمه
ظاهره والمحقق اذا نظر وعلم ان ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان
في موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس في ذلك و
كذلك ما ورد في الحديث اما يخشى الذي يرفع راسه قبل الامام ان
يحول الله راسه راس حمار وذلك من حيث الصورة لم يكن ولا يكون ولكن
من حيث المعنى هو كائن اذ حقيقة الحمار وخاصيته هي البلادة والحمق و
من رفع راسه قبل الامام فقد صار راسه راس حمار في معنى البلادة
والحمق وهو المقصود دون الشكل الذي هو قالب المعنى اذ من غاية الحمق
ان يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان وهذا النوع
يرجع الى التعبير عن المعنى بالصورة التي تتضمن عين المعنى او مثله ومن هذا
القبيل قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين
فامر عقل التاثير بقدرته فيهما وباتيهما بالذات عنها باهل الطلاع واخبار

المطيع الطائع ومنه قوله عز وجل انما قوله لشيء اذا اردناه ان
نقول له كن فيكون وهو نوع من الكلام بلطائف ودونه حرف
وصوت وفصل التعبير عن الصراط بالحبل الممدود بين الجنة والنار وعن الميزان
بذي الكفتين المعتبر فلك ومنها مثل ما يدركه الانسان الشيء جملة ثم يدركه
تفصيلا بالتحقيق والتدقيق بان يصير كالاملاء بالنسبة فيتفاوت
العلمان فيكون الاول كالقشر والثاني كاللب والاول كالظاهر والاخر
كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان في عينه شخص في الظلمة او
على البعد فيحصل له نوع علم فاذا اداه بالقرب او صبح وزال الظلام
ادرك الفرق بينهما ولا يكون الاخير ضد الاول بل هو استكمال له فكذلك
في العلم والايمان والتصديق ومن هذا القبيل اكثر العقائد

فصل في تفسير الامام ابي محمد العسكري عليه السلام في قوله تعالى ومنهم اميون لا يعلمون
الكتاب الا اماني قال رجل للصادق عليه السلام اذا كان هؤلاء العوام من اليهود
لا يعرفون الكتاب الا بما يسمعونه من علمائهم لا سبيل لهم الى غيره فكيف
ذمهم الله بتقليدهم والقبول من علمائهم وهل عوام اليهود الا كعوامنا
يقلدون علمائهم فاذا لم يجز لاولئك القبول من علمائهم لم يجز لهؤلاء

فصل

القبول من علمائهم فقال عليه السلام بين عوامنا وعلمائنا وبين عوام
اليهود وعلمائهم فرق من جهة وتسوية من جهة فاما من حيث استووا
فان الله قد ذم عوامنا بتقليدهم علمائهم كما ذم عوامهم واما
من حيث افترقوا فلا قال بين لي ذلك يا ابن رسول الله قال عليه السلام
ان عوام اليهود كانوا قد عرفوا علمائهم بالكذب الصراح وباكل
الحرام والرشى وبتغيير الاحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات
والمصانعات وعرفوهم بالتعصب الشديد الذي يفارقون به
اديانهم وانهم اذا تعصبوا ازالوا حقوق من تعصبوا عليه واعطوا
ما لا يستحقه من تعصبوا له من اموال غيرهم وظلموهم من اجلهم وعرفوهم
يقارفون المحرمات واضطروا بمعارف قلوبهم الى ان من فعل ما يفعلونه
فهو فاسق ولا يجوز ان يصدق على الله ولا على الوسائط بين الخلق
وبين الله فلذلك ذمهم لما قلدوا من قد عرفوا ومن قد علموا انه لا
يجوز قبول خبره ولا تصديقه في حكايته ولا العمل بما يؤديه اليهم عن
لم يشاهدوه ووجب عليهم النظر بانفسهم في امر رسول الله صلى الله عليه وآله اذ كانت
دلائله اوضح من ان تخفى واشهر من ان لا تظهر لهم وكذلك عوام امتنا

عرفوا من فقهائهم الفسق الظاهر والعصبية الشديدة والتكالب على
حطام الدنيا وحرامها واهلاك من يتعصبون عليه وان كان لاصلاح
امره مستحقا وبالترفق بالبر والاحسان على من تعصبوا له وان كان
للاذلال والاهانة مستحقا فمن قلد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء
فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله بالتقليد لفسقة فقهائهم فاما
من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه مخالفا على هواه
مطيعا لامر مولاه فللعوام ان يقلدوه وذلك لا يكون الا بعض فقهاء
الشيعة لا جميعهم فان من ركب من القبائح والفواحش مراكب فسقة
فقهاء العامة فلا تقبلوا منهم عنا شيئا ولا كرامة **الباب الثالث** في معرفة النفس

وهي هذا الجوهر اللطيف الملكوتي الذي يستخدم هذا البدن الجسماني في
حاجاته مسخرا له تسخير المولى للخادم وهو ذات الانسان وحقيقته العالمة
بالمعلومات وله في هذا البدن جنود جسمانية هي الاعضاء وجنود روحانية
هي القوى قال الله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقال نبينا ص من عرف
نفسه فقد عرف ربه وقال اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه وقد يسمى هذا الجوهر
الملكوتي بالروح لتوقف حياة البدن عليه وبالقلب لتقلبه بالخواطر

بالعقل لاكتسابه العلوم واتصافه بالمدركات وقد تستعمل هذه الالفاظ
الاربعة في معان اخر تعرف بالقرائن ثم النفس توصف باوصاف مختلفة بحسب
اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الاوامر والنواهي وزايلها الاضطراب
بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة
ارجعي الى ربك راضية مرضية واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة
للشهوة والغضب ومعترضة عليهما سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها
عند تقصيره في عبادة مولاها قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة
وان تركت الاعتراض واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي
الشيطان سميت الامارة بالسوء قال الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام
وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي **فصل** اعلم ان
جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينانه على
طريقه الذي يسلكه ويحسنان مرافقته في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان
عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه وفي ذلك هلاكه وانقطاعه
عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد وللقلب جند آخر وهو العلم
والحكمة والفكر وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله على الجندين

الاخوين فانهما قد يطيعان حزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على
نفسه الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حال اكثر
الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة
وكان ينبغي ان تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه فصل اعلم
ان الانسان قد اصطحب في تركيبه وخلقته اربع شوائب فلذلك اجتمعت
عليه اربعة انواع من الاوصاف وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية
والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى افعال السباع من العداوة
والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة
يتعاطى افعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه
امر رباني كما قال الله تعالى قل الروح من امر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية
ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصص والاستبداد بالامور كلها
والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهي
الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقائق
الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل والاحاطة بجميع
الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من اوصاف الربوبية وفي الانسان

حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب
والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه
الحيل والشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر
في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان ففيه شوب من هذه الاصول
الاربعة اعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في
القلب وكان المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير
هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه
وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب العقور
ليس كلبا ولا سبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية
الضراوة والعدوان والعقر وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص
الخنزير وشبقه والخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو
بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ
السبع ويغري احدهما بالاخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي
هو مثال العقل مامور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن
تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير

فيتسلط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط
الخنزير عليه ويجعل الكل مقهوراً تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه
اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم وان عجز
عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر
ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائماً في عبادة كلب وخنزير وهذا حال

فصل

اكثر الناس مهما كان اكثر همهم البطن والفرج ومنافسة الاعداء
اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير
والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق و
الحسد والشماتة وغيرها واما طاعة كلب الغضب فينتشر منها الى القلب صفة
التهور والبذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب و
الاستهزاء والفخر والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم
وغيرها واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر
والخداع والحيلة والدهاء والجربزة والتلبيس والغش والخب والخناء
وامثالها ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر
في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقائق

الاشياء ومعرفة الامور على ما هي عليه والاستيلاء على ذلك كله بقوة
العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق بكمال العلم وجلاله و
لاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة
ورده الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدوء
والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف
والمساعدة وامثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها
الى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم
والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها والقلب
في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التوالي
واصلة الى القلب اما الآثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد مرآة
القلب جلاء واشراقاً ونوراً وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف
فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين والى مثل هذا القلب الاشارة
بقوله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من قلبه وبقوله من كان له
من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذي
يستقر فيه الذكر قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب واما الآثار الم

فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة
بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع
والرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال تعالى
ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط
عدم السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى حيث قال
واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله واطيعوا واتقوا الله ويعلمكم الله و
مهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك
الحق وصلاح الدين ويتهاون بالاخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير
مقصور الهم عليه فاذا قرع سمعه امر الاخرة وما فيها من الاخطار دخل
من اذن وخرج من الاخرى ولم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك
اولئك الذين يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور و هذا
هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال
امير المؤمنين ان الايمان ليبدو لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات
نمت وزادت حتى يبيض القلب كله وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا
انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك الختم وتلا

كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الباقر عليه السلام ان القلوب
ثلثة قلب منكوس لا يعي من الخير وهو قلب الكافر وقلب فيه نكتة سوداء
فالخير والشر فيه يعتلجان فايهما كانت منه غلب عليه وقلب مفتوح فيه مصابيح
تزهر لا يطفى نوره الى يوم القيمة وهو قلب المؤمن وقال الصادق عليه السلام
ان القلب ليكون في الساعة من الليل والنهار ليس فيه ايمان ولا كفر
كالثوب الخلق ثم قال اما تجد ذلك من نفسك قال ثم تكون النكتة
من الله في القلب بما شاء من كفر وايمان فصل ان القلب مثال قبة
لها ابواب تنصب اليه الاحوال من كل باب او مثال الهدف تنصب اليه
السهام من الجوانب او مثال المرآة منصوبة يجتاز عليها اصناف الصور
المختلفة فيتراءى فيها صورة بعد صورة او مثال الحوض تنصب اليه
مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه وهذه مداخل هذه الاثار المتجددة
فيه في كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال
والشهوة والغضب والاخلاق المركبة في مزاج الانسان فانه اذا ادرك
بالحواس شيئا حصل منه اثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا
بسبب كثرة الاكل او بقوة المزاج فالاثار تبقى وينتقل الخيال من شيء الى شيء

بحيث ينتقل الخيال فينتقل القلب من حال الى حال فالقلب دائما في التغير

والتأثر من هذه الاسباب واخص الاثار الحاصلة فيه هي الخواطر واعني

بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار اما على سبيل التجدد واما

على سبيل التذكر والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم

والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدأ الافعال

الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك النية والعزم والنية

تحركان الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر

اعني ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني ما ينفع في الاخرة

فهما خاطران مختلفان فالخاطر المحمود يسمى الهاما والمذموم يسمى وسواسا

وسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى

شيطانا واللطف الذي به يتهيأ القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا

والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا

والملك عبارة عن خلق خلقه الله لافاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق

والوعد والامر بالمعروف والشيطان عبارة عن خلق شانه الوعد بالشر

بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر والقلب متجاذب بينهما قال النبي

في القلب

في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد

ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ولمة من العدو ايعاد بالشر و

تكذيب بالحق ونهي عن الخير ومن وجد ذلك فليتعوذ من الشيطان ثم تلا

الشيطان يعدكم الفقر الاية وقال قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع

الرحمن يقلبه كيف يشاء كنى به من سر هذا التقليب بالقدرة على التحريك

والتغيير باستسخار الملك والشيطان فانهما مسخران بقدرته في تقليب

القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا والقلب باصل

الفطرة صالح لقبول اثار الملائكة ولقبول اثار الشياطين قبولا متساويا

وانما يترجح احدهما على الاخر باتباع الهوى والاكباب على الشهوات او مخالفتها

فمهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان

مجالا فوسوس ومهما انصرف الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله

واقبل الملك والهم فالتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة

القلب دائم الى ان ينفتح القلب لاحدهما فيستوطن ويتمكن ويكون اجتياز

الثاني اختلاسا قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان

تذكروا فاذا هم مبصرون فصل اعلم انه قد تلتبس لمة الشيطان بلمة الملك

من مكايد الشيطان انه يعرض الشر في معرض الخير كما يقول للعالم بطريق
الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا
على النار اما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك
وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر
نعمة وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة خلق الله سبحانه
الى الصراط المستقيم فلا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجره بلطائف
الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم ويتصنع
بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك
عن قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق فلا يزال يقرر ذلك وهو في اثنائه
يؤكد شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر الى
الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم و
هو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو
يظن انه عند الله بمكان وهو عند الله ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله ليؤيد هذا الدين
بالرجل الفاجر فصل قال بعض اهل المعرفة ان الهام الملك ووسوسة الشيطان

يقع في النفوس على وجوه وعلامات احدها كالعلم واليقين الحاصلين
من جانب يمين النفس ويقابله الهوى والشهوة الحاصلتان من جانب
الشمال وثانيها كالنظر الى آيات الآفاق والانفس على سبيل النظر
والاحكام المزيل للشكوك والاوهام والمحصل للمعرفة والحكمة في القوة
العاقلة التي هي على الجانب الايمن من النفس ويقابله النظر اليها على سبيل
الاشتباه والغفلة والاعراض عنها الناشئة منها الشبهة والكفر سوء
في الواهمة والمتخيلة التي على الجانب الايسر منها فالانبياء والحكماء
بمنزلة الملائكة المقدسة من العقول والنفوس الكلية لانهم اسباب
العلوم اليقينية والمتشابهات الوهميات بمنزلة الشياطين والنفوس
الوهمانية لانها مبادي المقدمات السفسطية وثالثها كطاعة الرسول
المختار والائمة الاطهار في مقابلة اهل الجحود والانكار واهل التعطيل
والتشبيه من الكفار فكل من سلك سبيل الهداية فهو بمنزلة الملائكة
الملهمين للخير ومن سلك سبيل الضلال فهو بمنزلة الشياطين المغوين بالشر
ورابعها كتحصيل العلوم والادراكات التي هي في الموضوعات العالية والاعيان
الشريفة كالايمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والبعث وقيام الساعة

مقابلة

ومثول الخلائق بين يدي الله وحضور الملائكة والنبيين والشهداء
والصالحين في تحصيل العلوم والادراكات الخفية من باب الحيل والخديعة
والسفسطة والتأمل في الامور الدنياوية الغير الخارجة عن دار
المحسوسات فان الاول يشبه الملائكة الروحانية وجنود الرحمن الذين هم
سكان عالم الملكوت السماوي والثاني يشبه الابالسة المطرودة
عن باب الله الممنوعة من ولوج السموات المحبوسة في الظلمات المحرومة
في الدنيا عن الارتقاء المحجوبة في الآخرة عن دار النعيم **فصل** اعلم ان ما يخطر
بالبال من الشر فلا مؤاخذة عليه لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك
الميل والهيجان لانهما ايضا لا يدخلان تحت الاختيار واما الاعتقاد
وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل فهذا متردد بين ان يكون اضطرارا او
اختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري منه
لا يؤاخذ به واما الهم بالفعل فانه يؤاخذ به الا انه ان لم يفعل فان
تركه خوفا من الله تعالى وندم على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه
ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن
الله والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجهده

في مخالفة

في مخالفة الطبع وهو العمل لله سبحانه اشد من جهده في موافقة الشيطان
بموافقة الطبع فكتبت له حسنة لانه رجح جهده في الامتناع على همه به وهمه
همه بالفعل وان تعوق الفعل لعائق او تركه لعذر لا خوفا من الله تعالى
كتبت عليه سيئة فان همه فعل من افعال القلب الاختياري والدليل على هذا
التفصيل ما ورد عن النبي ص قال الملائكة رب ذاك عبدك يريد
ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها عليه بمثلها
وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من جرائي وعن امير المؤمنين ع في قوله
سبحانه ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله ان هذه الاية
عرضت على الانبياء والامم السابقة فابوا ان يقبلوها من ثقلها وقبلها
رسول الله ص وعرضها على امته فقبلوها فلما راى الله عز وجل منهم القبول
علم انهم لا يطيقونها قال اما اذ قبلت الاية بتشديدها وعظم ما فيها
وقد عرضتها على الامم فابوا ان يقبلوها وقبلتها امتك فحق
علي ان ارفعها من امتك وقال لا يكلف الله نفسا الا وسعها ان
ما لا يدخل تحت الوسع لا يؤاخذ به وعن النبي ص وضع عن امتي تسع خصال
الخطا والنسيان وما لا يعلمون وما لا يطيقون وما اضطروا اليه وما استكرهوا

عليه والطيرة والوسوسة في التفكر في الخلق والحسد ما لم يظهر بلسان
او يد وعن ابي ذر ان الله تعالى جعل لآدم في ذريته من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له
حسنة ومن هم بحسنة وعملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه
ومن عملها كتبت له سيئة وفي رواية ان العبد اذا اذنب ذنبا اجل من غدوة
الى الليل فان استغفر الله لم يكتب عليه وسئل الصادق عن رجل يجيء منه
الشيء على حد الغضب يؤاخذه الله تعالى به فقال الله اكرم من ان يستغلق على عبده
وعنه عليه السلام ما من مؤمن الا وله ذنب يهجره زمانا ثم يلم به وذلك قوله تعالى
الا اللمم قال واللمم الرجل يلم بالذنب فيستغفر الله منه وعن الكاظم عليه السلام ان الله
ايد المؤمن بروح يحضره في كل وقت يحسن فيه ويتقي ويغيب عنه في كل وقت
يذنب فيه ويعتدي فهي معه تهتز سرورا عند احسانه وتسيخ في الثرى عند
اساءته فتعاهدوا عباد الله نعمه باصلاحكم انفسكم تزدادوا يقينا وتربحوا
نفيسا ثمينا رحم الله امرءا هم بخير فعمله او هم بشر فارتدع عنه ثم قال نحن نؤيد
الروح بالطاعة لله والعمل له **الفصل الثاني** فيما يجب الاخلاق وتهذيبها وفيها
اربعة ابواب **الباب الاول** في حقيقة الخلق وهذا يسير اعلم ان الخلق عبارة عن هيئة
راسخة في النفس تصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى الفكر وروية

فان كانت الهيئة بحيث يصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا
وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر منها افعال قبيحة
سميت خلقا سيئا وانما شرطنا الرسوخ لان من يصدر عنه بذل المال
مثلا على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك
في نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا السهولة وعدم الروية لان من تكلف
بذل المال لا يقال خلقه السخاء وليس عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه
السخاء ولا يبذل اما لفقد المال او لمانع آخر وربما يكون خلقه البخل
وهو يبذل اما لباعث او لرياء فلا بد في الخلق الحسن من قوة العلم وقوة
الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث اما قوة
العلم فحسنها وصلاحها في ان تصير بحيث يسهل لها درك الفرق بين
الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين
الجميل والقبيح في الافعال فاذا حصلت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة
راس الاخلاق الحسنة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة
الغضب والشهوة فحسنها في ان يقتصر انقباضها وانبساطها على حد ما يقتضيه
الحكمة والدين واما قوة العدل فهي ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة

العقل والشرع فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير وقوة القدرة
وشبهها منزلة المنفذ الممضي لاشارته والغضب والشهوة تنفذ بها
الاشارة ومثال الغضب مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب
حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة
مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا
مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت
فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون بعض فهو حسن
الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة وحسن القوة الغضبية واعتدالها
يعبر عنها بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة
فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة سمي ذلك
تهورا وان مالت الى الضعف سمي جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة
الى طرف الزيادة سمي شرها وان مالت الى النقصان سمي جمودا
والمحمود هو الوسط وهو العدل والطرفان رذيلتان مذمومتان
والعدل اذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد واحد
وهو الجور واما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض

الفاسدة

الفاسدة خبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي
يختص باسم الحكمة فاذن امهات الاخلاق الحسنة الجميلة واصولها
اربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ولم يبلغ كمال الاعتدال
في هذه الاربعة الاصول [illegible] وهذا قال الله تعالى مثنيا عليه وانك
لعلى خلق عظيم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه
فينبغي ان يقتدى به فانه قال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقد اشار
القرآن الى هذه الاخلاق في اوصاف المؤمنين فقال تعالى انما المؤمنون
الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم
في سبيل الله اولئك هم الصادقون فالايمان بالله ورسوله من غير
ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال
هو السخاء الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي
الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال
فقد وصف الله سبحانه قوما فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم
اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل
حال ولا في الرحمة بكل حال فصل اعلم ان بعض من غلبت البطالة عليه

استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق
ولم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه فزعم ان الاخلاق
لا يمكن تغييرها وان الطباع لا تتغير واستدل عليه بامرين احدهما
ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق هو صورة الظاهر فكما ان
الخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فكذا الخلق الباطن والثاني
ان حسن الخلق انما يحصل بقمع الغضب والشهوة وحب الدنيا وغيرها
وهذا امر ممتنع والاشتغال به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو
قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وهو محال فنقول لو كانت
الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات
ولما قال تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها ولما قال رسول الله صلعم
حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الادمي وتغيير خلق البهيمة ممكن
اذ ينقل الصيد من التوحش الى الانس والكلب من شره الاكل الى
الصيد الى التاديب والامساك والفرس الجماح الى السلاسة والانقياد
وكل ذلك تغيير للاخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك ان نقول
ان الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل للادمي واختياره في اصله وتفصيله

كالسماء والكواكب بل اعضاء البدن داخلا وخارجا وبالجملة كل ما هو
حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والثاني ما وجد وجودا
ناقصا وجعل فيه قوة الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط
باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انها خلقت خلقة
يمكن ان تصير نخلا اذا انضاف اليها التربية ولا تصير تفاحا اصلا ولا بالتربية
فاذا صارت النواة متاثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض
فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما
اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة
قدرنا عليه وقد امرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله
وليس المطلوب الا ذلك دون القمع بالكلية وهيهات فان الشهوة خلقت
لفائدة وهي ضرورية في الجبلة ولو انقطع شهوة الطعام لهلك الانسان
ولو انقطع شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم
يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ومهما بقي اصل الشهوة فيبقى لا محالة
حب المال الذي يوصل الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك المال وليس
المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذي هو

وسط بين الافراط والتفريط فالمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية
وذلك بان يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة ان يكون
في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل فلو بطل الغضب لامتنع جهاد
الكفار وكيف يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية والانبياء عليهم السلام
لم ينفكوا عن ذلك قال سيدهم صلى الله عليه وسلم انما انا بشر اغضب كما
يغضب البشر وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه
ولكن لا يقول الا حقا فكان الغضب لا يخرجه عن الحق قال الله تعالى
والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ولم يقل والفاقدين الغيظ
وربما استولى الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن
الانبساط الى الفواحش وبالرياضة تعود الى الاعتدال فدل على ان
ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا ريب فيها

فصل قد يكون اعتدال القوتين خلقيا بحيث يخلق الانسان ويخلق كامل
العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب على عقله كالانبياء
والائمة عليهم السلام وقد يكون مكتسبا بالمجاهدة والرياضة بحمل النفس على
الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب حتى اراد ان يحصل لنفسه خلق الجود

مثلا فطريقه ان يتعاطى فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يواظب
عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك له طبعا ويتيسر عليه
فيصير بنفسه جوادا ومن اراد خلق التواضع وغلب عليه التكبر فطريقه ان
يواظب على افعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها يجاهد نفسه
ويتكلف الى ان يصير ذلك خلقا وطبعا وجميع الاخلاق المحمودة شرعا
يحصل بهذا الطريق وغايتها ان يصير الفعل الصادر منه لذيذا
فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال دون الذي يبذله عن كراهية
والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الاخلاق الدينية
في النفس ما لم يتعود جميع العادات الحسنة ولم يترك جميع الافعال
السيئة وما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق منها الى الافعال
الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتالم بها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجعلت قرة عيني في الصلوة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات
مع كراهية واستثقال فهو لنقصان ولا ينال كمال السعادة بها نعم
المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركها لا بالاضافة
الى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال النبي

اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفي
في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة و استكراه
المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي ان يكون كذلك على الدوام
في جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك
لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال طول العمر في طاعة الله ولذلك
كره الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الاخرة وكلما كانت
العبادات اكثر بطول العمر كان الثواب اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق
اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات تاثيرها في القلب وانما
يتاكد تاثيرها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق
ان ينقلع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا شيء
احب اليه من الله سبحانه ومن لقائه وكل صفة تظهر في القلب تفيض
اثرها على الجوارح حتى لا تتحرك الا على وفقها وكل فعل يجري على الجوارح
فانه يرتفع منه اثر الى القلب وطالب تزكية النفس لا ينالها بعبادة يوم
ولا يحرمها بعصيان يوم ولكن العطلة في يوم واحد تدعو الى مثلها ثم
تتداعى قليلا قليلا حتى تانس النفس بالكسل وتهجر التحصيل راسا وصغار

المعاصي يجر بعضها الى بعض حتى يفوت اصل السعادة بهدم اصل الايمان
عند الخاتمة فلا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعة ولا بصغير المعصية
فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الاحاد فلكل واحد
تاثير وربما تحصل الاخلاق الحسنة بمشاهدة ارباب الفعال الجميلة و
مصاحبتهم وهم قرناء الخير والاخلاق السيئة بمشاهدة ارباب الاعمال
السيئة ومصاحبتهم وهم قرناء السوء فان الطبع يسرق من الطبع
الخير والشر جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلث حتى صار
ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان
رذلا بالطبع واتفق له اقران السوء فتعلم منهم وتيسرت له اسباب
الشر حتى تعودها فهو في غاية البعد عن رحمة الله وبين الرتبتين من اختلفت
به هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته
وحالته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما
ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون **فصل** اعلم ان الله تعالى اذا اراد بعبد
خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف
العيوب امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرى

أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد
أن يقف على عيب نفسه فليطلب صديقا صادقا بصيرا متدينا فينصبه
رقيبا على نفسه ليراقب أحواله وأفعاله فما يكرهه من أخلاقه وأفعاله
وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه ويستفيد معرفة عيوب نفسه من
لسان أعدائه فإن عين السخط تبدي المساوي كما قيل ؛ وعين الرضا
عن كل عيب كليلة ؛ ولكن عين السخط تبدي المساويا ؛ ولعل
انتفاع الإنسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق
مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه إلا أن الطبع مجبول على
تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع
بقول أعدائه فإن مساويه لا بد أن تنتشر على ألسنتهم أو يخالط الناس
فكل ما يراه مذموما فيما بين الخلق فيطالب نفسه بتركه وما يراه
محمودا يطالب نفسه به وينسب نفسه إليه فإن المؤمن مرآة المؤمن
فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه وليعلم أن الطبع متقارب في
اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرين الآخر
عن مثله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه فيتفقد نفسه ويطهرها

من كل

عن كل ما ينكره من غيره وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك
الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب قيل لعيسى
من أدبك فقال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل فجانبته

الباب الثاني فيما يؤدي إلى مساوي الأخلاق من البطن والفرج واللسان

اعلم أن الأخلاق إنما ترسخ في النفس بتكرر الأعمال والأعمال إنما
تصدر من القلب بتوسط الجوارح وكل جارحة يصلح لأن يصدر منه
الأعمال الحسنة الجالبة للأخلاق الجميلة وأن يصدر منه الأعمال القبيحة
الموروثة للأخلاق السيئة فلا بد من مراعاة القلب والجوارح
بصرفهما إلى الخيرات ومنعهما من الشرور وأعظم المهلكات لابن
آدم شهوة البطن والفرج واللسان ففي الحديث النبوي من وقي
شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن والذبذب الفرج
واللقلق اللسان أما شهوة البطن فبها أخرج آدم وحواء من دار القرار
إلى دار الذل والافتقار إذ نهيا عن أكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما
فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات
ومنبت الأدواء والآفات إذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق إلى

المنكوحات ثم يتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال
والجاه اللذين هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم
يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات
والمحاسدات ثم يتولد من ذلك آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر
والكبرياء ثم يتداعى ذلك الى الحقد والعداوة والبغضاء ثم يفضي ذلك
بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة
وما يتولد من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع
وضيق مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الله ولم تسلك سبيل البطر
والطغيان ولم ينجر به ذلك الى الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة
على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا قال النبي (ص) ما ملأ
ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان
كان هو فاعلا لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه
وقال (ع) لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع
يموت اذا كثر عليه الماء وقال (ع) افضلكم منزلة عند الله تعالى اطولكم
جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله تعالى كل نؤوم اكول شروب وقال (ع)

ان البطن ليطغى من اكله واقرب ما يكون العبد الى الله اذا خف
بطنه وابغض ما يكون العبد الى الله اذا امتلأ بطنه وفي مصباح
الشريعة قال الصادق (ع) ما من شيء اضر لقلب المؤمن من كثرة الاكل
وهي مورثة لشيئين قسوة القلب وهيجان الشهوة والجوع ادام للمؤمن
وغذاء للروح وطعام للقلب وصحة للبدن وقال لقمان لابنه
يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت
الاعضاء عن العبادة وبالجملة ففوائد الجوع كثيرة منها صفاء القلب
ورقته والاستلذاذ بالطاعة والانكسار المانع عن المعصية والغفلة
وذكر جوع يوم القيامة وكسر شهوة الفرج المستولية بالشبع ودفع النوم
الذي يكل الطبع ويضيع العمر ويفوت القيام والتهجد وتيسر المواظبة
على الطاعة لخفة البدن والفراغ عن الاهتمام بالتحصيل والاعداد
والاكل ودفع الامراض الناشئة عنها فان المعدة بيت الداء والحمية
راس كل دواء **فصل** اعلم ان المقصد الاقصى في جميع الاحوال والاخلاق
هو الوسط وما ذكر في فضائل الجوع ربما يوهم ان الافراط فيه مطلوب
وهيهات ولكن من اسرار حكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف

الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة والمنع منه على وجه
يومئ عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية
الامكان والعالم يدرك ان المقصود هو الوسط لان الطبع اذا
طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يطلب غاية الجوع حتى يكون الطبع
باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال ولما بالغ
النبي في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم علم من حال بعضهم
انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم
ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل
المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه اصلا فان المقصود
من الاكل بقاء الحياة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع العبادة والم
الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود ان ياكل اكلا لا يبقى
بحيث لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون
من ثقل الطعام والم الجوع واليه الاشارة بقوله تعالى كلوا واشربوا
ولا تسرفوا والقوام فيه ان لا ياكل طعاما حتى يشتهيه ويرفع يده
عنه وهو يشتهيه فصل واما شهوة الفرج فانما سلطت على الانسان

لبقاء النسل ودوام الوجود ولان يدرك اللذة فيقيس بها
لذات الآخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات الاجساد
كما ان الم النار اعظم آلام الجسد فالترهيب والترغيب يسوقان الخلق
الى سعاداتهم وليس ذلك الا بالم محسوس ولذة مدركة هذه فائدتها
ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم
تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال فان لها ايضا افراطا وتفريطا فافراطها
ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجل الى التمتع بالنساء والجواري
فيحرم عن سلوك طريق الآخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام
الفواحش وقد ينتهي هذه الشهوة بمن غلب وهمه على عقله الى العشق
البهيمي الذي ينشأ من استيلاء الشهوة فيسخر الوهم العقل لخدمة الشهوة
وقد خلق العقل ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة محتالا لاجلها
وهو مرض قلب فارغ لا همّ له وانما يجب الاحتراز من اوائله بترك معاودة
النظر والتفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه وتفريط هذه الشهوة اما
بالعنة الخارجة عن الاعتدال او بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو
ايضا مذموم وانما المحمود ان تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع

في ابتدائها وانقباضها ومهما افرطت فكسرها يكون بالجوع و
بالنكاح قال رسول الله صلعم معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم
يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء فصل اعلم ان هذه الشهوة
اغلب الشهوات على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل
الا ان مقتضاها قبيح يستحيى منه ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر
الناس عن مقتضاها اما لعجز او لخوف او لحياء او لمحافظة على حشمة
وليس في شيء من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على
حظ اخر نعم من العصمة ان لا يقدر ففي هذه العوائق فائدة وهو
دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه
وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة
عليه وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لا سيما عند صدق الشهوة
وهذه درجة الصديقين ولذلك قال رسول الله صلعم من عشق فعف
وكتم فمات فهو شهيد وقال سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله
وعد منهم رجلا دعته امراة ذات حسب وجمال الى نفسها فقال اني
اخاف الله رب العالمين وقصة يوسف وامتناعه عن زليخا مع القدرة

ورغبتها معروفة وقد اثنى الله تعالى بذلك عليه في كتابه وهو امام
كل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة قال الله تعالى
قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وقال النبي صلعم
النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله اعطاه
الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء
فان اول فتنة بني اسرائيل كانت من النساء فصل واما اللسان فانه
من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته
وجرمه اذ لا يتبين الايمان والكفر الا بشهادة اللسان وهما غاية
الطاعة والطغيان ثم انه ما من موجود او معدوم خالق او مخلوق
متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض
له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله العلم يعبر عنه اللسان اما بحق
او باطل ولا شيء الا والعلم متناوله وهذه خاصية لا توجد في سائر
الاعضاء فان العين لا تصل الا الى الالوان والصور والاذن لا تصل
الا الى الاصوات واليد لا تصل الا الى الاجسام وكذا سائر الاعضاء
واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى ولا حد فله في الخير

عالم رحب وله في الشر مجرى سحب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله
مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف
هار الى ان يضطره الى البوار ولا يكب الناس على مناخرهم في النار
الا حصائد السنتهم كما ورد في الحديث النبوي ولا ينجي من شر اللسان الا
ان يقيد بلجام الشرع فلا يطلق الا فيما ينفع في الدنيا والاخرة ويكف
عن كل ما يخشى غائلته في عاجله واجله وعلم ما يحمد اطلاق اللسان
فيه او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسر
واعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب في تحريكه ولا مؤنة
في اطلاقه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن افاته وغوائله والحذر
من مصائده وحبائله وانه اعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله من صمت نجا وقال الصمت حكم وقليل فاعله
اي هو حكمة وحزم وقال امسك لسانك فانها صدقة تصدق
بها على نفسك ثم قال ولا يعرف عبد حقيقة الايمان حتى يخزن من
لسانه وقال صلى الله عليه وآله من راى موضع كلامه من عمله قل كلامه الا
فيما يعنيه ومر امير المؤمنين عليه السلام برجل يتكلم بفضول الكلام فوقف

عليه

عليه وقال يا هذا انك تملي على حافظيك كتابا الى ربك فتكلم
بما يعنيك ودع ما لا يعنيك وعن السجاد عليه السلام قال ان لسان ابن
ادم يشرف على جميع جوارحه كل صباح فيقول كيف اصبحتم فيقولون
بخير ان تركتنا ويقولون الله الله فينا ويناشدونه ويقولون انما
نثاب ونعاقب بك وعن الباقر عليه السلام ان شيعتنا الخرس وعن الصادق عليه السلام
النوم راحة للجسد والنطق راحة للروح والسكوت راحة للعقل وقال
في حكمة آل داود على العاقل ان يكون عارفا بزمانه مقبلا على شأنه
حافظا للسانه وقال لقمان لابنه يا بني ان كنت زعمت ان الكلام
من فضة فان السكوت من ذهب وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام
الكلام اظهار ما في قلب المرء من الصفاء والكدر والعلم والجهل قال
امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام المرء مخبوء تحت لسانه فزن كلامك واعرضه
على العقل والمعرفة فان كان لله وفي الله فتكلم وان كان غير ذلك
فالسكوت خير منه وليس على الجوارح عبادة اخف مؤنة وافضل
منزلة واعظم قدرا عند الله من الكلام في رضاء الله ولوجهه و
نشر الائه ونعمائه في عباده الا ترى ان الله عز وجل جعل فيما بينه

وبين رسله مضى يكشف ما استر إليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه
غير الكلام وكذلك بين الرسل والامم فثبت بهذا انه افضل
الوسائل والطف العبادة وكذلك لا معصية اثقل على العبد واسرع
عقوبة عند الله واشدها ملامة واعجلها سامة عند الخلق منه
سئل السجاد عن الكلام والسكوت ايهما افضل فقال لكل
واحد منهما آفات فاذا سلما من الآفات فالكلام افضل من
السكوت قيل وكيف ذلك يا ابن رسول الله قال لان الله عز وجل
ما بعث الانبياء والاوصياء بالسكوت انما بعثهم بالكلام ولا
استحقت الجنة بالسكوت ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت ولا
توقيت النار بالسكوت ولا تجنب سخط الله بالسكوت انما ذلك كله
بالكلام ما كنت لاعدل القمر بالشمس انك تصف فضل السكوت
بالكلام ولست تصف فضل الكلام بالسكوت فصل اعلم ان آفات
اللسان كثيرة منها الخطا والكذب والغيبة الغير الماذون فيها
وخلف الوعد والنميمة والريا والنفاق والفحش والمراء وتزكية
النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة

والنقصان

والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورة وافشاء السر والسخرية
والاستهزاء وغير ذلك وهي مع خفتها على اللسان لا يثقل عليه ولها حلاوة
في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخائض فيها
قلما يقدر على ان يزم اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب
لان ذلك من غوامض العلم وفي الخوض خطر وفي الصمت نجاة فلذلك
عظم فضل الصمت مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ
في الفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا
ومن حسابه في الآخرة قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
وقال تعالى لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح
بين الناس وقال النبي ص طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل
من ماله فصل انما قيدنا الكذب والغيبة بغير الماذون فيهما لان من الكذب
والغيبة ما يجوز قال الصادق ع كل كذب مسئول عنه صاحبه الا في ثلثة رجل
كائد في حربه فهو موضوع عنه ورجل اصلح بين اثنين يلقى هذا بغير
ما يلقى به هذا يريد بذلك الاصلاح بينهما ورجل وعد اهله شيئا وهو
لا يريد ان يتم لهم وكذا ورد عن النبي ص ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب

يعض بالمعاريض التورية وقلما اذا اضطر اليها وقال النبي صلعم

من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال ليس لفاسق غيبة

وقال لي الواجد يحل عرضه وعقوبته وقال لصاحب الحق مقال

وقد عرفت الحديث في وجوب غيبة اهل البدع والريب ليحذرهم الناس

وعن النبي صلعم اترعوون عن ذكر الفاجر حتى لا يعرفه الناس اذكروه

بما فيه يحذره الناس وفي بعض الغيبة خفاء لا بد ان يكشف الغطاء

عنه فنقول روي عن النبي صلعم قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله

ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل ارأيت ان كان في اخي

ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته

وفي مصباح الشريعة قال الصادق صفة الغيبة ان يذكر احدا بما ليس هو عند

الله عيب ويذم ما يحمده اهل العلم فيه واما الخوض في ذكر غائب بما

هو عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم فليس بغيبة وان كره

صاحبه اذا سمع به وكنت انت معافى عنه خاليا منه وتكون مبينا

للحق من الباطل ببيان الله تع ورسوله ولكن على شرط ان لا يكون

للقائل بذلك مراد غير بيان الحق والباطل في دين الله واما اذا

اراد

اراد به نقص المذكور بغير ذلك المعنى فهو مأخوذ بفساد مراده وان كان

صوابا اقول وينبغي تخصيص هذا الحديث بما اذا لم يكن صاحبه عالما

بعيبه ساترا على نفسه كارها لظهوره ويدل على ذلك ما رواه عنبسة

ابيه انه قال هو ان تقول لاخيك في دينه ما لم يفعل وتبث عليه امرا

قد ستره الله عليه لم يقم عليه فيه حد وعن الكاظم ع قال من ذكر

رجلا من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه ومن ذكره بما

من ذكر رجلا من خلفه بما هو فيه مما عرفه الناس لم يغتبه

ليس فيه فقد بهته وعن الصادق ع قال الغيبة ان تقول في اخيك

ما ستره الله عليه واما الامر الظاهر فيه مثل الحدة والعجلة فلا وقد خص

بعض علمائنا الغيبة بغيبة من يعتقد الحق لان ادلة الحكم غير شاملة وتحريم

لاهل الضلال فان الحكم فيها منوط بالمؤمنين وبالاخ والمراد اخوة

الايمان فلا يتناول من لا يعتقد الحق وعن الصادق ع ان اصل الغيبة

يتنوع بعشرة انواع شفاء غيظ ومساعدة قوم وتهمة وتصديق

خبر بلا كشفه وسوء ظن وحسد وسخرية وتعجب وتبرم وتزين فان

اغتبت فبلغ المغتاب فاستحل منه فان لم تبلغه فاستغفر الله له وان

الثالث منتزع من البيان الباب الثالث في الغضب والحقد والحسد اعلم ان

ان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع

على الافئدة وانها لمستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت

الرماد وتستخرجها حمية الدين من قلوب المؤمنين او حمية الجاهلية

والكبر الدفين من قلوب الجبارين التي لها عرق الى الشيطان اللعين

حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فمن شأن الطين السكون

والوقار ومن شأن النار التلظي والاشتعال والحركة والاضطراب

ومن نتائج هذا الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وعندهما

فسد من فسد ومفيضهما مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد قال

رسول الله ص الغضب يفسد الايمان كما يفسد الخل العسل وقال من كف

غضبه كف الله عنه عذابه وقال الباقر ع ان هذا الغضب جمرة من الشيطان

توقد في جوف ابن آدم وان احدكم اذا غضب احمرت عيناه وانتفخت

اوداجه ودخل الشيطان فيه فاذا خاف احدكم ذلك من نفسه فليلزم

الارض فان رجز الشيطان يذهب عنه عند ذلك وقال ع ايما رجل غضب على

ذي رحم فليدن منه وليمسه فان الرحم اذا مست سكنت وقال

ع كان ابي يقول اي شيء اشد من الغضب ان الرجل يغضب فيقتل النفس

التي حرم الله ويقذف المحصنة وقال من كف غضبه ستر الله

عورته وقال ان في التوراة مكتوب يا ابن آدم اذكرني حين تغضب

اذكرك عند غضبي وقال الصادق ع الغضب مفتاح كل شر وانما

ينبسط الدم عند الغضب اذا غضب الانسان على من دونه واستشعر

القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان معه يأس من

الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار

حزنا ولذلك يصفر اللون وان كان على نظير يشك فيه تردد بين

انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب لطلب الانتقام وانما

تتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع المؤذيات التي خلقت لاجله

قبل وقوعها الى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت

هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به والناس في هذه

القوة على درجات ثلث في اول الفطرة من التفريط فيفقد هذه القوة

او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له وهو

ناقص جدا ومن ثمراته عدم الغيرة على الحرم واحتمال الذل من

الاخساء وصغر النفس والخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات

والافراط والاعتدال اما التفريط

فقد وصف الله خيار الصحابة بالشدة والحمية فقال أشداء
على الكفار رحماء بينهم وقال يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
وانما الشدة والغلظة من آثار قوة الغضب واما الافراط فهو ان تغلب
هذه الصفة حتى تخرج من سياسة العقل والدين وطاعتهما فلا يبقى
للمرء معها بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار وسببه غليظة قد يكون فطرياً
وقد يكون اعتيادياً بان خالط قوماً يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة
الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول احدهم انا الذي لا اصبر
على المحال ولا احتمل من احد امراً ومعناه لا عقل لي ثم يذكره في معرض
الفخر فيجهل فمن سمعه فيرسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه با
القوم فيقوى ويصم عن كل موعظة ولا يقدر الاستضاءة بنور عقله
لانطفائه بدخان الغضب ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير
اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب
والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق
وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو رأى الغضبان
في حال غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته وقبح

باطنه

باطنه اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة
الباطن اولاً ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانياً هذه اثره في الجسد واما
اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبيح الكلام الذي يستحيي
منه ذوو العقول ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط
النظم واضطراب اللفظ واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم و
التمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب
عليه او فاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فيمزق
ثوب نفسه ويلطم وجهه وقد يعدو عدو الواله السكران و
المدهوش المتحير وربما سقط صريعاً لا يطيق العدو والنهوض لشدة
الغضب ويعتريه شبه الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب
القصعة على الارض ويكسر المائدة اذا غضب عليها وقد يتعاطى افعال
المجانين فيشتم البهيمة والجماد ويخاطبهما ويقول الى متى منك كانه يخاطب
عاقلاً واما اثره في القلب فالحقد والحسد واظهار السوء والشماتة
بالمساءة والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الاستار
وغير ذلك من القبائح هذه ثمرة الغضب المفرط وينبغي لصاحبه ان يعالج

نفسه من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو
الصراط المستقيم وهو ادق من الشعر واحد من السيف فان عجز فليطلب
القرب منه قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو
حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز
عن الاتيان بالخير كله ينبغي ان ياتي بالشر كله ولكن بعض الشر اهون
من بعض وبعض الخير ارفع من بعض **فصل** اعلم ان الانسان ما دام يحب
ما يوافقه ويحتاج اليه ويكره ما يخالفه ويتاذى منه فلا يخلو من
الغيظ فان الغضب جبلة طبعه فانه مهما اخذ منه محبوبه او قصد بمكروه
غضب لا محالة وهذا يختلف باختلاف الاشخاص وانما المحبوب الضروري
لكل احد ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من اصبح امنا في سربه
معافى في بدنه وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ثمن
كان بصيرا بحقائق الامور وسلمت له هذه الثلثة وكل ما كان ضروريا
لا له خاصة يتصور ان لا يغضب في غيرها اعني بقدر ان لا يطيع الغضب في
يستعمله الا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك بالمجاهدة
وتكلف الحلم والاحتمال مرة بعد اخرى حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا

فاما ان تنقلع اصل الغيظ من القلب فذلك مقتضى الطبع وهو غير ممكن
نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي
الى ان لا يظهر اثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا ان قيل انما الواجب
ان لم يفوت المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت
فلا يغضب على احد وان كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة
غضب فان الانسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد
والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها من الله فلا يغضب
على احد من خلقه اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد
الكاتب ومن وقع عليه ملك بضربه رقبته لم يغضب على القلم
فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع ايضا بحسن الظن بالله وهو
ان يرى ان الكل من الله وان الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة فربما
يكون الخيرة في جوعه ومرضه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على
الفصاد لانه يرى ان الخيرة فيه فنقول ان هذا على هذا الوجه غير محال
ولكن غلبة التوحيد على هذا الوجه انما يكون كالبرق الخاطف لا يدوم
ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا ينفك عنه

ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور من رسول الله صلى الله عليه وآله وعن امير
المؤمنين عليه السلام قال كان النبي صلى الله عليه وآله لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم
يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق وان كان
غضبه لله فهو التفات الى الوسائط على الجملة بل كان من غضب على
من ياخذ ضرورته وقوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فانما غضب
لله فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل الغيظ فيما هو ضروري
اذا كان القلب مشغولا بضروري اهم منه فيكون في القلب متسع
للغضب لاشتغاله بغيره فان اشتغال القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس
بما عداه وهذا كما ان سلمان رضي الله عنه لما شتم قال ان خفت موازيني
فانا شر مما تقول وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان
همه مصروفا الى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم فاذا يتصور فقد الغيظ
باشتغال القلب وبغلبة نظر التوحيد او بسبب ثالث وهو ان يعلم
ان الله يحب منه ان لا يغتاظ فيطفى شدة حب الله غيظه وذلك غير محال في
احوال نادرة **فصل** قد ثبت ان علاج كل علة بحسم مادتها وازالة
اسبابها والاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والفخر والمزاح والهزء

والذل والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص
على فضول المال والجاه وهي باجمعها اخلاق ردية مذمومة شرعا
ولا خلاص عن الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالتها
باضدادها فينبغي ان يميت الزهو بالتواضع والعجب بمعرفة نفسه والفخر
بمعرفة انه من الرذائل وانما الفخر بالفضائل واما المزاح فتزيله بالجد
في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة واما الهزء فتزيله بالتكرم
عن ايذاء الناس وصيانة النفس عن ان يستهزأ بك واما التعيير فبالتحرز
عن قول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب واما شدة الحرص على
مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء
وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات
يفتقر في علاجها الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع
الى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة
اضدادها مدة مديدة حتى يصير بالعادة مالوفة هينة على النفس
فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت من هذه الرذائل وتخلصت
عن الغضب الذي يتولد منها ومن علاجه عند هيجانه الاستعاذة

الشيطان والجلوس ان كان قائما والاضطجاع ان كان جالسا
والوضوء والغسل بالماء البارد فان الغضب من النار كذا ورد في
الحديث النبوي وان يتفكر فيما ورد في فضائل كظم الغيظ والعفو
والحلم والاحتمال قال الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
وقال الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال
ادفع بالتي هي احسن السيئة فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه
ولي حميم وما يلقيها الا الذين صبروا وما يلقيها الا ذو حظ عظيم
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها
ابتغاء وجه الله وقال الباقر ع من كظم غيظا وهو يقدر على امضائه
حشا الله قلبه امنا وايمانا وقال الصادق ع ما من عبد كظم غيظا
الا زاده الله عزا في الدنيا والاخرة وقال ع كفى بالحلم ناصرا وقال
اذا لم تكن حليما فتحلم وان يخوف نفسه بعقاب الله [illegible]
الى العفو وان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمير العدو
لمقابلته وان يتفكر في قبح صورته عند غضبه بان يتذكر صورة
غيره في حالة الغضب وان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشيء

على وفق مراد الله لا على وفق مراده ومن النتيجة الا ان بني آدم
خلقوا على طبقات شتى فمنهم بطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب
سريع الفيء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء الا
وان خيرهم بطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء
فصل اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى
الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه
استثقاله والبغضة له والنفار عنه وان يدوم على ذلك ويبقى
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود والحقد يثمر امورا منها الحسد
وهو ان يحمله الحقد على ان يتمنى زوال النعمة عنه فيغتم بنعمة ان اصابها
ويسر بمصيبة ان نزلت به ومنها ان يزيد على اضمار الحقد في الباطن
فيشمت بما يصيبه من البلاء ومنها ان يهجره ويقطعه وان طلبه
المحقود واقبل عليه ومنها ان يتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة
وافشاء سر وهتك ستر وغيرها ومنها ان يحاكيه استهزاء به وسخرية منه
ومنها ايذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه ومنها ان يمنعه حقه من
رحم او قضاء دين او رد مظلمة وكل ذلك حرام واقل درجات الحقد ان

عجز من هذه الآفات ولكن ليشتغل بالباطن ولا ينتهي قلبه
عن بغضه حتى يمتنع عما كان يتطوع به من البشاشة والرفق
والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله والمعاونة
على المنفعة له او يترك الدعاء له والثناء عليه والتحريص على بره
ومواساته فهذا كله مما ينقص درجته في الدين ويحول بينه
بين فضل عظيم والاولى ان يبقى على ما كان فان امكنه ان
يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك
مقام الصديقين قال رسول الله الا اخبركم بخير خلائق الدنيا
والآخرة العفو عمن ظلمك وتصل من قطعك والاحسان الى من
اساء اليك واعطاء من حرمك وقال عليكم بالعفو فان العفو
لا يزيد العبد الا عزا فتعافوا يعزكم الله وقال الباقر الندامة على
العفو افضل وايسر من الندامة على العقوبة وعن النبي ان الرفق
لم يوضع على شيء الا زانه ولا نزع من شيء الا شانه وقال الباقر
ان لكل شيء قفلا وقفل الايمان الرفق وقال ان الله رفيق
يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وقال الصادق

من كان

من كان رفيقا في امره نال ما يريد من الناس وقال الكاظم
الرفق نصف العيش فصل واعلم ان الحسد من نتائج الحقد كما ان الحقد
من نتائج الغضب ثم للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى
قال الله تعالى في معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من
فضله وقال ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم
كفارا حسدا من عند انفسهم وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم و
ان تصبكم سيئة يفرحوا بها وذكر حسد اخوة يوسف وعبر عما
في قلوبهم وما اداهم اليه من الرضا بقتله ثم ما اصابهم من ذلك
وقال رسول الله الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال
الله تعالى لموسى بن عمران يا ابن عمران لا تحسدن الناس على
ما آتيتهم من فضلي ولا تمدن عينيك الى ذلك ولا تتبعه نفسك فان
الحاسد ساخط لنعمتي صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي ومن يك
كذلك فلست منه وليس مني وقال استعينوا على قضاء الحوائج
بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال ثلث لا ينجو منهن احد
وفيه خاتمة قل من ينجو منهن الظن والحسد والطيرة وساحدثكم

بالخروج من ظلمات الظن فلا تحقق واذا تطيرت فامض فاذا
حسدت فلا تبغ وقال الصادق افة الدين الحسد والعجب والفخر وفي مصباح
الشريعة قال الصادق الحاسد مضر بنفسه قبل ان يضر بالمحسود
كابليس اورث بحسده لنفسه اللعنة ولادم الاجتباء والهدى
والرفع الى محل حقايق العهد والاصطفاء فكن محسودا ولا تكن
حاسدا فان ميزان الحاسد ابدا خفيف بثقل ميزان المحسود والرزق
مقسوم فماذا ينفع الحسد الحاسد وماذا يضر المحسود الحسد واصل الحسد
من عمى القلب وجحود فضل الله وهما جناحان للكفر وبالحسد وقع ابن
ادم في حسرة الابد وهلك مهلكا لا ينجو منه ابدا ولا توبة للحاسد
لانه مصر عليه معتقد به مطبوع فيه يبدو بلا معارض له ولا سبب و
الطبع لا يتغير عن الاصل وان عولج فصل معنى الحسد كراهة النعمة على
المحسود وحب زوالها فان لم يحب زوالها ولا يكره دوامها
عليه ولكن يشتهي لنفسه مثلها فيسمى غبطة وقد يسمى منافسة قال الله تعالى
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والغبطة ان كانت في الدنيا فمباح
وان كانت في الدين فمندوب قال النبي المؤمن يغبط والمنافق يحسد

وقال لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله مالا فسلطه على هلكته
في الحق ورجل اتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس سمى الغبطة
حسدا وهذا كما قد يسمى الحسد منافسة فان اصاب النعمة كافرا او
فاجرا وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء
الخلق فلا يضر كراهتها عليه وحب زوالها من حيث انها آلة الفساد
لا من حيث انها نعمة واسباب الحسد المذموم العداوة والتعزز والكبر
والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس
وبخلها فانه انما يكره النعمة عليه اما لانه عدوه فلا يريد له الخير واما
ان يكون من حيث يعلم انه يتكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره
وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما ان يكون في طبعه ان
يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان
يكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة و
هو المراد بالتعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان
يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه واما ان يكون يحب الرياسة التي
ينبني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما ان لا يكون لسبب من هذه

الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله وان كانت النعمة لا تنتقل
اليه وقد يجتمع هذه الاسباب او اكثرها في شخص واحد فيعظم لذلك الحسد
ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة وينهتك حجاب المجاملة
ويظهر العداوة بالمكاشفة فصل هذه الاسباب انما تكثر بين اقوام
تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون
على الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه في غرض من اغراضه نفر طبعه
وابغضه وثبت الحقد فيه فعند ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه
ويكافيه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه
واذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متنائيتين فلا يكون بينهما محاسدة
نعم اذا تجاوروا في مسكن او سوق او مسجد او مدرسة تواردوا على
مقاصد تتناقض فيها اغراضهم فيثور من التناقض التنافر والتباغض
ومنه يثور بقية الاسباب فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد
والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر دون غيره
الا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه
اكثر مما يحسد الاجانب والمرأة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما

ام الزوج وابنته فكذلك التزاحم على المقاصد ثم من اشتد حرصه
على الجاه وحب الصيت في جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد
كل من هو في العالم ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك
حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين اما الآخرة فلا ضيق
فيها وانما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى
ومعرفة صفاته وملائكته وانبيائه وملكوت ارضه وسمائه لم يحسد غيره
اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم الواحد
يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا ينقص لذة واحد بسبب غيره
بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة
اذ معرفة الله بحر واسع لا ضيق فيه والمنزلة عند الله ايضا لا ضيق فيه
لان اجل ما عند الله من النعم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ولا مزاحمة
بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا
لان المال هو اعيان واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر
ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف
عن تعظيم الآخر او نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سبب المحاسدة فصل

اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى امراض
القلب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد ان تعرف تحقيقا
ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر به على المحسود في الدين
ولا في الدنيا بل ينتفع به فيهما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو
نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة اما كونه ضررا عليك
في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي
قسمها لعباده وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك
واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان
وناهيك بهما جناية على الدين وقد انضاف اليه انك غششت رجلا
من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت اولياء الله وانبياءه في حبهم
الخير لعباده وشاركت ابليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا
وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تاكل حسنات القلب كما تاكل النار الحطب و
تمحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا في الدنيا عليك فهو انك
تتألم بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم اذ اعداؤك
لا يخليهم الله عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم

بكل

بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محزونا متشعب القلب ضيق الصدر
كما تشتهيه لاعدائك وكما يشتهي اعداؤك لك فقد كنت تريد المحنة لعدوك
فتنجزت في الحال محنتك نقدا ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك اذ لو كانت
النعم تزول بالحسد لم تبق لله عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة الايمان
ايضا لان الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان قال الله تعالى ودت
طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما
يشعرون بل ما قدره الله من اقبال ونعمة فلا بد ان يدوم الى
اجل قدره الله ولا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل
اجل كتاب ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا
ولا يكون عليه اثم في الآخرة واما ان المحسود ينتفع في الدين والدنيا
فواضح اما منفعته في الدين فهو انه مظلوم من جهتك لا سيما اذا اخرجك
الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه
فهذه هدايا تهدي بها اليه بانتقال حسناتك اليه حتى تلقاه مفلسا
محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فاضفت له نعمة الى نعمة و
اضفت لنفسك شقاوة الى شقاوتك واما منفعته في الدنيا فهو ان

اهم اغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين
مغمومين ولا عذاب اعظم مما انت فيه من الم الحسد وقد نفعك بنقلك
ما هو مرادهم فالحاسد ينبغي ان يحكم الحسد فكلما اقتضاه من قول
وفعل ينبغي ان يكلف نفسه بنقيضها فان بعثه الحسد على القدح
فيه كلف لسانه المدح له والثناء عليه وان حمله على التكبر الزم نفسه
التواضع له والاعتذار اليه فان بعثه على كف الانعام عنه الزم
نفسه الزيادة في الانعام فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود
طاب قلبه واحبه ومهما احبه عاد الحاسد واحبه وتولدت بينهما
الموافقة التي تقطع مادة الحسد ويصير ما تكلفه اولا طبعا آخر
والاصل في العلاج قمع اسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة
الحرص على ما لا يغني كما ياتي بيانه

الباب الرابع في الرياء والكبر والعجب

اعلم ان الرياء بالعبادات حرام وصاحبه ممقوت عند الله قال الله تعالى فويل للمصلين
الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون
وقال عز وجل يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وقال
كالذي ينفق ماله رئاء الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى

من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء وانا اغنى
الاغنياء عن الشرك وقال ع ان ادنى الرياء شرك وقال ع سياتي
على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعا في الدنيا
لا يريدون به ما عند ربهم يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف يعمهم الله
بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم وقال الصادق ع ان الملك
يصعد بعمل العبد مبتهجا به فاذا صعد بحسناته يقول الله تعالى اجعلوها
في سجين انه ليس اياي اراد بها وقال امير المؤمنين ع اخشوا الله خشية
ليست بتعذير واعملوا في غير رياء وسمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله
الى عمله وقال ع ثلث علامات للمرائي ينشط اذا راى الناس ويكسل
اذا كان وحده ويحب ان يحمد في كل اموره وعن الباقر ع الابقاء
على العمل اشد من العمل قيل وما الابقاء على العمل قال يصل الرجل
بصلة وينفق نفقة لله وحده لا شريك له فكتبت له سرا ثم يذكرها
فتمحى فكتبت له علانية ثم يذكرها فتمحى وتكتب له رياء وقال الصادق ع
قال الله تعالى انا خير شريك من اشرك معي غيري في عمل عمله لم اقبله الا ما كان
لي خالصا وقال كل رياء شرك انه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ومن

من عمل لله كان ثوابه على الله وقال ع في قول الله عز وجل فمن
كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال
الرجل يعمل شيئا من الثواب لا يطلب به وجه الله انما يطلب تزكية الناس
يشتهي ان يسمع به الناس فهذا الذي اشرك بعبادة ربه ثم قال ما من
عبد اسر خيرا فذهبت الايام ابدا حتى يظهر الله له خيرا وما من عبد
يسر شرا فذهبت الايام حتى يظهر الله له شرا وقال ع ما يصنع احدكم
ان يظهر حسنا ويسر سيئا اليس يرجع الى نفسه فيعلم ان ذلك ليس كذلك
والله تعالى يقول بل الانسان على نفسه بصيرة ان السريرة اذا صحت قويت
العلانية وقال من اراد الله بالقليل من عمله اظهر الله له اكثر
مما اراد ومن اراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر
من ليله ابى الله الا ان يقلله في عين من سمعه ولا باس بالسرور
اذا كان قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه
الخلق علم ان الله اطلعهم عليه واظهر الجميل من حاله فيستدل به
على حسن صنيع الله به ونظره له ولطفه به فانه يستر الطاعة والمعصية
ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة فيكون فرحه بجميل نظر الله

م

له لا بحمد الناس له وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال الله تعالى
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وكذا اذا استدل
باظهار الله الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا انه كذلك يفعل به
في الاخرة قال رسول الله ص ما ستر الله على عبد في الدنيا الا ستر عليه
في الاخرة فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال وهذا التفات الى
المستقبل وكذا اذا ظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة
فيتضاعف بذلك الاجر فيكون له اجر العلانية بما اظهر اخرا واجر
السر بما قصد اولا ومن اقتدى به في طاعة فله اجر اعمال المقتدين
به من غير ان ينقص من اجورهم شيء وكذا اذا فرح بطاعتهم لله
في مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة روي ان رجلا
قال لرسول الله ص يا رسول الله اسر العمل لا احب ان يطلع عليه احد
فيطلع عليه فيسرني قال لك اجران اجر السر واجر العلانية وعن
ابي ذر انه سئل عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه الناس فيسره
ذلك قال لا باس ما من احد الا وهو يحب ان يظهر الله له في الناس
الخير اذا لم يكن صنع ذلك لذلك وكذا الكلام في كتمان المعاصي الا ان

ينفذ فيه الورع بل المحتاج من ذلك او لان الستر مامور به
ويعرض بكراهة ظهورها اعني الغيرة لا الرياء بالذنب فهو مباح
لكونه جبليا او لان الناس شهداء الله كما ورد او لان الذنب معصية
عاصيا ويعرض بشيوعه ذمه وذم غيره او الخوف ان يقصد بسوء او الحياء
هو كرم الطبع كما ورد الحياء كله خير الحياء شعبة من الايمان او
لان لا يقتدي به غيره او حب محبة الناس له ليعلم محبة الله له فان
من احبه الله جعله محبوبا في قلوب الناس فصل اعلم ان الرياء بالعبادة
انما ينشأ من حب لذة الحمد والفرار من الم الذم والطمع لما في
ايدي الناس فهاهنا عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه
وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله
وما يتعرض له من العقاب والمقت والخزي وهو قابل ما يحصل له
من العباد وما يتزين لهم في الدنيا بما يفوته من الآخرة وما يحبط
عليه من ثواب الاعمال لترك الرياء لا محالة مع ان العمل الواحد
ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا فسد بالرياء حول الى
كفة السيئات فيترجح به ويهوي الى النار هذا مع ما يتعرض له في الدنيا

من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضاء الناس غاية
لا تدرك وكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط
بعض ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه واسخطهم عليه
ثم اي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم ولا يزيده حمدهم
رزقا ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيمة واما
الطمع بما في ايديهم فبان يعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع
والاعطاء وان الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن طمع
في الخلق لم يخل عن الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة
والمهانة فاذا قرر في قلبه آفة هذه الاسباب وضررها فترت رغبته واقبل
على الله قلبه ويكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء و
الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله من سره حتى يبغضه الى الناس ولو خلص
لله لكشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له واطلق السنتهم بمدحه
والثناء عليه مع انه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم ثم ينبغي ان يعود
نفسه اخفاء العبادة واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دونه
الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عبادته ولا تنازعه النفس الى

طلب علم فيه لله به وذلك ان شرع في بداية المجاهدة لكن اذا صبر عليه
مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه بتوصل الطاف الله
تعالى وتمده بعبادة من حسن التوفيق والتأييد ولكن الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية و
لا يضيع اجر المحسنين وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع اكثر ما يقع
الرياء في النظر والاكل والكلام والمشي والمجالسة واللباس والضحك و
الصلوة والحج والجهاد وقراءة القرآن وسائر العبادات الظاهرة ومن
اخلص لله باطنه وخشع له بقلبه وراى نفسه مقصرا بعد بذل المجهود
وجد الشكر عليه حاصلا ويكون ممن يرجى له الخلاص من الرياء و
النفاق اذا استقام على ذلك في كل حال فصل واما الرياء بترك العبادات
فقد يكون مستحبا وقد يكون واجبا اذ يجب على المؤمن صيانة عرضه
فان لا يفعل ما يعاب به فلا يليق بذوي المروات ان يرتكبوا الامور
الخسيسة بانفسهم عند مشاهدة الناس وان جاز لهم في الخلوة الا
ان ذلك يختلف باختلاف الازمنة والبلاد والاشخاص من الغناء
فلا بد من مراعاة ذلك ففي الصادقة انه نظر الى رجل من اهل المدينة

قد اشترى لعياله شيئا وهو يحمله فلما راه الرجل استحيى منه فقال له اشتريته
لعيالك وحملته اليهم اما والله لولا اهل المدينة لاحببت ان اشترى
لعيالي الشيء ثم احمله اليهم اراده مخافة ان يعيبوني على ذلك ثم ان
امير المؤمنين ع كان يفعل مثل الاشتراء لما كان في زمان لا يعاب
عليه عند جاز له ان يرتكبه وكان منقبة له وتعليما وروى ان
رسول الله ص اراد يوما ان يخرج على اصحابه فكان ينظر في حب من الماء
ويسوي عمامته وشعره فقيل له او تفعل ذلك يا رسول الله فقال نعم
ان الله يحب من العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم وقال علي ع
ليتزين احدكم لاخيه المسلم كما يتزين للغريب الذي يحب ان يراه في احسن
الهيئة وقال الصادق ع الثوب النقي يكبت العدو وكل ذلك رياء محبوب
فصل واما الكبر فانه من نتايج العجب والكبر ينشأ من الحقد او الحسد او
الرياء وقد ذم الله التكبر في مواضع من كتابه فقال الله تع ساصرف عن
اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال كذلك يطبع الله على كل قلب
متكبر جبار وقال رسول الله ص لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال
حبة من خردل من كبر وقال من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله

وهو عليه غضبان وقال الباقر عليه السلام الكبر رداء الله والمتكبر ينازع الله
رداءه وقال الصادق عليه السلام الكبر ان تغمص الناس وتسفه الحق وقال عليه السلام في
رواية اخرى سفه الحق بان يجهل الحق ويطعن على اهله والغمص بتحقير
الناس والتجبر عليهم وقال عليه السلام ما من احد يتكبر او يتجبر الا لذلة وجدها
في نفسه وقال ان في جهنم لواديا للمتكبرين يقال له سقر شكى الى الله
شدة حرها وسأله ان ياذن له ان يتنفس فتنفس فاحرق جهنم وقال
ان المتكبرين يجعلون في صور الذر يتوطاهم الناس حتى يفرغ الله
من الحساب وقال عليه السلام ان في السماء ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع
رفعاه ومن تكبر وضعاه وعن النبي صلى الله عليه وآله ما تواضع احد لله الا
رفعه الله وعنه صلى الله عليه وآله انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة
لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وعنه صلى الله عليه وآله انه قال لاصحابه ما لي لا ارى عليكم
حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وعنه صلى الله عليه وآله قال
اذا رأيتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا
عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار وعن السجاد عليه السلام انه مر على المجذومين
وهو راكب حمارا وهم يتغدون فدعوه الى الغداء فقال اما اني لو لا

اني

اني صائم لفعلت فلما صار الى منزله امر بطعام فصنع وامر ان يتنوقوا
فيه ثم دعاهم فتغدوا عنده وتغدى معهم وعن الباقر عليه السلام قال
التواضع ان تعطي الناس ما تحب ان تعطاه وفي مصباح الشريعة قال
التواضع اصل كل شرف نفيس ومرتبة رفيعة ولو كان للتواضع لغة
يفهمها الخلق لنطق عن حقائق ما في مخفيات العواقب والتواضع ما
يكون لله وفي الله وما سواه مكر ومن تواضع لله شرفه الله على كثير
من عباده ولاهل التواضع علامات يعرفها اهل السموات من الملائكة
واهل الارض من العارفين قال الله عز وجل وعلى الاعراف رجال
يعرفون كلا بسيماهم واصل التواضع من اجلال الله وهيبته وعظمته
وليس لله عز وجل عبادة يرضاها ويقبلها الا وبابها التواضع ولا يعرف ما
في حقيقة التواضع الا المقربون من عباده المتصلين بوحدانيته قال الله
عز وجل وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما وقد امر الله عز وجل اعز خلقه وسيد بريته محمدا صلى الله عليه وآله بالتواضع
فقال عز وجل واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين والتواضع مزرعة
الخشوع والخضوع والخشية والحياء وانهن لا يأتين الا منها وفيها ولا يسلم الشرف

الناس لحقيقي الا للمتواضعين في ذات الله **فصل** التكبر قد يكون على الله

كما كان لنمرود وفرعون وقد يكون على رسله كما كان لمن كان يقول

اهؤلاء من الله عليهم من بيننا وقد يكون على سائر الناس بان

يستعظم نفسه ويستصغر غيره فاذا سمع الحق من عبد من عباد الله

استنكف من قبوله واشمأز من جحده كما يكون لاكثر المناظرين في العلوم

للغلبة والافحام ثم قد يكون بالعلم وقد يكون بالعبادة والورع

وقد يكون بالنسب والحسب والجمال والمال والقوة وكثرة الانصار والاتباع

والتكبر بالعلم له سببان احدهما ان يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس

بعلم حقيقي والثاني ان يخوض في العلم وهو خبيث النفس رديء الاخلاق

لم يهذب نفسه اولا ولم يزكها بالمجاهدة ولم يرض نفسه في عبادة

ربه فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم اي علم كان صادف العلم من

قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره وعلاجه ان يعلم

ان الكبر لا يليق الا بالله عز وجل وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله

بغيضا وقد احب الله منه ان يتواضع فلا بد ان يكلف نفسه ما يحبه

مولاه وان يعلم ان حجة الله على اهل العلم اكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل

عشرة

عشرة من العالم وانه من عصى الله عن معرفة وعلم فجنايته افحش

اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها

كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول

كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله علماء

اليهود بالحمار وبلعم بن باعوراء بالكلب وقال عيسى بن مريم ويل للعلماء

السوء كيف تلظى عليهم النار وقال الصادق يغفر للجاهل سبعون

ذنبا قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد وعلى العابد الورع ان يعلم ان

من يتقدمه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه لما يعرف من فضيلة العلم وكفاءته

وكما ان العلم يمكن ان يكون نقمة على العالم يمكن ان يكون وسيلة له

لذنوبه ان الحسنات يذهبن السيئات وامر العالم في خطر مستور واما

المدار على الخاتمة فعليه ان يرى من هو شر منه ان يقول لعل هذا ينجو واهلك

انا فلا يراه شرا منه خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك

خير له ولا ادري لعل فيه خلق كريم بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه

ويختم له باحسن الاعمال ويرتج ظاهره فذلك شرط لا امن فيه اظهر من

الطاعة ان يكون دخلها الآفات فاحبطها وبالجملة من جوز ان يكون
عند الله شقيا وقد سبق القضاء الازلي بشقوته فما له سبيل الى ان يتكبر
بحال من الاحوال نعم اذا غلب الخوف فراى كل احد خيرا من نفسه وذلك
هو الفضيلة قال الله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة اي يؤتون
بالطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها ومن يعتبر الكبر من جهة
النسب فليداو قلبه بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل من حيث تعزز
بكمال غيره ولذلك قيل لئن فخرت بآباء ذوي شرف لقد صدقت وفي
لكن بئسما ولدوا فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا في صفات ذاته فمن اين
يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينتسب اليه حيا لكان له ان يقول الفضل
لي ومن انت انما انت دودة خلقت من فضلتي والثاني ان يعرف نسبه الحقيقي
فيعرف اباه وجده فان اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب
ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال الذي احسن كل شيء خلقه وبدا
خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين واما الكبر
بالجمال فدواؤه ان ينظر الى باطنه نظر العقلاء ليرى من القبائح ما
يكدر عليه التعزز بجماله فانه وكل به الاقذار في جميع اجزائه الرجيع في امعائه

والبول في مثانته والمخاط في انفه والبصاق في فيه والوسخ في اذنيه
والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطه يغسل
الغائط كل يوم دفعة او دفعتين بيده ويتردد الى الخلاء كل يوم مرة
او مرتين ليخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلا ان يمسه
او يشمه وفي اول امره خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم
الحيض وخرج من مجرى البول الى الرحم مغيض دم الحيض ثم مجرى القذر
ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعهده بالتنظيف والغسل لثارت منه
الانتان والاقذار وسيصير جيفة اقذر من سائر الاقذار
واما التكبر بالقوة فيمنعه من ذلك ان يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض
وانه لو توجع عرق واحد في بدنه لصار اعجز من كل عاجز واذل من كل
ذليل وانه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت
في انفه او نملة دخلت في اذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت رجله لاعجزته
وان حمى يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة ثم ان اقوى انسان لا يكون
اقوى من حمار او فيل او جمل او بقر واي افتخار في صفة تسبقه البهائم
فيها واما التكبر بالغنى وكثرة المال والاتباع فذلك تكبر بمعنى خارج من ذاته

الانسان لا كالجبال والقوة والعمل وهذا اقبح انواع التكبر فان اشره في
لسبقه اليهود وان لم يشرف باخذه السارق والمتكبر بتكبر السلطان
بما امره على قلبه واشتغلها ناس الفقر فان تعزز عليه كان اذل
الخلق وكل متكبر بامر خارج من ذاته فهو ظاهر الجهل فصل اعلم انه
لا يتم الشفاء من الكبر الا باستيصال اصله من منبته وقلع شجرته من مغرسه
في القلب وذلك بان يعرف ربه وانه لا يليق العظمة والكبرياء الا الله
وان يعرف نفسه حق المعرفة ليعلم انه بذاته اذل من كل ذليل واقل
من كل قليل ولا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة ويكفيه ان
واحدة من كتاب الله عز وجل ان فيه تبصرة قال الله تعالى قتل الانسان
ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته
فاقبره ثم اذا شاء انشره نعم لو اكمله وفوض اليه امره وادام له الوجود
باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدأ والمنتهى ولكنه سلط عليه في دوام
وجوده الامراض الهائلة والاسقام العظيمة والافات المختلفة والطبائع
المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض من اجزائه البعض
شاء ام ابى رضي ام سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت كرها

لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا حياة ولا نشورا يريد ان يعلم الشيء فيجهله
يريد ان يذكر الشيء فيغفل عنه ولا يغفل ويريد ان يصرف قلبه الى ما يهمه
فيجول في اودية الوسواس والافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه
ولا نفسه نفسه يشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشيء وربما يكون
حياته فيه يستلذ الاطعمة فتهلكه وترديه ويستبشع الادوية وهي
تنفعه وتحييه لا يأمن في لحظة من ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره وعلمه
وعلمه وتفلج اعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما
يهواه في دنياه وهو مضطر ذليل ان ترك ما بقي وان اختطف فني عبد
مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا من غيره فاي شيء اذل منه لو عرف نفسه
وانى يليق الكبر به الا لجهله فهذا وسط احواله فليتأمل اوله واما اخره
مورده فهو الموت المشار اليه بقوله ثم اماته فاقبره فيصير جيفة منتنة قذرة
ثم تبلى اعضاؤه وتتفتت اجزاؤه فتنخر عظامه فيصير رميما رفاتا
ثم يصير دودا فيأكل الديدان فيهرب من الحيوان او يستقذره كل انسان
واحسن احواله ان يعود الى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان ويعمر به البنيان
فاحسن لو ترك ترابا بل يحيى بعد طول البلى ليقاسي شدة البلاء فيخرج

من ... يجمع اجزاءه المتفرقة ويخرج الى اهوال القيامة فينظر الى قيامة
قائمة وسماء ممزقة منشقة وارض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة
وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجهنم تزفر وجنة
ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيرى فيها ما نطق به
وعمل من قليل وكثير ونقير وقطمير وهو معنى قوله عز وجل ثم اذا شاء
انشره فالمرء هذا حاله والتكبر بل ما له والفرح في لحظة فضلا عن البطر
والتجبر واما العلاج العملي فهو التواضع بالفعل لله تعالى ولسائر الخلق
بالمواظبة على اخلاق المتواضعين فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل
على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد وقيل لسلمان لم لا
تلبس جديدا فقال انما انا عبد فاذا اعتقت يوما لبست اشار به الى العتق
في الاخرة وللتواضع امتحانات يعرف بها التواضع فلا ينبغي ان يقنع نفسه
بما يخطر بباله بانه متواضع فانه قد يظن التواضع ويدعي البراءة من
الكبر فاذا حصلوا في الامتحان عادت النفس الى طبعها وثبت عندها ثم
المهم ان يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفي الامور ذميم
واحب الامور الى الله اوسطها وهو ان يعطي كل ذي حق حقه وهو العدل

ضر واما العجب فهو استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم
فان كان خائفا على زوالها مشفقا على تكدرها او يكون فرحه بها
من حيث انها من الله من دون اضافتها الى نفسه فليس بمعجب فان انضاف الى
ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله حقا وانه منه بمكان واستبعد ان
يجري عليه مكروه سمي ادلالا بالعمل فكأنه يرى انه على الله دالة
وكذلك قد يعطي غيره شيئا فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا فان استخدمه
واقترح عليه الاقتراحات واستبعد تخلفه من قضاء حقوقه كان مدلا
عليه قال الله تعالى في معرض الانكار ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وقال
وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا
وقال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا يرجع الى العجب بالعمل و
قد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه قال الله
تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع
وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقالت عائشة اذا رأيت شحا مطاعا وهوى
متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك وقال لو لم تذنبوا
لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب قال الصادق ان الله تعالى

علم ان الذنب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك ما ابتلي مؤمن بذنب
ابدا وقال ان الرجل ليذنب الذنب فيندم عليه ويعمل العمل فيسره ذلك
فيتراخى عن حاله تلك فلأن يكون على حاله تلك خير له مما دخل فيه
وعنه ع قال اتى عالم عابدا فقال له كيف صلوتك فقال مثلي يسأل عن
صلوته وانا اعبد الله منذ كذا قال فكيف بكاؤك فقال ابكي حتى تجري دموعي
فقال له العالم ان ضحكك وانت خائف افضل من بكائك وانت مدل
ان المدل لا يصعد من عمله شيء وعن الباقر ع قال دخل رجلان المسجد احدهما
عابد والآخر فاسق فخرجا من المسجد والفاسق صديق والعابد فاسق
وذلك انه دخل العابد المسجد مدلا بعبادته يدل بها فيكون فكرته في
ذلك ويكون فكرة الفاسق في التندم على فسقه ويستغفر الله مما صنع
من الذنوب وقال ع قال موسى لابليس اخبرني بالذنب الذي اذا اذنبه
ابن آدم استحوذت عليه فقال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في
عينه ذنبه وقال قال الله تعالى لداود يا داود بشر المذنبين وانذر الصديقين
قال كيف ابشر المذنبين وانذر الصديقين قال يا داود بشر المذنبين
اني اقبل التوبة واعفو عن الذنب وانذر الصديقين ان لا يعجبوا باعمالهم

فانه ليس عبد ينصب للحساب الا هلك وعن الكاظم ع انه سئل عن
العجب الذي يفسد العمل فقال العجب درجات منها ان يزين للعبد سوء
عمله فيراه حسنا فيعجبه ويحسب انه يحسن صنعا ومنها ان يؤمن العبد بربه
فيمن على الله ولله عليه فيه المن وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع
العجب كل العجب ممن يعجب بعمله وهو لا يدري بما يختم له فمن اعجب بنفسه و
فعله فقد ضل عن نهج الرشاد وادعى ما ليس له والمدعي من غير
حق كاذب وان اخفى دعواه وطال دهره فانه اول ما يفعل بالمعجب
نزع ما اعجب به ليعلم انه عاجز حقير ويشهد على نفسه ليكون الحجة عليه اوكد
كما فعل بابليس والعجب نبات حبها الكفر وارضها النفاق وماؤها
البغي واغصانها الجهل وورقها الضلالة وثمرها اللعنة والخلود
في النار فمن اختار العجب فقد بذر الكفر وزرع النفاق ولا بد من
ان يثمر فصل اعلم ان آفات العجب كثيرة منها ان يدعو الى الكبر لانه احد
اسبابها كما اشرنا اليه ومنها ان يدعو الى نسيان الذنوب وما يتذكر
منها فيستصغرها ولا يستعظمها فلا يجتهد في تداركها وتلافيها بل يظن
انها تغفر له واما العبادات فيستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها

نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منهما ثم اذا اعجب بها عمي عن آفاتها
ومن لم يتفقد آفات الاعمال كان اكثر سعيه ضائعا فان الاعمال
الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية من الشوائب قلما تنفع وانما يتفقد
من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبربه
ويامن مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وان له عند الله
منة وحقا باعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب الى
ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها فان اعجب برايه وعمله وعقله منع ذلك
من الاستفادة والاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه وبرايه ويستنكف
عن سؤال من هو اعلم منه وربما يعجب بالراي الخطا الذي خطر له فيفرح
بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا
وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ولو اتهم نفسه ولم يثق
برايه واستضاء بنور القران واستعان بعلماء الدين وواظب على
مدارسة العلم وسؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وامثاله
من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن اعظم آفاته ان يفتر في
السعي لظنه انه قد فاز واستغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه

فصل اعلم ان الانسان قد يعجب بالاسباب التي يتكبر به وعلاجه فيما
ذكرناه في الكبر وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالراي الخطاء الذي يزين
له بجهله وقد اخبر رسول الله صلعم ان ذلك يغلب على آخر هذه الامة وبذلك
هلكت الامم اذ افترقت فرقا وكل معجب برايه وكل حزب بما لديهم فرحون
وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا عليها لعجبهم بارائهم والعجب بالبدعة هو
ما يسوق اليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب اشد
من غيره لان صاحب الراي الخطا جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا
يعالج الداء الذي لا يعرف والعارف يقدر على ان يبين للجاهل
جهله ويزيله عنه الا اذا كان معجبا برايه وجهله فانه لا يصغي الى
العارف ويتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها
نعمة وكيف يمكن الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده وانما علاجه
في الجملة ان يكون متهما لرايه ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له قاطع من
كتاب او سنة او دليل عقلي صحيح جامع لشروط الادلة
ولن يعرف الانسان ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط
فيها الا بقريحة تامة وعقل ثاقب وجد وتشمر في الطلب وممارسة

الكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومدارسته للعلوم
ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الامور والصواب للعوام لم يتفرغ
لاستغراق عمره في العلم ان لا يخوض في المذاهب ولا يصغي اليها
ولا يسمعها ولكن يعتقد ان الله واحد لا شريك له وانه ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير وان رسوله صادق فيما اخبر به ويتبع ائمة الهدى
من اهل بيت النبوة ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث
وتفتيش ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي والتفقه على المسائل و
سائر الاعمال المرضية فصل ولما كان علاج كل علة بمقابلة سببها بضده
وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط
فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة فان العجب بهذا
اغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب ومما لا يدخل تحت اختياره ولا
يراه من نفسه فنقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب اما
ان يكون يعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه او من حيث انه صدر بسببه و
من ربه وقدرته فان كان الاول فهو جهل لان المحل مسخر واما يجري فيه وعليه
من غيره ولا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان

الثاني فينبغي ان يتامل في قدرته وارادته واعضائه وسائر الاسباب التي بها
تم عمله انها من اين كانت له فان كان علم ان جميع ذلك نعمة من الله تعالى عليه
من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدل بها فينبغي ان يكون عجبه بجوده
وكرمه وفضله اذا افاض عليه ما لا يستحقه واثره به على غيره من غير سابقة
ووسيلة فان قال وفقني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك
فيقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما
من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب
بجوده اذا انعم بوجودك وبوجود صفاتك وبوجود اعمالك واسباب
اعمالك فاذن لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله
وعجب الغني بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان
فضل الله وجوده والمحل ايضا من فضله وجوده فانه هو الذي خلقك
وخلق اعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل
والعلم والارادة ولو اردت ان تنفي شيئا من ذلك عن نفسك لم تقدر
عليه ثم خلق الحركات في اعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة
له من جهتك معه في الاختراع الا انه خلقها على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق

في العضو وفي القلب ارادة ولم يخلق ارادة ما لم يخلق علماً بالمراد ولم
يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم فيظهر في الخلق شيئاً
بعد شيء هو الذي خيّل اليك انك انت وجدت طاعات وقد فعلت فان
تحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الاسباب كلها من الله تعالى
ليس شيء منها اليك فمن العجائب ان تعجب بنفسك ولا تعجب من الله الا
كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في ايثاره اياك على الفساق منعنا دوم
اذ مكنهم من اسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث
الخير وداعيته وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل
ذلك كله بك وبهم من غير وسيلة سابقة منك ولا جريرة سابقة منهم
ودعا نبي الله ايوب عليه السلام فقال الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي امر
الا آثرت هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة آلاف صوت يا ايوب
انى لك ذلك قال فاخذ رمادا فوضعه على راسه قال منك يا رب
فرجع عن نسيانه واضاف ذلك الى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى
ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابداً وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا

ان يتغمدني الله برحمته فاذن هذا هو العلاج القاطع لمادة
العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة
عن الاعجاب بها

المقالة الثانية في ذم الدنيا والاغترار بها وفيها خمسة ابواب

الباب الاول في معرفة الدنيا والاخرة

فنقول دنياك وآخرتك عبارتان
عن حالتين من احوال قلبك فالقريب الداني منهما يسمى دنيا وهي كل
ما قبل الموت والمتراخي المتأخر يسمى آخرة وهي ما بعد الموت فكل ما لك
فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة
فهي الدنيا في حقك الا ان جميع ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ
فليس بمذموم وذلك لان ما يصحبك في الدنيا ويبقى معك ثمرته بعد
الموت وهو العلم النافع والعمل الصالح فهو من الآخرة في الحقيقة دائماً
يسمى بالدنيا باعتبار دنوه فان العالم قد يأنس بالعلم حتى يصير ذلك
الذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمنكح والمطعم في لذته لانه اشهى عنده
من جميعها فقد صار حظاً عاجلاً في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا
المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلاً بل قلنا انه من الآخرة وكذلك العابد
قد يأنس بعبادته ويستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك اعظم العقوبات

عليه ع قال بعضهم ما اخاف من الموت الا من حيث انه يحول بيني وبين
قيام الليل بل يقول ان من جملة العمل الصالح الذي هو من الحرص
الحرص للرزق قال النبي ص العبادة سبعون جزءا افضلها طلب الحلال
وقال ص ملعون من القى كله على الناس وقال امير المؤمنين ع اوحى الله
عز وجل الى داود انك نعم العبد لولا انك تاكل من بيت المال ولا
تعمل بيدك شيئا فبكى داود ع اربعين صباحا فاوحى الله عز وجل الى
الحديد ان لن لعبدي داود فالان الله له الحديد وكان يعمل كل يوم درعا
فيبيعها بالف درهم فعمل ثلثمائة وستين درعا فباعها بثلثمائة الف
وستين الفا واستغنى من بيت المال وقال ع ان الدنيا دنيا
بلاغ ودنيا ملعونة وقال الباقر ع من طلب الرزق في الدنيا
استعفافا عن الناس وسعيا على اهله وتعطفا على جاره لقي الله عز وجل
ووجهه مثل القمر ليلة البدر وقال الصادق ع الكاد على عياله كالمجاهد
في سبيل الله وقال ع خير رجل لا اصدقن فيه ولا اصلين ولا اصومن
ولا اعبدن ربي واما رزقي فيأتيني قال هذا احد الثلثة الذين لا يستجاب
لهم وقال ع ان الله يحب الاغتراب في طلب الرزق وقال ع رجل ادع الله

انا لنطلب الدنيا ونحب ان نؤتاها فقال تحب ان تصنع بها ماذا قال
اعود بها على نفسي وعيالي واصل بها واتصدق بها واحج واعتمر فقال
ليس هذا طلب الدنيا هذا طلب الآخرة وقال ليس منا من ترك دنياه لآخرته
ولا آخرته لدنياه وقال لا تكسلوا في طلب معايشكم فان آباءنا كانوا يركضون
فيها ويطلبونها وعن علي بن ابي حمزة قال رايت ابا الحسن ع يعمل في
ارض قد استنقعت قدماه في العرق فقلت جعلت فداك اين الرجال
فقال يا علي قد عمل باليد من هو خير مني في ارضه ومن ابي فقلت
من هو فقال رسول الله ص وامير المؤمنين وآبائي ع كلهم كانوا قد
عملوا بايديهم وهو من عمل النبيين والمرسلين والاوصياء والصالحين

فصل اعلم انه لا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلث صفات صفاء القلب يعني
طهارته من ادناس الدنيا وانسه بذكر الله وحبه لله وصفاء القلب
لطهارته لا يحصل الا بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة
ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلث هي المنجيات
المسعدات بعد الموت وهي الباقيات الصالحات وقد ورد في الخبر ان
اعمال العبد تناضل عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع

عشروا فاحيا من قبل يديه جاءت الصدقة تدفع الحديث وأما الأنس
والحب فهما يوصلان العبد إلى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة
تتعجل عقيب الموت إلى أن يدخل الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف
لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن له إلا محبوب واحد وكانت العوائق
تعوقه عن الأنس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وأفلت
من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سالما من الموانع
آمنا من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن
له محبوب إلا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق
الحيلة في الرجوع إليه وليس الموت عدما إنما هو فراق لمحاب الدنيا
وقدوم على الله تعالى فإذن سالك طريق الآخرة هو المواظب على أسباب هذه
الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا
ويبغض إليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن
وصحة البدن لا تنال إلا بالقوت والملبس والمسكن ويحتاج كل واحد
إلى أسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاثة إذا أخذه العبد من
الدنيا للآخرة لم يكن من أبناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة الآخرة

وإن أخذ ذلك على قصد التنعم وحظ النفس صار من أبناء الدنيا
والراغبين في حظوظها إلا أن الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم إلى ما
يعرض صاحبه لعذاب الله في الآخرة ويسمى ذلك حراما وإلى ما يحول
بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا
والبصير يعلم أن طول الموقف في عرصات القيامة لأجل المحاسبة أيضا عذاب فمن
نوقش الحساب عذب فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب
بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على
القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو أيضا
عذاب وقس به حالك في الدنيا إذا نظرت إلى أقرانك وقد سبقوك
بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات مع علمك
بأنها سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا صفاء لها
فما حالك في فوات سعادة لا يحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الأزمان
والدهور دون غايتها وكل من كانت معرفته أقوى وأتقن كان حذره
من نعيم الدنيا أشد حتى أن عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم رمى به إذ
تمثل له إبليس وقال رغبت في الدنيا وحتى أن سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس

من لذائذ الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه هذا
الطريق امتحانا وشدة فان الصبر عن لذائذ الاطعمة مع وجودها اشد و
لهذا زوى الله الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوي اياما ولهذا سلط
الله البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك
نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الاخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق
ولده لذيذ الفواكه ويلزمه الم الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له
لا بخلا به عليه وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما
هو لله فليس من الدنيا **فصل** فتظهر مما ذكرنا ان الدنيا حظ نفسك العاجل
الذي لا حاجة اليه لامر الاخرة ويعبر عنه بالهوى واليه الاشارة بقوله تعالى ونهى
النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى ومجامع الهوى خمسة امور وهي
ما جمعه الله عز وجل في قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي منها تحصل هذه
الامور الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام
والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب فقد عرفت ان الدنيا

الدنيا الآن لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه المستهتر
لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب
ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر
الغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء
وحب التكاثر والتفاخر هذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة
فهي الاعيان المذكورة والعلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله
باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات
والحرف التي الخلق مشغولون بها بحيث نسوا انفسهم ومآلهم ومنقلبهم
ولو عرفوا سبب الحاجة اليها واقتصروا عليها لم تستغرقهم اشغال الدنيا
وانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها وتتابعت الاشغال
واتصلت بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا في
كثرة الاشغال ونسوا مقصودها وكل ما ورد في ذم الدنيا ينبغي
المهذب **الباب الثاني** فيما ورد في ذم الدنيا اعلم ان الدنيا عدوة لله عدوة
لاولياء الله وعدوة لاعداء الله اما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على
عباد الله ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها واما عداوتها لاولياء الله

فانها تزينت لهم بزينتها وغرتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا
مرارة الصبر في مقاطعتها واما اعداؤها اعداء الله فانها استدرجتهم
بمكرها ومكيدتها واقتنصتهم بشباكها حتى وثقوا بها وعولوا
عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها
الاكباد ثم حرمتهم عن السعادة ابد الاباد فهم على فراقها يتحسرون
ومن مكائدها يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم اخسئوا فيها
ولا تكلمون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينصرون والايات الواردة في ذم الدنيا كثيرة
واكثر القران مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى
الاخرة بل هو مقصود بعثة الانبياء ولم يبعثوا الا لذلك فلا
حاجة الى الاستشهاد بايات القران لظهورها وانما نورد بعض
الاخبار الواردة في ذمها لكونه انموذجا لغيره مما لا يحصى فعن الباقر
قال خرج النبي ص وهو محزون فاتاه ملك ومعه مفاتيح خزائن الارض
فقال يا محمد هذه مفاتيح خزائن الارض يقول لك ربك افتح و
خذ منها ما شئت من غير ان تنقص شيئا عندي فقال رسول الله ص الدنيا

دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له فقال الملك والذي
بعثك بالحق نبيا لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقوله في السماء
الرابعة حين اعطيت المفاتيح وعنه ع قال مر رسول الله ص بجدي اسك
ملقى على مزبلة ميتا فقال لاصحابه كم يساوي هذا فقالوا لعله لو كان
حيا لم يساو درهما فقال النبي ص والذي نفسي بيده الدنيا اهون
على الله من هذا الجدي على اهله وعنه ع قال قال رسول الله ص ان
في طلب الدنيا اضرارا بالاخرة وفي طلب الاخرة اضرارا بالدنيا
فاضروا بالدنيا فانها اولى بالاضرار وعنه ع قال قال رسول الله ص مالي
وللدنيا انما مثلي ومثلها كمثل راكب رفعت له شجرة في يوم صائف
فقال تحتها ثم راح وتركها وعنه ع قال كتب امير المؤمنين ع الى
بعض اصحابه يعظه اوصيك ونفسي بتقوى الله من لا تحل معصيته
ولا يرجى غيره ولا الغنى الا به فان من اتقى الله عز وقوي وشبع و
روي ورفع عقله عن اهل الدنيا فبدنه مع اهل الدنيا وقلبه و
عقله معاين الاخرة فاطفأ بضوء قلبه ما ابصرت عيناه من حب الدنيا
فقذر حرامها وجانب شبهاتها واضر والله بالحلال الصافي

فلا بد له من كرة يشتد بها صلبه وتؤب بها الى عودة من غلظ
فايجد واحشه ولم يكن له فيها الا بد منه تقمه ولا رجاء فوقت
ورجاء قاع على خالق الاشياء فجد واجتهد واتعب بدنه حتى بدت
الاضلاع وغارت العينان فابدل الله له من ذلك قوة في بدنه وشدة
في ... وما ذخر له في الآخرة اكثر فارفض الدنيا فان حب الدنيا
يعمي ويصم ويبكم ويذل الرقاب فتدارك ما بقي من عمرك ولا تقل غدا
بعد غد فانما هلك من كان قبلك باقامتهم على الاماني والتسويف
حتى اتاهم امر الله بغتة وهم غافلون فنقلوا على اعوادهم الى قبورهم
المظلمة الضيقة وقد اسلمهم الاولاد والاهلون فانقطع الى الله بقلب
منيب من رفض الدنيا وعزم ليس فيه انكسار ولا انخزال اعاننا الله
واياك على طاعته ووفقنا واياك لما يرضيه وقال للمؤمنين
في صفة الدنيا ما اصف من دار اولها عناء وآخرها فناء في حلالها
حساب وفي حرامها عقاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها
حزن ومن ساعاها فاتته ومن قعد عنها اتته ومن ابصر بها بصرته
ومن ابصر اليها اعمته وعن الباقر ع قال قال علي بن الحسين ع ان الدنيا

قد ارتحلت

قد ارتحلت مدبرة وان الآخرة قد ارتحلت مقبلة ولكل واحد منهما
بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا وكونوا
من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة الا ان الزاهدين في
الدنيا اتخذوا الارض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقرضوا
من الدنيا تقريضا الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن
اشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت المصائب
عليه الا ان لله عبادا كمن رأى اهل الجنة في الجنة مخلدين وكمن رأى
اهل النار في النار معذبين شرورهم مأمونة وقلوبهم محزونة
انفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا اياما قليلة فصاروا بعقبى
راحة طويلة اما الليل فصافون اقدامهم تجري دموعهم على خدودهم
وهم يجأرون الى ربهم يسعون في فكاك رقابهم واما النهار
فحلماء علماء بررة اتقياء كانهم القداح قد براهم الخوف من
العبادة ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض ام خولطوا
فقد خالط القوم امر عظيم من ذكر النار وما فيها وعن يحيى بن الحسين
انه سئل اي الاعمال افضل عند الله تعالى فقال ما من عمل بعد معرفة الله

ومعرفة رسوله افضل من بغض الدنيا وان لذلك شعبا كثيرة

وللمعاصي شعبا فاول ما عصي الله به الكبر وهي معصية ابليس حين

ابى واستكبر وكان من الكافرين والحرص وهي معصية آدم وحوا حين

قال الله لهما كلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من

الظالمين فاخذا ما لا حاجة بهما اليه فدخل ذلك على ذريتهما

الى يوم القيمة وذلك ان اكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به اليه

ثم الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد اخاه فقتله فتشعب من ذلك حب

النساء وحب الدنيا وحب الرياسة وحب الراحة وحب الكلام وحب

العلو والثروة فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهن في حب الدنيا فقال

الانبياء والعلماء بعد معرفة ذلك حب الدنيا راس كل خطيئة

والدنيا دنيا ان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة وعن الباقر انه قال

لجابر يا جابر من دخل قلبه ما في خالص دين الله شغل قلبه عما سواه

يا جابر ما الدنيا وما عسى ان تكون الدنيا هل هي الا طعام اكلته او ثوب

لبسته او امراة اصبتها يا جابر ان المؤمنين لم يطمئنوا الى الدنيا ببقائهم

فيها ولم يامنوا قدومهم الاخرة يا جابر الاخرة دار قرار والدنيا دار فناء

وزدان

زوال ولكن اهل الدنيا اهل غفلة وكان المؤمنين هم الفقهاء

اهل فكرة وعبرة لم يصمهم عن ذكر الله تعالى ما سمعوا باذانهم ولم يعمهم عن

ذكر الله ما راوا من الزينة باعينهم ففازوا بثواب الاخرة كما فازوا بذلك

العلم الحديث وعن الصادق قال اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في

الدنيا وفقهه في الدين وبصره عيوبها ومن اوتيهن فقد اوتي

خير الدنيا والاخرة وقال لا ان حرام عليكم ان تجدوا طعم الايمان حتى

تزهدوا في الدنيا وقال اذا تخلى المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة

حب الله وكان عند اهل الدنيا كانه قد خولط وانما خالط القوم حلاوة

حب الله فلم يشتغلوا بغيره وقال ان القلب اذا صفا ضاقت به الارض

حتى يسموا وقال جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا

ثم قال قال رسول الله صلعم لا يجد الرجل حلاوة الايمان في قلبه حتى لا يبالي

من اكل الدنيا وعنه من زهد في الدنيا اثبت الله الحكمة في قلبه وانطق

بها لسانه وبصره من عيوب الدنيا داءها ودواءها واخرجه من الدنيا

سالما الى دار السلام وعن الكاظم قال قال ابو ذر جزى الله الدنيا

عني مذمة بعد رغيفين من الشعير اتغدى باحدهما واتعشى بالاخر

فتعود تملق الصوف ان تزهدتهما فانزدي بالاخرى وعن الضحاك
قال قال عيسى بن مريم ع للحواريين يا بني اسرائيل لا تاسوا على ما فاتكم
من الدنيا كما لا ياسى اهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم اذا اصابوا دنياهم
فصل وعن النبي صلعم لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا
منها شربة ماء وقال ع الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال ع الدنيا
ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال ع يا عجبا كل العجب للمصدق
بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وقال ع الهاكم التكاثر يقول ابن
آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت
فافنيت او لبست فابليت وقال ع من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من
الله في شيء والزم الله قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ
منه ابدا وفقرا لا ينال غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال ع
لتاتينكم بعدي دنيا تاكل ايمانكم كما تاكل النار الحطب وقال ع لا تشغلوا
قلوبكم بذكر الدنيا وادحى [illegible] الموسى الا تركن الى حب الدنيا فلن
تابع بكرة هي استعملت منها وقال عيسى ع ويل لصاحب الدنيا كيف يموت
ويتركها ويامنها وتغره ويثق بها وتخذله وويل للمغترين كيف ارتهم ما يكرهون

وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن اصبح والدنيا
همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بعمله وقال لقمن لابنه يا بني بع
دنياك باخرتك تربحهما جميعا ولا تبع اخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا
وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل له والاخرة لمن هي قال لمن طلبها
وقال الحكيم الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار
عمران واعمر منها قلب من يطلبها فصل ولنذكر بعض الامثلة التي وردت
في صفة الدنيا قال الله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء
فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وقال النبي صلعم
الدنيا حلم واهلها عليها مجازون معاقبون وقال ع في قلة ما بقي من الدنيا
بالاضافة الى ما سبق مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى
اخره فبقي معلقا بخيط في اخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع وقال ع ما الدنيا
في الاخرة الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع اليه من
الاصل وكتب امير المؤمنين ع الى سلمان رضه يمثلها فقال مثل الدنيا مثل الحية
لين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها
وضع عنك همومها لما ايقنت من فراقها وكن اسر ما تكون منها احذر ما يكون

منها فاتت صاحبها كلما اطمأن منها الى سرور اشخصته عنه مكروه وهمّ والسلام

وكان الحسن بن عم يتمثل بهذا البيت: يا اهل لذات دنيا لا بقاء
لها ان اغترارا بظل زائل حمق. وعن الباقر في حديث جابر فانزل
الدنيا كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه او كمال اصبته في منامك فاستيقظت
وليس معك منه شيء قال اني انما ضربت لك هذا مثلا لانها عند اهل
اللب والعلم بالله كفيء الظلال. وعنه ع قال مثل الحريص على الدنيا
كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفا كان ابعد لها من الخروج
حتى تموت غما. وعن الصادق ع مثل الدنيا مثل ماء البحر كلما شرب منه
العطشان ازداد عطشا حتى تقتله. وروي ان عيسى ع كوشف بالدنيا
فرآها في صورة عجوز شمطاء هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت
قالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت
فقال عيسى ع بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين كيف
تهلكينهم واحدا واحدا ولا يكونون منك على حذر. وقال ع الدنيا
قنطرة فاعبروها ولا تعمروها. وقال بعض الحكماء ما اشبه حال الانسان
واغتراره بالدنيا وغفلته عن الموت وما بعده من الاهوال وانهماكه

في اللذات

في اللذات العاجلة الفانية الممتزجة بالكدورات بشخص مدلّى في بئر
مشدود وسطه بحبل وفي اسفل ذلك البئر ثعبان عظيم متوجه اليه منتظر
سقوطه فاتح فاه لالتقامه واعلى ذلك البئر جرذان ابيض واسود لا يزال
يقرضان ذلك الحبل شيئا فشيئا ولا يفتران عن قرضه آنا من الآنات وذلك
الشخص مع انه يرى ذلك الثعبان ويشاهد انقراض ذلك الحبل آنا فآنا قد
اقبل على قليل عسل قد لطخ به جدار ذلك البئر وامتزج بترابه واجتمع عليه
زنابير كثيرة وهو مشغول بلطعه منهمك فيه ملتذ بما اصاب منه مخاصم
لتلك الزنابير عليه قد صرف باله باجمعه الى ذلك غير ملتفت الى ما فوقه
والى ما تحته فالبئر هو الدنيا والحبل هو العمر والثعبان الفاتح فاه هو الموت
والجرذان الليل والنهار القارضان للاعمار والعسل المختلط بالتراب هو
لذات الدنيا الممتزجة بالكدورات والآلام والزنابير هم ابناء الدنيا المتزاحمون
عليها وما اشد انطباق هذا المثال على الممثل له فنسأل الله الهداية والبصيرة

ونعوذ به من الغفلة والغواية **الباب الثالث** في ذم حب الدنيا اعلم ان الدنيا
كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف ولكن الاموال اعظم
فتنها واعظم محنها واعظم فتنة فيها الا انه لا غنى عنها ثم اذا وجدت

فلا سلامة منها فان فقد فقد حصل منه الفقر الذي يكاد ان يكون كفرا
وان وجد حصل منه الطغيان الذي لا يكون عاقبة امره الا خسرا وبالجملة
هو لا يخلو من الفوايد والافات وفوايدها من المنجيات وافاتها من المهلكات
وتميز خيرها من شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها الا ذوو البصاير
في الدين من العلماء الراسخين ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص وللحريص
حالتان الطمع فيما في ايدي الناس والتشمر للحرف والصناعات مع الياس
عن الخلق وللواجد حالتان امساك وانفاق وللمنفق حالتان التبذير
والاقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم قال
الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال عز وجل لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم
عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقال النبي صلى الله عليه وآله حب المال
والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وقال ما ذئبان ضاريان
ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم
وقال صلى الله عليه وآله يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت
او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال رجل يا رسول الله ما لي لا احب
الموت فقال هل معك من المال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك امامك

فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان
يتخلف معه

فصل واعلم ان الله سبحانه قد سمى المال خيرا في مواضع
فقال ان ترك خيرا الوصية الاية وقال رسول الله نعم المال الصالح للرجل
الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج والانفاق فهو ثناء
على المال اذ لا يمكن الوصول اليها الا به وتحقيق القول فيه ان المال
قد يكون وسيلة الى مقصود صحيح وقد يكون وسيلة الى مقاصد
فاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة الابد وتسد سبيل العلم والعمل
فهو اذن محمود ومذموم محمود بالاضافة الى المقصود المحمود ومذموم بالاضافة
الى المقصود المذموم ولما كانت الطباع مايلة الى اتباع الشهوات القاطعة
لسبيل الله وكان المال مسهلا لها والة اليها عظم الخطر فيما يزيد على
قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء من شره قال نبينا اللهم اجعل قوت آل
محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا ما لم يتمحض خيره وقال اللهم احيني مسكينا وتوفني
مسكينا

فصل اعلم ان مثل المال مثل حية فيها سم وترياق ففوايدها ترياقها
وغوايلها سمومها فمن عرف غوايلها وفوايدها امكنه ان يحترز من شرها
ويستدر من خيرها اما الفوايد فهي تنقسم الى دنيوية ودينية اما الدنيوية

فالحاجة الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين اصناف الخلق ولولا ذلك
لم ينهمكوا على طلبها واما الدينية فهي ثلثة انواع الاول ان ينفقه على نفسه
اما في عبادة او في استعانة على عبادة والثاني ما يصرفه الى الناس وهي اربعة
اقسام الصدقة والمروة ووقاية العرض واجرة الاستخدام اما الصدقة
فلا يخفى ثوابها وانها لتطفي غضب الرب واما المروة فنعني بها صرف المال
الى الاغنياء والاشراف ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراه فان هذا مما
يكتسب به العبد الاخوان والاصدقاء ويكتسب به صفة السخاء فانه
لا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة
وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا
والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها
واما وقاية العرض فنعني بها بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء
وقطع السنتهم ودفع شرهم وهذا ايضا مع تنجز فايدته في العاجلة من
الحظوظ الدينية قال رسول ﷺ ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة واما
الاستخدام فان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة
ولو تولاها بنفسه ضاعت اوقاته وتعذر عليه سبيل الاخرة بالفكر والذكر

الذي

الذي هو اعلى مقامات السالكين النوع الثالث ما لا يصرفه
الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر
والرباطات ودور المرضى ونصب الحباب في الطرق وغير ذلك من الاوقاف
المرصدة للخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين الى
اوقات ممتدة فهذه جملة فوايد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ
العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز
والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة
في القلب واما الافات فدينية ودنيوية اما الدينية فثلثة انواع
الاول انه يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضية والعجز قد يحول بين
المرء وبين المعصية ومن العصمة ان لا يجد ومهما كان الانسان ايسا
عن نوع من المعصية لم يتحرك داعيته اليها فاذا استشعر القدرة عليها انبعثت
الداعية والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب
الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة
اشد وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء الثاني انه يجر الى التنعم في
المباحات وهذا اول الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير

ويلبس الثوب الخشن ويترك اللذيذ الاطعمة كما كان يفعله عمر
في ملكه فاحسن احواله ان يتنعم بالدنيا ويرتب عليه نفسه فيصير التنعم مالوفا
عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض منه الى بعض واذا اشتد انسه
به ربما لا يقدر على التوصل اليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويت
ويخوض في المرايات والمداهنة والكذب والنفاق وساير الاخلاق
الردية لينتظم له امر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته
الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد ان ينافقهم ويعصي الله في طلب
مرضاتهم فان سلم من الآفة الاولى وهي مباشرة المحظورات فلا يسلم
عن هذه ومن الحاجة الى شور العداوة والصداقة وينشأ عليه الحسد
والحقد والرياء والكبر والكذب والغيبة والنميمة وساير المعاصي
التي تخص القلب واللسان ولا يخلو عن التعدي بحالته الى ساير الجوارح
وكل ذلك يلزمه من شوم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه الثالث
وهو الذي لا ينفك عنه احد وهو انه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله
تعالى وكل ما يشغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه السلام
في المال ثلث آفات ان ياخذه من غير حله فقيل ان اخذه من حله قال يضعه

في غير حقه فقيل ان وضعه في حقه فقال يشغله اصلاحه عن الله تعالى
وهذا هو الداء العضال فان اصل العبادات ومخها وسرها ذكر
الله تعالى والفكر في جلاله وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة
يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته وخيانته و
خصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة اعوان السلطان
في الخراج وخصومة الاجراء في التقصير في العمارة وصاحب التجارة يكون
متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه المال
وكذلك صاحب المواشي وهكذا ساير اصناف الاموال وابعدها
عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال الفكر مترددا
فيما يصرف اليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف ممن يعثر عليه وفي دفع
اطماع الناس عنه واودية افكار اهل الدنيا لا نهاية لها والذي
معه قوت يومه او سنته في سلامة من جميع ذلك فهذه جملة الآفات
الدينية سوى ما يقاسيه ارباب الاموال من الخوف والحزن والهم والغم
والتعب في دفع الحساد وحفظ الاموال وكسبها فاذن ترياق المال اخذ
القوت وصرف الباقي الى الخيرات وما عداه سموم وآفات فصل

اعلم ان الفقر محمود ولكن ينبغي ان يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن
الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان
ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر الكفاف ويقصر الامل فان الشوق الى
الكثرة وطول الامل يخاف منه عز القناعة ويدنس لا محالة بالطمع وذل
الحرص وقلة القناعة تجر الحرص والطمع الى مساوي الاخلاق وارتكاب
المنكرات الخارقة للمروات وقد جبل الادمي على الحرص والطمع وقلة القناعة
قال رسول الله صلعم لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى ورائهما ثالثا
ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال صلعم منهومان
لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال صلعم يشيب ابن ادم ويشب فيه خصلتان
الحرص وطول الامل ولما كانت هذه جبلة للادمي مضلة ومغوية مهلكة
اثنى الله ورسوله على القناعة فقال صلعم طوبى لمن هدي للاسلام وكان عيشه
كفافا وقنع به وقال ما من احد غني او فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتي
قوتا في الدنيا وقال يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم
تظفروا بثواب فقركم والا فلا وقال ليس الغنى عن كثرة العرض انما
الغنى غنى النفس وقال ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت

حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وقال الله تعالى يا
ابن ادم ان كنت تريد من الدنيا ما يكفيك فان ايسر ما فيها يكفيك وان
كنت تريد ما لا يكفيك فان كل ما فيها لا يكفيك وقال النبي صلعم
اياك ان تطمح ببصرك الى من هو فوقك فكفى بما قال الله لنبيه ولا تعجبك اموالهم
ولا اولادهم وقال ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم
زهرة الحيوة الدنيا فان دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسول الله صلعم
فانما كان قوته الشعير وحلواه التمر ووقوده السعف اذا وجد وقال الصادق
عليه السلام ان الله يقول يحزن عبدي المؤمن ان قترت عليه وذلك اقرب
له مني ويفرح عبدي المؤمن ان وسعت عليه وذلك ابعد له مني وقال عم
كلما ازداد العبد ايمانا ازداد ضيقا في معيشته وقال الله تعالى فيما ناجى
موسى يا موسى اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين
واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته فصل الاغنياء من قابله
المال الا بالمحافظة على امور الاول ان يعرف مقصود المال وانه
لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا على قدر حاجته
الثاني ان يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام

ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروة والثالث ان يراعي
جهة المخرج ويقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتر قال الله تعالى
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وفي
الحديث النبوي ما عال من اقتصد والرابع ان يضع ما اكتسبه من حله
في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم في الاخذ من غير حقه والوضع
في غير حقه سواء والخامس ان يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق
والامساك فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك
زهدا فيه واستحقارا له واذا فعل ذلك لم يضره وجود المال قال
امير المؤمنين ع لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض واراد به وجه الله
فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد وجه الله فليس بزاهد فان قيل
ايهما افضل الغني بنية الاستعانة على العبادة ام الفقير بنية التفرغ
لها قلنا الافضل منهما ما لا يشتغل العبد عن الله فان كان الفقر يشغله
عن الله فالغنى اولى به وان كان الغنى يشغله عن الله فالفقر اولى به وذلك
لان الفقر والغنى بحسب عدم تعلق القلب بالمال وتعلقه فان تساويا
فيه تساوت درجتهما الا ان هذا مزلة الاقدام وموضع الغرور فان

الغني

الغني ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفينا
في باطنه وهو لا يشعر به وانما يشعر به اذا فقده فليجرب نفسه وهذا
حال كل الاغنياء الا الانبياء والاولياء واذا كان ذلك محالا او بعيدا
فليطلق القول بان الفقر اصلح لكافة الخلق وافضل لان علاقة
الفقير وانسه بالدنيا اضعف وبقدر ضعف علاقته يتضاعف
ثواب تسبيحاته وعباداته فان حركات اللسان والابدان ليست مرادة
لاعيانها بل ليتأكد بها الانس بالمذكور ولا يكون تأثيرها في اثارة
الانس في قلب فارغ من غير المذكور كتأثيره في قلب مشغول ولهذا ورد
في فضل الفقراء على الاغنياء على الاطلاق ما ورد ثم ليس معنى الفقر ان
لا يملك شيئا البتة قال الصادق ع في كلام له مع الصوفية ثم علم الله
نبيه كيف ينفق وذلك انه كانت عنده اوقية من الذهب فكره ان
يبيت عنده فتصدق بها فاصبح وليس عنده شيء وجاءه من يسأله فلم يكن
عنده ما يعطيه فلام السائل واغتم هو حيث لم يكن عنده ما يعطيه وكان
رحيما رقيقا فادب الله عز وجل نبيه بامره فقال ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا يقول ان الناس

قد يبتلونك ولا يعذرونك فاذا اعطيت جميع ما عندك من المال
كنت قد حرمت من المال قال ثم من علمتم بعد هذين في فضل وزهد
سلمان الفارسي رحمه الله وابو ذر رحمه الله فاما سلمان فكان اذا اخذ عطاءه
رفع منه قوته لسنة حتى يحضر عطاؤه من قابل فقيل له يا ابا عبد الله
انت في زهدك تصنع هذا وانت لا تدري لعلك تموت اليوم او غدا
فكان جوابه ان قال ما لكم لا ترجون لي البقاء كما خفتم علي الفناء اما
علمتم يا جهلة ان النفس قد تلتاث على صاحبها اذا لم يكن لها من العيش
ما تعتمد عليه فاذا هي احرزت معيشتها اطمانت واما ابو ذر فكانت
له نويقات وشويهات يحلبها ويذبح منها اذا اشتهى اهله اللحم
او نزل به ضيف او راى باهل الماء الذين معه خصاصة نحر لهم الجزور
او من الشاء على قدر ما يذهب عنهم بقرم اللحم فيقسم بينهم ويأخذ
هو كنصيب واحد منهم لا يتفضل عليهم ومن ازهد من هؤلاء وقد قال
فيهم رسول الله صلعم ما قال ولم يبلغ من امرهما ان صارا لا يملكان شيئا البتة
كما تامرون الناس بالقاء امتعتهم وشيئهم ويوثرون به على انفسهم وعيالاتهم
واعلموا ايها النفر اني سمعت ابي يروي عن ابائه ان رسول الله صلعم قال

يوما ما عجبت من شيء كعجبي من المؤمن انه ان قرض جسده في دار الدنيا
بالمقاريض كان خيرا له وان ملك ما بين مشارق الارض ومغاربها
كان خيرا له وكل ما يصنع الله به فهو خير له **فصل** وقد ظهر مما ذكرنا انه
لا خلاص من تبعة الدنيا وغوائلها الا بالزهد فيها وهوانها لا يريدها
بقلبه الا بقدر ضرورة بدنه وهو مقام عال قال الله تعالى فخرج على قومه
في زينته الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فنسب الزهد
الى العلماء ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال عز وجل
من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وقال
النبي صلعم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل
فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة
جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا
وهي راغمة وقال اذا رايتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه
فانه يلقى الحكمة وقال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما ايدي
الناس يحبك الناس وقال من اراد ان يوتيه الله علما بغير تعلم وهدى
بغير هداية فليزهد في الدنيا وللزهد ثلث درجات السلطان بكونه

المرغوب فيه النجاة من النار وسائر عذاب الاخرة فهذا زهد الخائفين
والثانية ان يزهد رغبة في ثواب الله ونعيم الجنة وهذا زهد الراجين
والثالثة وهي العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله وفي لقائه
وهذا زهد العارفين والزهد باعتبار احكامه ينقسم الى فرض
ونفل وسلامة فالفرض هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد
في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات وفي مصباح الشريعة
قال الصادق ع الزهد مفتاح باب الاخرة والبراءة من النار وهو تركك
كل شيء يشغلك عن الله من غير تاسف على فوتها ولا اعجاب في تركها
ولا انتظار فرج منها ولا طلب محمدة عليها ولا عوض لها بل يرى فوتها
راحة وكونها آفة ويكون ابدا هاربا من الآفة معتصما بالراحة والزاهد
الذي يختار الاخرة على الدنيا والذل على العز والجهد على الراحة
والجوع على الشبع وعافية الآجل على محبة العاجل والذكر على الغفلة
ويكون نفسه في الدنيا وقلبه في الاخرة وسئل الصادق ع عن الزاهد
في الدنيا فقال الذي يترك حلالها مخافة حسابه ويترك حرامها مخافة
عذابه وقال الباقر الزهد في الدنيا باضاعة المال ولا تحريم الحلال بل

الزهد

الزهد في الدنيا ان لا تكون بما في يدك اوثق منك بما عند الله
وقال امير المؤمنين ع الزهد في الدنيا قصر الامل وشكر كل نعمة والورع
عن كل ما حرم الله عز وجل وقال ع الزهد كله بين كلمتين من القرآن
قال الله سبحانه لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم فمن لم ياس على
الماضي ولم يفرح بالآتي فقد اخذ الزهد بطرفيه ولعمري انه تمام في معناه

فصل اعلم ان من ثمرة الزهد السخاء ومن ثمرة الرغبة في الدنيا البخل فالمال
ان كان مفقودا ينبغي ان يكون حال العبد القناعة وان كان موجودا
ينبغي ان يكون حاله السخاء واصطناع المعروف فان السخاء من اخلاق
الانبياء وهو اصل من اصول النجاة وعنه عبر النبي ص حيث قال السخاء
شجرة من شجر الجنة اغصانها متدلية على الارض فمن اخذ بغصن منها
قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال قال جبرئيل قال الله تع ان هذا دين
ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم
وقال ما جبل الله اولياءه الا على السخاء وحسن الخلق وقال الذي من موجبات
المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام وقال تجافوا عن
ذنب السخي فان الله آخذ بيده كلما عثر اقاله وقال طعام الجواد دواء

وطعام البخيل داء وقال ان السخي قريب من الله قريب من الناس قريب
من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد
من الجنة قريب من النار وجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل و ادوى الداء
البخل وارفع درجات السخاء الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه
قال الله تعالى في معرض الثناء ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
وقال النبي ايما امرء اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له
وينبغي للفقير ان لا يمتنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل
وفضله اكثر من اموال الكثيرة تبذل عن ظهر غنى قال النبي درهم من الصدقة
افضل عند الله من مائة الف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال
اخرج رجل من عرض ماله مائة الف يتصدق بها واخرج رجل درهما
من درهمين لا يملك غيرهما طيبة بها نفسه فصار صاحب الدرهم افضل من
صاحب مائة الف اعلم ان الامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث
يجب الامساك تبذير وبينهما وسط هو المحمود وينبغي ان يكون السخاء
والجود عبادة عنده اذ لم يؤمر رسول الله الا بالسخاء وقيل له ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا

ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالجود وسط بين الاقتار والاسراف
وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب
ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له
فيه بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال
له وهو صرفه الى ما يجب صرفه اليه شرعا او مروءة وعادة وواجب المروءة والعادة
يختلف في الاحوال والاشخاص فيستقبح من الغني المضايقة ما لا يستقبح من
الفقير ومع الاهل والاقارب ما لا يستقبح مع الاجانب ومع الجار
ما لا يستقبح مع البعيد وفي الضيافة ما لا يستقبحها فيما فيه في المبايعة عوض
والمعاملة الى غير ذلك وبالجملة حد البخل هو امساك المال عن
ذلك الغرض هو اهم من حفظ المال وفي مقابلة السخاء والجود

الباب الرابع في ذم حب الجاه اعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت و
الاشتهار وهو انتشار تعظيمه وهو مذموم بل المحمود هو الخمول الا من شهره
الله لنشر دينه من غير تكلف طلب للشهرة منه قال الله تعالى تلك الدار الآخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا وقال النبي
حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل

ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الجاه
والمال في دين الرجل المسلم وقال انما هلك الناس باتباع الهوى
وحب الثناء وعنه عم حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه
بالاصابع في دينه ودنياه وعن امير المؤمنين عم تبذل لا تشهر ولا ترفع
شخصك لتذكر بعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار
وقال الصادق عم اياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون فوالله
ما خفقت النعال خلف رجل الا هلك واهلك وقال عم ملعون من
ترأس ملعون من هم بها ملعون من حدث بها نفسه وعن النبي ص رب
ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم اسالك الجنة
لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وعنه عم ان اليسير من الريا
شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا
حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة واعلم
ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها
في التوصل الى الاغراض والمقاصد ومقتضيات الشهوات ومعنى الجاه ملك
القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها للتوصل باستعمالها الى الاغراض في

والمقاصد وكما انه يكتسب الاموال بانواع من الحرف والصناعات
فكذلك يكتسب القلوب بانواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة
الا بالمعارف والاعتقادات وكل من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف
الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال
عنده وليس يشترط ان يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي ان يكون كمالا
عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف
به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب واحوال
القلب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب
المال يطلب ملك الارقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق
الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه
صاحب الجاه اعظم لان مالك العبد يملكه قهرا والعبد متأبي بطبعه
ولو خلي ورايه انسل من الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا
ويبغي ان يكون الاحرار له عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية
والطاعة له فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان
القلب يكون قدرته على ارباب القلوب وبقدر قدرته يكون فرحه و

حب الجاه وللجاه ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال لا
يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه وكالخدمة والاعانة فانه لا
يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده وكالايثار وترك المنازعة
والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم
في جميع المقاصد وملك القلوب ترجح على ملك المال من وجوه الاول
ان التوصل بالجاه الى المال ايسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم او الزاهد
الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان اموال
ارباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال
والرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزاً ولم يكن له جاه
يحفظ ماله واراد ان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له والثاني ان المال
معرض للبلوى والتلف فانه يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة
ويحتاج فيه الى الحفظ والحراسة ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما القلوب
اذا ملكت لم تتعرض لهذه الآفات فان ذا الجاه في امن وامان من الغصب
والسرقة فيها ثم انما تغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الحال وتغيير
الاعتقاد فيما صدق به من اوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه والثالث

ان ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة
لان القلوب اذا اذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم او عمل او غيرهما
افصحت الالسنة لا محالة بما فيها فتصف ما تعتقده لغيره و سلطان
في الاقطار فاقتنصت القلوب ودعتها الى الاذعان والتعظيم فلا
يزال يسري من واحد الى واحد ويتزايد وليس له مرد معين واما
المال فمن ملك منه شيئاً فهو مالكه فقط ولا يقدر على استنمائه الا
بتعب ومقاساة واما حب جمع المال وكنز الكنوز وادخار الذخائر
واستكثار ما يزيد على الحاجات وحب اتساع الجاه وانتشار
الصيت الى اقاليم البلاد التي يعلم قطعاً انه قط لا يطأها ولا يشاهد اهلها
ليعظموه او يعينوه على غرض من اغراضه فله سببان احدهما
جلي والآخر خفي بل دق عن افهام الاذكياء فضلاً عن الاغبياء وذلك
لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد
يقف عليه الا الغواصون اما الجلي فهو دفع الم الخوف لان الشفيق بسوء
الظن مولع والانسان وان كان مكتفياً في الحال فانه طويل الامل
ويخطر بباله ان المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا

ذلك بيان المحتاج الخوف من قلبه ولا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل
لنفقته بوجود مال اخر يفزع اليه ان اصابت هذا المال جائحة فهو ابدا
على نفسه حذر للجوع بتقدير طول العمر وبتقدير هجوم وبتقدير امكان
تطرق الافات الى الاموال فلا يسكن الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع
الخوف وهو كثرة المال حتى ان اصيب بطائفة من ماله استغنى بالاخرى
وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال فلذلك لم
يكن لامثاله موقف الا ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك ورد منهومان
لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل هذه العلة تطرد في
حب قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده فانه
لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن او يزعج اولئك عن اوطانهم
الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم واما السبب الثاني وهو الاقوى
ان الروح امر رباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد
في الكمال والعبودية قهر على النفس ولكن لما عجزت النفس عن درك
منتهى الكمال لم يسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال مشتهية له
وملتذة به لذاته لا لمعنى اخر وراء الكمال فكل موجود فهو محب لذاته

ذاته

ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته او عدم صفات الكمال من
ذاته فصار الاستيلاء على الاموال والقلوب محبوبا بالطبع وان كان
لا يحتاج اليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ولذلك طلب استرقاق
العبيد واستعباد اشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة فصل اعلم ان
الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد
الموت ليس الا العلم بالله وبصفاته وافعاله وحكمته في ملكوت السماء
والارض وترتيب الدنيا والاخرة وما يتعلق به ثم الحرية اعني الخلاص
عن اسر الشهوات وهموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها
بالملائكة الذين لا يستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب واما ما له
في الاعانة على معرفة الله كمعرفة لغة العرب وتفسير القران والفقه والاخبار
ومعرفة طريق تزكية النفس لقبول الهداية الى معرفة الله كما قال تعالى قد افلح
من زكيها وقال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فهو من حيث انه
وسيلة الى معرفة الله والتحصيل الحرية فيما لا يتعلق بالعرض فاما القدرة
فليس فيها كمال حقيقي للعبد اذ ليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية
لله تعالى وما يحدث من الاشياء عقيب ارادة العبد وقدرته وحركته

نهي حادثة باحداث الله تعالى كما حقق في موضعه نعم له كمال من جهة القدرة
بالاضافة الى الحال وهي وسيلة الى كمال العلم كسلامة اطرافه وقوة يده
للبطش ورجله للمشي وحواسه للادراك فهذه القوى آلة للوصول بها الى
حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى الى القدرة بالمال
والجاه للتوصل به الى المطعم والملبس وذلك الى قدر معلوم فان لم
يستعمله للوصول به الى معرفة الله تعالى فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية
التي تنقضي على القرب ولا طريق للعبد الى اكتساب كمال القدرة الباقية
بعد الموت فقدرته على اعيان الاموال وعلى استسخار القلوب والابدان
تنقطع بالموت ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل فالخلق كلهم في غمرة هذا الجهل
فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال
بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه والمال كمال فلما اعتقدوا
الكمال الحق ولما احبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا
عليه ونسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله ومن ملائكته
وهو العلم والحرية وهم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا
يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال

والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك فالعلم
والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا للنفس والمال والجاه
هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال انما مثل الحيوة الدنيا
كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الاية وكل ما تذروه
الرياح بالموت فهو زهرة الحيوة وكل ما لا يقطعه الموت فهو من الباقيات
الصالحات فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني وهمي
لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل
الا في قدر البلغة منه الى الكمال الحقيقي **فصل** اعلم انه لا بد من ادنى
مال لضرورة المطعم والملبس فلا بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة مع
الخلق والانسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام
والمال الذي يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق
يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له
في قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة ليس بمذموم وكذا حبه
لان يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاشرته
وكذا حبه لان يكون له في قلب استاذه من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه

العنا يتربه وكذا احب لان يكون له من المحل في قلب سلطان ما يحسنه
ذلك على رفع الشر عنه فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق
بينهما الا ان التحقيق في هذا يفضي الى ان لا يكون المال والجاه في اعيانهما
محبوبين بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان ان يكون في داره بيت
ماء لانه يضطر اليه لقضاء حاجته ويود لو استغنى عن قضاء الحاجة
حتى يستغني عن بيت الماء الا انه لا يوصف محبتها بالفسق والعصيان ما لم
يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل الى اكتسابه بكذب
وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان
التوصل الى المال والجاه بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع
معنى الرياء المحظور فاما ان يطلبها باخفاء عيب من عيوبه ومعصية
من معاصيه حتى لا يعلمه فلا ينزل به منزلته فهو مباح ايضا لان
حفظ الستر على القبائح جائز بل لا يجوز هتك الستر واظهار القبيح و
هذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به
كالذي يخفي عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقي اليه انه ورع فان قوله
اني ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل

يمنع العلم بالشرب فصل واما حب المدح والثناء فله اسباب الاول هو
الاولى شعور النفس بالكمال فان النفس مهما شعرت بكمالها ارتاحت
واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها وتعظم اللذة بهذه
العلة مهما صدر الثناء من بصير خبير لا يجازف في القول ولهذه العلة يبغض
الذم ايضا ويكرهه لانه يشعر بنقصان في نفسه والسبب الثاني ان المدح
يدل على ان قلب المادح مملوك للممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه و
مسخر تحت مشيته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ
وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر ممن يتسع قدرته وينتفع باقتناص
قلبه كالملوك والاكابر ولهذه العلة ايضا يكره الذم ويتألم به
القلب والسبب الثالث ان ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد
قلب كل من يسمعه لا سيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتقد
بثنائه وهذا يختص بثناء يقع على الملا والسبب الرابع ان المدح
يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان
بالثناء عليه اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة لما
فيها من القهر والقدرة وهذه الاسباب قد تجتمع في مدح مادح واحد

فيعظم به الالتذاذ ويندفع استشعار الكمال بان يعلم المدح
انه غير صادق في مدحه فان كان يعلم ان المادح لم يعتقد ما يقوله
بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وبقيت لذة الاستيلاء
بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق **فصل** اعلم ان من غلب على قلبه حب
الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراءاة
لاجلهم ولا يزال في اقواله وافعاله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم
وذلك بذر النفاق واصل الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل
في العبادات والمراءاة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل بها الى اقتناص
القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وافسادهما
للدين بذئبين ضاريين وقال انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل
اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول والفعل وكل من طلب
المنزلة في قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال
حميدة وهو خال عنها وذلك عين النفاق وعلاجه العلم بان يعلم
ان السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس
وعلى قلوبهم ان صفا وسلم فاخره الموت فليس من الباقيات الصالحات

بل لو سجد لك كل من على وجه الارض فالى خمسين سنة لا يبقى الساجد
ولا المسجود له ويكون حالك حال من مات قبلك من ذوي الجاه مع
المتواضعين له فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الحياة الابدية
التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر
الجاه في عينه الا ان ذلك انما يصغر في عين من ينظر الى الاخرة كانه
يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده وابصار
اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة
العواقب كما قال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وابقى
وقال كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة الى غيرها من الايات
فمن هذا حاله فينبغي ان يعالج قلبه في حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة
وهو ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا
فان كل ذي جاه محسود مقصود بالايذاء وخائف على الدوام على
جاهه ومحترز من ان يتغير منزلته في القلوب والقلوب اشد تغيرا من
القدر في غليانها وهي مرددة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى على
قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات له والاشتغال

بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء
اشتغال عن الله وتعرض لمقته في العاجل والآجل كل ذلك غموم
عاجلة مكدرة للذة الجاه فلا يفي في الدنيا ابقه مرجوها بمخوفها
فضلا عما يفوت في الآخرة فبهذا ينبغي ان يعالج البصيرة الضعيفة
واما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه فلا يلتفت الى الدنيا هذا هو
العلاج من حيث العلم واما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب
الخلق بالانس بالخمول والقناعة بالقبول من الخالق والاعتزال
عن الناس والهجرة الى مواضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلدة
التي هو بها مشهور لا يخلو من حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب
عزلته فربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه
لانها ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوا فيه وذموه
ونسبوه الى امر غير لائق به جزعت نفسه وتألمت وربما توصلت الى الاعتذار
من ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك
ذلك عن قلوبهم الى الكذب والتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين انه بعد
محب للجاه والمنزلة ولا يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام

يطمع

يطمع في الناس ولا ينقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن
قنع استغنى عن الناس واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس
ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ويستعين على جميع
ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول مثل قولهم المؤمن
لا يخلو من ذلة او علة او قلة الى غير ذلك وحب المدح كحب الجاه من
حيث نفعا وضرا وعلاجه علاج حب الجاه وعلمه بان الصفة الممدوح
بها ان فقدت فاستهزاء وان وجدت فالدنيوية كالذهب والمال بنفسه
موقوفة على الخاتمة وعلاج كراهة الذم العلم بان الصفة المذموم
بها ان وجدت فتبصر للعيوب وفيه الفرح والشغل بالازالة وان فقدت
فكفارة للذنوب وفيه الشكر بنعمة والترحم على حيث اهلك نفسه
كما قال النبي ص اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون لك ان كره وانبعثه و
الا ان يفرح بمن يذم عدوه وهو شخص عدو نفسه فينبغي ان يفرح
اذا سمع ذمها ويشكر الذام عليها ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف
على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده اذ
صار بالمذمة اوضع في اعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الجاه واذا

سبقت اليه حسنات لم ينصب فيها قضاه يكون مجبرا العيوب التي
هو غافل عن اماطتها ولو جاهد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة
وهو ان يستوي عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل لا
يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احدى
تلك العقبات ولا ينقطع شيء منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر
الطويل **الاصل العاشر** في ذم الغرور وهو سكون النفس الى ما يوافق
الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد
انه على خير اما في العاجل او في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور
قال الله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقال عز وجل
ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء
امر الله وغركم بالله الغرور وقال النبي صلعم حبذا نوم الاكياس و
فطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب
تقوى ويقين افضل من ملاء الارض من المغترين وقال الكيس من
دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواه وتمنى
على الله الاماني ولنمثل للغرور مثالا للايضاح اما الغرور بالحيوة

الدنيا فمثاله ما قال بعض الكفار والعصاة النقد خير من النسيئة
والدنيا نقد والآخرة نسيئة فاذن هي خير فلا بد من ايثارها
وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات
الآخرة شك فلا نترك اليقين بالشك فهذه اقيسة فاسدة
تشبه قياس ابليس حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين
والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا
الغرور اما بتصديق الايمان بان يصدق الله تعالى في قوله ما عندكم
ينفد وما عند الله باق وقوله والآخرة خير وابقى وقوله وما الحيوة
الدنيا الا متاع الغرور واما بالبرهان وهو ان يعرف وجه فساد
هذا القياس الذي نظمه في قلوبهم الشيطان فان فيه اصلين احدهما
ان الدنيا نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخر ان النقد خير
من النسيئة وهذا محل التلبيس فليس الامر كذلك بل ان كان النقد
مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو خير وان كان اقل منه فالنسيئة
خير فان هذا المغرور يبذل في تجارته درهما لياخذ عشرة نسيئة ولا

يقول النقد خير من النسيئة فلا اترك واذا احذره الطبيب الفواكه
ولذائذ الاطعمة تركها في الحال خوفا من الم المرض في المستقبل
فقد ترك النقد ورضي بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار
ويتعبون في الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح نسيئة فان كان
عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا
من حيث مدتها الى مدة الآخرة واما قولهم ان اليقين خير من الشك
فالدنيا يقين والآخرة شك فهو اكثر فسادا من الاول اذ كلا
اصليه باطل اذ اليقين خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر
في تعبه على يقين وفي ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين
وفي ادراكه رتبة العلم على شك والمريض في شرب الدواء على
يقين ومن الشفاء على شك والصياد في تردده في المقتنص على
يقين وفي اقتناصه الظفر بالصيد على شك وكذلك الحزم باجماع
العقلاء فمن شك في الآخرة فيجب عليه بحكم الحزم ان يقول الصبر اياما
قلائل وهو منتهى العمر قليل بالاضافة الى ما يقال من امر الآخرة
فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم ايام حياتي وان كان

صدقا

صدقا فابقى في النار ابد الآباد وهذا لا يطاق واما الاصل
الثاني وهو ان الآخرة شك فهو ايضا خطأ بل ذلك يقين عند
المؤمنين وليقينه مدركان احدهما الايمان والتصديق تقليدا للانبياء
والعلماء والثاني الوحي والالهام للانبياء والاولياء اذ كشف
لهم حقيقة الاشياء كما هي عليها وشاهدوها بالبصيرة الباطنة
كما تشاهدانت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة
لا عن سماع وتقليد واما الغرور بالله فمثاله قول بعضهم في نفسهم
وبالسنتهم انه ان كان لله معاد فنحن احق به من غيرنا ونحن اوفر
حظا وفيه اسعد حالا كما اخبر الله من قول الرجلين المتحاورين اذ
قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا
منها منقلبا وهذا قياس من اقيسة ابليس وذلك لانهم ينظرون مرة
الى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة وينظرون الى تأخير
العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى ويقولون في
انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء
شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم فيقولون اهؤلاء من الله عليهم

من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا إليه وقياسهم أنه قد أحسن
الله إلينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فإنه يحسن في المستقبل
أيضا والتلبيس تحت ظنه أن كل من أنعم عليه في الدنيا إحسان فقد اغتر
بالله أن ظن أنه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي
البصائر يدل على الهوان فإن نعيم الدنيا ولذاتها مهلكات ومبعدات
من الله ثم وإن الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه الطعام
والشراب وهو يحبه كما ورد في الخبر وهذا المغرور علاجه معرفة
دلائل الكرامة والهوان إما بالبصيرة وإما بالتقليد قال الله تعالى أ
يحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا
يشعرون وقال سنستدرجهم من حيث لا يشعرون وقال تعالى فتحنا عليهم
أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون
ومنشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فإن من عرفه لا يأمن مكره
ولا يغتر بأمثال هذه الخيالات وينظر إلى فرعون وقارون وإلى
ملوك الأرض وكيف أحسن الله إليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا و مكروا
مكر الله فالله خير الماكرين ولا يأمن مكر الله خير الماكرين ولا يأمن

مكر الله

مكر الله إلا القوم الخاسرون **فصل** اعلم أن فرق المغترين كثيرة
وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من يرى المنكر معروفا كالذي يتخذ
المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه
لنفسه وما يسعى فيه لله كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم
من يترك الأهم ويشتغل بغيره كالذي يترك الفرض ويشتغل بالنافلة
ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذي تكون همته في الصلاة
مقصورة على الوسواس في النية أو تصحيح مخارج الحروف حتى
يفوته الجماعة وتخرج الصلاة عن الوقت ثم لا يحضر قلبه في صلاته
ويزعم أنه إذا أتعب نفسه في تصحيح النية أو الحروف تميز عن العامة
بهذا الجهد ومنهم من اغتر بقراءة القرآن فيهذه هذا وربما يختمه
في اليوم والليلة مرة ولسانه يجري به وقلبه متردد في أودية
الأماني ومنهم من اغتر بالصوم وربما صام الدهر ولا يحفظ لسانه
عن الغيبة ولا بطنه عن الحرام عند الإفطار ثم يظن في نفسه الخير
ومنهم من اغتر بالحج فيخرج إلى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء
الديون وطلب الزاد الحلال ويضيع في الطريق الصلاة ويعجز عن طهارتها

الثوب والبدن ويتعرض لكثرة الظلمة وذلك بعد سقوط حشمة
الاسلام عنه ومنهم من يتقلد امامة مسجد او اذانه ويظن انه
على خير ولو ام غيره او اذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة و
لو كان اورع منه واعلم ومنهم من يامر بالخير وينسى نفسه فاذا امر
عنف وطلب الرياسة والعزة واذا رد عليه اذا باشر منكرا
غضب وقال انا المحتسب فكيف ينكر علي وانما غرضه الرياسة ومنهم
من احكم العلوم الشرعية وتعمق فيها واشتغل بها واهمل تفقد الجوارح
وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات واهمل تفقد قلبه
ليمحو عنه الصفات المذمومة والاخلاق الردية واغتر بعلمه وظن
انه عند الله بمكان وانه قد بلغ من العلم مبلغا لا يعذب الله مثله
بل يقبل في الخلق شفاعته وانه لا يطالبه بذنوبه لكرامته على الله ومنهم
من يعجب بنفسه ويظن انه منفك عن الاخلاق المذمومة وانه
ارفع عند الله من ان يبتليه بها وانما يبتلى بها العوام ثم اذا ظهر
عليه مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا كبر
وانما هذا طلب عز للدين واظهار شرف العلم ونصرة دين الله و

ارغام انف المخالفين ومهما اطلق اللسان بالحسد في اقرانه
او في من رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد
ولكن قال انما هذا غضب للحق ورد على المبطل في عدوانه وظلمه
لو طعن في غيره من اهل العلم لم يكن غضبه مثل غضبه الآن بل ربما
يفرح به واذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات انما غرضي من اظهار العلم
والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا الى دين الله ويتخلصوا من عقاب الله
ولا يتامل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم
به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان وربما
يذكر هذا فلا يخليه الشيطان ايضا بل يقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا
بي كان الاجر والثواب لي فانما فرحي بثواب الله لا بقبول الخلق هذا ما
يظنه بنفسه والله مطلع على سريرته ومنهم من اشتغل بعلم الكلام
والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين وظن انه لا يكون للعبد
عمل الا بالايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم وما يسمونه
ادلة عقائدهم وظنوا انه لا احد اعرف بالله وصفاته منهم وانه
لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعا كل فرقة منهم الى نفسه

وفي الحديث النبوي ما ضل قوم قط بعد هدى الا اوتوا الجدل
وحرموا العمل ومنهم من اشتغل بالوعظ واعلاهم رتبة من يتكلم
في اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر
ونظايرها ويظن بنفسه انه اذا تكلم بهذه الصفات ودعا الخلق اليها
صار موصوفا بها وهو منفك عنها عند الله الا عن قدر يسير لا ينفك
عنه عوام المسلمين والاكياس يمتحنون انفسهم في هذه الصفات ويطالبونها
بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق ومنهم من ظن ان الحكم العبد بينه
وبين الله تعالى يتبع حكمه في مجلس القضاء (زرا نشود) ووضعوا الحيل في دفع الحقوق
واسناد التاويل للالفاظ واغتروا بالظواهر واخطأوا فيها وذلك
مثل قولهم بان المراة يهبها ابراء الزوج من الصداق يبرئ الزوج
بينه وبين الله تعالى وذلك خطأ وبل الزوج قد يسيء الى الزوجة بحيث
يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر الى طلب الخلاص فتبرئ الزوج
لتخلص منه وهو ابراء من غير طيبة نفس وقد قال الله تعالى فان طبن لكم
عن شيء منه نفسا وطيبة النفس غير طيبة القلب فان القلب قد يريد ما
لا يطيب به النفس كالانسان يريد الحجامة بقلبه ولكن يكرهها بنفسه فاما

طيبة

طيبة النفس ان تسمح بالابراء لا عن ضرورة تقابله وكذلك لو طلب
من انسان مالا على ملاء من الناس فاستحيى من الناس ان لا يعطيه وود
كان يود ان يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف مذمة
الناس والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب القلب بالسوط ولا فرق
بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله فان الباطن عند الله ظاهر
وكذلك من يعطي اتقاء لشر لسانه او لشر سعايته فهو حرام عليه
ومن المغترين قوم تسموا باهل الذكر والتصوف يدعون البراءة
من التصنع والتكلف يلبسون خرقا ويجلسون حلقا يخترعون الاذكار
ويتغنون بالاشعار يعللون بالتهليل والتبرك الى العلم والمعرفة
سبيل ابتدعوا شهيقا ونهيقا واخترعوا رقصا وتصفيقا قد تداعم
خاضوا الفتن واخذوا بالبدع دون السنن رفعوا اصواتهم با
وصاحوا الصيحة الشنعاء ومنهم من يدعي علم المعرفة ومشاهدة المعبود
ومجاوزة المقام المحمود والملازمة في عين الشهود ولا يعرف من هذه
الامور الا الاسماء ولكنه تلقف من الطامات كلمات يرددها
لدى الاغبياء كانه يتكلم عن الوحي ويخبر عن السماء ينظر الى اصناف

العباد والعلماء تعيين الآن درجة بقوله في العباد انهم اجراء متعبون
وفي العلماء انهم في الحديث عن الله محجوبون ويدعي لنفسه من الكرامات
ما لا يدعيه نبي مقرب لا علما احكم ولا عملا اهذب باتي الرعاع
الهمج من كل فج اكثر من اتيانهم مكة للحج يزدحم عليه الحجيج ويلقون السمع
وربما يخرون له سجودا كانهم اتخذوه معبودا يقبلون يديه ويتهافتون
على قدميه يأذن لهم في الشهوات ويرخص لهم في الشبهات يأكل
ويأكلون كما تأكل الانعام ولا يبالون من حلال اصابوا ام من حرام
وهو يطلوا انهم هاضم ولدينه وادبانهم حاطم ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا سآء
ما يزرون فصل واما ارباب الاموال ففرق فرقة منهم يحرصون على بناء
المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة
باموال كسبوها من غير حلها ويكتبون اساميهم بالآجار عليها ليخلد
ذكرهم ويبقى بعد الموت اثرهم ويظنون انهم قد استحقوا المغفرة
بذلك وانهم مخلصون فيه ولو كلف احد منهم ان ينفق دينارا ولا
يكتب اسمه على الموضع الذي انفق عليه لشق عليه ولم تسمح به نفسه والله

مطلع عليه كتب اسمه او لم يكتب فلولا انه يريد وجه الناس لا وجه الله
لما افتقر الى ذلك وربما يكون في جواره احدهم او في بلده فقير وصرف المال
اليه اهم من الصرف الى المساجد وتزيينها ومنهم من ينفق الاموال في
الصدقات وعلى الفقراء والمساكين ويطلب به المحافل الجامعة للفقراء
الذين عادتهم الشكر والافشاء للمعروف ويكره التصدق في السر ويرى
اخفاء الفقير لما اخذ منه جناية عليه وكفرانا ومنهم من يحفظ المال
ويمسكه بحكم البخل ثم يشتغل بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها
الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهو يظن انه يحسن
ومنهم من لا تسمح نفسه الا باداء الزكوة فقط ثم يخرجها من المال الخبيث
الردي الذي يرغب عنه ويطلب من الفقراء من يخدمه ويتردد في
حاجاته ويظن انما اداها لله واصناف الغرور لا تحصى وفي معناه
الشعر قال الصادق المغرور في الدنيا مسكين وفي الآخرة مغبون
لانه باع الافضل بالادنى ولا تعجب من نفسك فربما اغتررت بمالك وصحة
جسمك ان تعلك تبقى وربما اغتررت بطول العمر والاولاد والاصحاب
لعلك تنجو بهم وربما اغتررت بجمالك ومنيتك واصابتك مأمولك

وهوانك فظننت انك صادق ومصيب وربما اغتررت بما ترى من
الخلق من الندم على تقصيرك في العبادة ولعل شيئا يعلم من قلبك
خلاف ذلك وربما اكرهت نفسك على العبادة تكلفا لا
بريد الاخلاص وربما افتخرت بعملك ونسبك وانت غافل عن
مضمرات ما في علم الله وربما توهمت انك تدعو الله وانت تدعو
سواه وربما حسبت انك ناصح للخلق وانت تريد ان ينفعك
ميلوا اليك وربما ذممت نفسك وانت تمدحها في الحقيقة
واعلم انك لن تخرج من ظلمات الغرور والخفية الا بصدق الانابة ثم
الى الله تعالى والاجتهاد التام ومعرفة عيوب احوالك من جميع ابواب
العقل والعلم ولاسيما الدين والشريعة وسنن القدوة ائمة
الهدى وان كنت راضيا بما انت فيه فما احد اشقى بعملك منك
واضيع عمرا فاورثك حسرة يوم القيمة **المقالة العاشرة** في مكارم
الاخلاق وتحصيلها وفيها ستة ابواب **الباب الاول** في الصبر وهو
ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى على الشاق كالعبادة
والمكروه كالمصيبة صبر ويضاده الجزع والهلع وهو الاسترسال

في رفع

في رفع الصوت وضرب الخد وشق الجيوب وغيرها وعن شهوة
الفرج عفة ويضاده الشره وفي الغنى ضبط النفس ويضاده البطر وفي
الحرب شجاعة ويضاده الجبن وفي كظم الغيظ حلم ويضاده الغضب وفي
النوائب سعة الصدر ويضاده ضيق الصدر والتضجر والبرم وفي اخفاء
الامر كتمان ويضاده الاذاعة وفي فضول العيش زهد ويضاده الحرص
ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله ومدد باعث
الهوى من الشياطين الناصرين لاعداء الله فان ثبت باعث الدين
بامداد الملائكة حتى قهر باعث الهوى واستمر على مخالفته التحق
بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلب الهوى ولم يصبر في دفعه
التحق باتباع الشياطين وهذا الثبات انما يكون بقوة العزيمة التي يثمرها
ايمانا وهو اليقين بكون الهوى عدوا قاطعا لطريق الله وقد وصف الله
سبحانه الصابرين باوصاف وكثر ذكر الصبر في القرآن واضاف اكثر
الخيرات والدرجات الى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل وجعلنا منهم
ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل
بما صبروا وقال ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون

وقال اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وقال انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب فما من قربة الا واجرها بتقدير وحساب
الا الصبر وجعل الصابرين بانه معهم فقال واصبروا ان الله مع
الصابرين وعلق النصرة على الصبر فقال بلى ان تصبروا وتتقوا و
يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة
مسومين وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال اولئك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون واستقصاء
الآيات في مقام الصبر يطول وقال النبي (ص) الصبر نصف الايمان وقال
من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال
ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وقال الصبر كنز من كنوز الجنة
وسئل عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال الصبر من الايمان
بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا صبر له
وقال امير المؤمنين (ع) بني الايمان على اربع دعائم اليقين والصبر و
الجهاد والعدل وقال الباقر (ع) من لا يعد الصبر لنوائب الدهر
يعجز وقال الجنة محفوفة بالمكاره والصبر فمن صبر على المكاره في الدنيا

دخل

دخل الجنة وجهنم محفوفة باللذات والشهوات فمن اعطى نفسه لذتها
وشهوتها دخل النار وقال الصادق (ع) من ابتلي من المؤمنين ببلاء
فصبر عليه كان له مثل اجر الف شهيد وقال ان الله انعم على قوم فلم
يشكروا فصارت عليهم وبالا وابتلى قوما بالمصائب فصبروا فصارت
عليهم نعمة والاخبار في فضيلة الصبر اكثر من ان تحصى **فصل** اعلم ان
ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين احدهما ما يوافق هواه
والآخر ما يكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد منهما فانه
لا يستغني قط عن الصبر اما ما يوافق هواه كالصحة والسلامة والمال
والجاه وكثرة العشيرة واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار
وجميع ملاذ الدنيا فالصبر عليها اشد لانه ان لم يضبط نفسه عن
الركون اليها والانهماك في ملاذها المباحة لها اخرجه ذلك
الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى قال بعض العارفين
البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها الا الصديقون وذلك لانهم
مقرون بالقدرة ومن العصمة ان لا يقدر والجائع عند غيبة الطعام
اقدر على الصبر منه اذا حضرته الاطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها واما

ما لا يوافق الهوى والطبع فلا يخلو إما أن يرتبط باختيار العبد
كالطاعات والمعاصي أو لا يرتبط كالمصائب والنوائب أو لا
يرتبط أوله باختياره ولكن له اختيار في إزالته كالتشفي من المؤذي
بالانتقام منه فهي ثلاثة أقسام الأول ما يرتبط باختياره وهو
أفعاله التي توصف بكونها طاعة أو معصية أما الطاعة فالصبر عليها
شديد لأن النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية كما
سبق بيانه ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها
ما يكره بسبب البخل كالزكاة ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد
فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد ويحتاج المطيع إلى الصبر عليها
في ثلاثة أحوال الأولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والإخلاص
عن شوائب الرياء ودواعي الآفات والثانية حالة العمل كيلا
يغفل عن الله في أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه
ويدوم على ذلك إلى الفراغ والثالثة بعد الفراغ من العمل إذ
يحتاج إلى الصبر عن إفشائه والتظاهر به للسمعة والرياء وعن النظر
إليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط أجره وأما المعاصي

فاشد

فأشد أنواع الصبر عنها الصبر عما كان مألوفا بالعادة فإن العادة طبيعة
ثانية فإذا انضافت إلى الشهوات تظاهر جندان من جنود الشيطان
على جند الله فلا يقوى باعث الدين على قمعهما ثم إن كان ذلك الفعل
مما تيسر فعله كان الصبر عنه أثقل على النفس كالصبر عن معاصي اللسان
من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا ومن
المعرض لذلك وأشد من حركة اللسان حركة الخواطر باختلاج الوساوس
إلا بأن يغلب على القلب هم آخر في الدين يستغرقه لكن أصعب أن يصير همومه
هما واحدا وأكثر جولان الخاطر إنما يكون في فائت لا تدارك له أو
في مستقبل لا بد أن يحصل منه ما هو مقدر وكيف ما كان فهو تضييع
زمان وآلة العبد قلبه فإذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر
يستفيد به أنسا بالله أو فكر يستفيد به معرفة بالله وليستفيد بالمعرفة
محبته فهو مغبون القسم الثاني ما لا يرتبط هجومه باختياره وله
اختيار في دفعه كما لو أوذي بفعل أو قول أو جني عليه في نفسه أو ماله
فالصبر على ذلك بترك المكافأة قال الله تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا
وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال الله تعالى فاصبر على ما يقولون واهجرهم

هجراً جميلاً وقال ﴿لتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
ومن الذين اشركوا اذى كثيراً وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من
عزم الامور﴾ وقال النبي ص صل من قطعك واعط من حرمك واعف
عمن ظلمك القسم الثالث ما لا يدخل تحت الاختيار اوله واخره
كالمصائب مثل موت الاعزة وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض
ونحو ذلك وهذا صبر مستند الى اليقين قال النبي ص اسألك من اليقين ما
تهون به علي مصائب الدنيا وقال ص ما من عبد مؤمن اصيب بمصيبة
فقال كما امره الله انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي و
اعقبني خيراً منها الا فعل الله ذلك وقال ص قال الله عز وجل اذا
وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر
جميل استحييت منه يوم القيمة ان انصب له ميزاناً او انشر له ديواناً
وقال ص الصبر ثلثة صبر عند المصيبة وصبر على الطاعة وصبر على
المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلثمائة
درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء والارض ومن صبر
على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين

تخوم الارض الى العرش ومن صبر على المعصية كتب الله له تسعمائة
درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى منتهى
العرش وعن الباقر ع الصبر صبران صبر على البلاء حسن جميل وافضل
الصبرين الورع عن محارم الله **فصل** ان قلت فما ذا ينال درجة الصبر
في المصائب وليس الامر الى اختياره فهو مضطر شاء ام ابى فان كان
المراد به ان لا يكون في نفسه كراهية المصيبة فذلك غير داخل تحت
الاختيار فاعلم انه انما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب
وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى واظهار الكآبة وتغيير العادة
في الملبس والمفرش والمطعم ونحوها وهذه الامور داخلة تحت اختياره
فينبغي ان يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تع ويبقى مستمراً على
عادته ويعتقد ان ذلك كان وديعة فاسترجعت ولا يخرجه عن حد
الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع فان ذلك مقتضى
البشرية ولا ينفك الانسان الى الموت ولذلك لما مات ابراهيم ولد
النبي ص فاضت عيناه فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما
يرحم الله من عباده الرحماء وقال ايضاً العين تدمع والقلب يحزن ولا

تقول ما يسخط الرب بل ذلك انه لا يخرج عن مقام الرضا فان
المقدم على الفصد والحجامة راض به وهو متألم بسببه لا محالة
ثم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصائب وقد قيل من كنوز
البر كتمان المصائب والاوجاع والصدقة وعن الباقر (ع) قال قال
رسول الله (ص) قال الله تعالى من مرض ثلثا فلم يشك الى احد من عواده ابدلته لحما
خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فان عافيته عافيته ولا ذنب له وان قبضته
قبضته الى رحمتي وفي معناه اخبار اخر وفي بعضها فسر التبديل
بان يبدل لحما ودما وبشرة لم يذنب فيها وفسر الشكاية بان يقول
ابتليت بما لم يبتل به احد واصابني ما لم يصب احدا قال وليس الشكوى
ان يقول سهرت البارحة وحممت اليوم ونحو هذا وعن الصادق (ع)
من اشتكى ليلة فقبلها بقبولها وادى الى الله شكرها كانت كعبادة
ستين سنة سئل عما قبولها قال يصبر عليها ولا يخبر بما كان فيها فاذا
اصبح حمد الله على ما كان وسئل الباقر (ع) عن الصبر الجميل فقال ذلك
صبر ليس فيه شكوى الى الناس وعن النبي (ص) من اجلال الله تعالى ومعرفة حقه
ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك واما الشكاية الى الله تعالى

وسؤال الرفع محض قال يعقوب (ع) انما اشكو بثي وحزني الى الله
(ف) الطريق الى تحصيل الصبر تقوية باعث الدين وتضعيف باعث
الهوى بالمجاهدة والرياضة وذكر قلة فائدة الشدة ودمها او اضداد
الجزع والضجر وان يكثر التفكر فيما ورد في فضل الصبر وفي حسن عواقبه
في الدنيا والاخرة وان يعلم ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات
وانه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة اذ فاته ما لا يبقى معه الا مدة الحياة
الدنيا وحصل له ما يبقى بعد موته ابد الدهر ومن اسلم خسيسا
في نفيس فلا ينبغي ان يحزن لفوات الخسيس في الحال وان يعود هذا
الباعث مصادمة باعث الهوى تدريجا حتى يدرك لذة الظفر
بها فيتجرى عليها ويقوى منته في مصادمتها فان الاعتياد و
الممارسة للاعمال الشاقة تؤكد القوى التي تصدر منها تلك الاعمال
ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما اراد ثم ان كان ذلك بتعب
فهو تصبر وان كان بتيسر فصبر وان كان ذا جهد فرضا وان كان بتلذذ
فشكر وهو بالغيبة عن حظوظ النفس والشهود مع الله تعالى وعدم التميز
بين الالم واللذة (تنبيهات) في الرضا والشكر اما الرضا فهو ترك الاعتراض

والسخط قال الله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وعن النبي صلى الله عليه وآله انه
سأل طائفة من اصحابه ما انتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم
قالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء
فقال مؤمنون ورب الكعبة وفي خبر آخر قال حكماء علماء كادوا من
فقههم ان يكونوا انبياء وعن السجاد عليه السلام الصبر والرضا عن الله رأس
طاعة الله ومن صبر ورضي عن الله فيما قضى عليه فيما احب او كره لم
يقض الله فيما احب او كره الا ما هو خير له وعن الباقر عليه السلام احق خلق الله
ان يسلم لما قضى الله من عرف الله ومن رضي بالقضاء اتى عليه القضاء
وعظم الله اجره ومن سخط القضاء مضى عليه القضاء واحبط الله اجره
وعن الصادق عليه السلام ان اعلم الناس بالله ارضاهم بقضاء الله وعنه عليه السلام انه قال
فيما اوحى الله تعالى الى موسى بن عمران يا موسى بن عمران ما خلقت خلقا احب
الي من عبدي المؤمن واني انما ابتليه لما هو خير له واذوي عنه
لما هو خير له وانا اعلم بما يصلح عليه عبدي فليصبر على بلائي وليشكر
نعمائي وليرض بقضائي اكتبه في الصديقين عندي اذا عمل برضائي
واطاع امري وعن الكاظم عليه السلام ينبغي لمن عقل عن الله ان لا يستبطئه في رزقه

ولا يتهمه في قضائه وفائدة الرضا في الحال فراغ القلب للعبادة وراحته
من الهموم وفي المآل رضوان الله والنجاة من غضبه تعالى قال سبحانه
من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليطلب ربا سوائي والطريق
المحصل ان يعلم ان ما قضاه الله سبحانه له هو الاصلح بحاله وان لم
يبلغ علمه سره ولا مدخل للهم فيه ولا يتبدل القضاء به فائدة
بل يكون همّا لما لم يكن وحسرة الماضي وتدبير الآتي تذهب
ببركة الوقت بلا فائدة ويبقى تبعة السخط عليه بل ينبغي ان يكون همه
عن الاحساس بالالم كالعاشق والحريص ان يهون عليه العلم بجزالة
الثواب الشدة كالمريض والتاجر المتحمل مشقة الحر والسفر فهو مفوض
امره الى الله ان الله بصير بالعباد قال الصادق عليه السلام لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول
لشيء مضى لو كان غيره **فصل** اعلم ان من قال ليس فيما يخالف الهوى وانواع
البلاء الا الصبر فاما الرضا فلا يتصور فانما اتى من ناحية انكار المحبة
فاما اذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث
الرضا بافعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين احدهما ان يبطل الاحساس بالالم
ومثاله
بالالم حتى يجري عليه المؤلم ولا يحس به وتصيبه جراحة ولا يدرك المها

الرجل المحارب فانه في حال غضبه او حال خوفه قد تصيبه جراحة
وهو لا يحس بها فاذا راى الدم استدل به على الجراحة بل الذي يعدو
في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بالمه لشغل قلبه وذلك
لان القلب اذا صار مستغرقا بامر من الامور مستوفى به لم يدرك
ما عداه وكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه او بحبه
قد يصيبه ما كان يتألم به او يغتم لولا عشقه ثم لا يدرك الغم والالم
لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا اذا اصابه من غير حبيبه فكيف اذا اصابه
من حبيبه وجمال الحضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ومن
ينكشف له شيء منه فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه فلا يحس بما جرى
عليه واما الوجه الثاني هو ان يحس به ويدرك المه ولكن يكون راضيا
به بل راغبا فيه مريدا له بعقله وان كان كارها له بطبعه كالذي يلتمس
من الفصاد الفصد والحجامة فانه يدرك الم ذلك الا انه راض به وراغب
فيه ومتقلد منه المنة بفعله فهذه حالة الراضي بما يجري عليه من الالم ومهما اصابته
بلية من الله تعالى وكان له يقين بان ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته
رضي به ورغب فيه واحبه وشكر الله عليه هذا ان كان يلاحظ الثواب

الذي

الذي يجازي به عليه ويجوز ان يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب
في مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى اخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه
محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق
وقد تواصفها المتواصفون في نظمهم ونثرهم ومنه روي ان اهل
مصر مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه يوسف الصديق ع
كانوا اذا جاعوا نظروا اليه فشغلهم جماله عن الاحساس بالم الجوع بل
في القرآن ما هو ابلغ من ذلك وهو قطع النسوة ايديهن لاستهتارهن
بملاحظة جماله حتى ما احسسن بذلك وروي ان عيسى عم مر برجل اعمى
ابرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو
يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى عليه السلام
يا هذا اي شيء من البلاء اراه مصروفا عنك فقال يا روح الله انا
خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال صدقت
هات يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم هيئة قد اذهب الله
عنه ما كان به فصحب عيسى وتعبد معه **فصل** اعلم ان الدعاء غير مناقض
للرضا وكذلك كراهية المعاصي ومقت اهلها وحسم اسبابها والسعي في

اذ اتينا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد غلط في ذلك قوم من الطالبين
المغترين وزعموا ان المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله وقدره
فيجب الرضا به وهذا جهل بالتاويل وغفلة عن اسرار الشرع
فاما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرة دعوات الانبياء والائمة
وكانوا في اعلى مقامات الرضا وقد اثنى الله عز وجل على بعض عباده
بقوله يدعوننا رغبا ورهبا وقال ادعوني استجب لكم واما انكار
المعاصي وكراهيتها فقد تعبد الله عز وجل به عباده وذمهم
على الرضا بها فقال ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها وقال رضوا
بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم وفي الخبر المشهور من شهد
منكرا ورضي به فكانه قد فعله وفي الخبر لو ان عبدا قتل بالمشرق و
رضي بقتله اخر بالمغرب كان شريكا في قتله واما بغض الكفار
والفجار ومقتهم والانكار عليهم فما ورد فيه من شواهد القراه
والاخبار لا يحصى وقد ورد اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض
في الله فان قلت فقد وردت الايات والاخبار بالرضا بقضاء الله
تعالى فان كانت المعاصي بغير قضاء الله فهو محال وهو قادح في التوحيد

وان كانت بقضاء الله فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله
فكيف السبيل الى الجمع بينهما وهو متناقض على هذا الوجه
على الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد فاعلم ان هذا مما يلتبس على
الضعفاء القاصرين عن الوقوف على اسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى راوا
السكوت على المنكر مقاما من مقامات الرضا وسموه حسن الخلق و
هو جهل محض بل نقول الرضا والكراهة يتضادان اذا تواردا على شيء
واحد على وجه واحد وليس من التضاد في شيء واحد ان يكره من وجه
ويرضى به من وجه اذ قد يموت عدوك الذي هو عدو بعض اعدائك
وساع في اهلاكه فتكره موته من حيث انه مات عدو عدوك
وترضى به من حيث انه مات عدوك وكذلك المعصية لها وجهان
وجه الى الله عز وجل من حيث انه فعله واختياره وارادته فيرضى
من هذا الوجه تسليما للملك الى مالك الملك ورضى بما يفعله فيه ووجه
الى العبد من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا عند الله
بغيضا عنده حيث سلط عليه اسباب البعد والمقت وهو من هذا الوجه
منكر ومذموم ولا يشهد لذلك الا ما يكره من وجه ويرضى به من وجه

ونظائر ذلك لا تحصى فواجب على كل عبد محب لله عز وجل أن يبغض
من أبغض الله ويمقت من مقته وإن اضطر بقهره وقدرته إلى
معاداته ومخالفته موافقة للمحبوب بإظهار الغضب على من أظهر
المحبوب الغضب عليه بإبعاده وهذا يحقق ما ورد في الحب في الله والبغض
في الله مع الرضا بقضاء الله وهذا يستمد من سر القدر الذي
لا رخصة في إفشائه وهو أن الشر والخير داخلان في المشيئة والإرادة
ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي به وكشف الغطاء عنه غير
مأذون فيه فالأولى السكوت عنه والتأدب بأدب الشرع فقد
ظهر الغرض من حاجة الكشف المشير فيه **فصل** وأما الشكر فهو
عرفان النعمة من المنعم والفرح به والعمل بموجب الفرح بإضمار
الخير والتحميد لله واستعمال النعمة في طاعته أما المعرفة فأن تعرف
أن النعم كلها من الله وأنه هو المنعم والوسائط مسخرون من جهته
وأما الذي أنعم عليك هو الذي سخر لك من ألقى في قلوبهم
الاعتقادات والإرادات ما صاروا به مضطرين إلى الإيصال
إليك فمن عرف ذلك كانت معرفته شكرا لله وهذا هو الشكر

بالقلب

بالقلب وأما الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع فهو
أيضا في نفسه شكر على حدة كما أن المعرفة شكر فإن كان فرحك بالمنعم
خاصة لا بالنعمة ولا بالإنعام ومن حيث أنه تقدر بها على التوصل
إلى القرب منه والنزول في جواره فهو الرتبة العليا في الشكر وأمارته
أن لا تفرح بالدنيا إلا بما هو مزرعة الآخرة ومعينة عليها وأن تحزن
بكل نعمة تلهيك عن ذكر الله وتصدك عن سبيله وهذا أيضا شكر
بالقلب وأما العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم فهو القيام
بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق بالقلب واللسان والجوارح
أما بالقلب فقصد الخير وإضماره لكافة الخلق وأما باللسان فإظهار
الشكر لله بالتحميد الدال عليه وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته
والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى أن من شكر العينين أن تستر
كل عيب تراه لمسلم ومن شكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه لمسلم فيدخل
هذا وأمثاله في شكر نعمة هذه الأعضاء بل نقول ومن كفر نعمة العين
فقد كفر نعمة الشمس أيضا إذ الإبصار إنما يتم بهما وإنما خلقتا ليبصر بهما
ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي بهما ما يضره فيهما بل نقول المراد من

من خلق الارض والسماء وخلق الدنيا واسبابها انما يتعين
الخلق بها على الوصول الى الله ولا وصول اليه الا بمحبته والانس به
في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا ولا انس الا بدوام الذكر
ولا محبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على
الذكر والفكر الا ببقاء البدن ولا يبقى البدن الا بالارض والماء
والهواء ولا يتم ذلك الا بخلق الارض والسماء وخلق سائر الاعضاء
وكل ذلك لاجل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله
هي المطمئنة بطول العبادة والمعرفة فكل من استعمل شيئا من نعمه في غير
طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الاسباب التي لا بد منها لاقدامه
على تلك المعصية قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور وقال
ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وعن الصادق ع قال قال
رسول الله ص الطاعم الشاكر له من الاجر كاجر الصائم المحتسب والمعافى
الشاكر له من الاجر كاجر المبتلى الصابر والمعطى الشاكر له من الاجر كاجر
المحروم القانع وعنه ع قال من اعطي الشكر اعطي الزيادة قال الله تعالى
لئن شكرتم لازيدنكم وعنه ع قال ما انعم الله على عبد من نعمة فعرفها بقلبه

وحمد الله ظاهرا بلسانه فتم كلامه حتى يؤمر بالمزيد وعن الباقر ع
قال كان رسول الله ص عند عائشة ليلتها فقالت يا رسول الله
لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال
يا عائشة الا اكون عبدا شكورا قال وكان رسول الله ص يقوم على
اطراف اصابع رجليه فانزل الله سبحانه طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى
وعن الصادق ع شكر النعم اجتناب المحارم وتمام الشكر قول الرجل
الحمد لله رب العالمين وسئل هل للشكر حد اذا فعله العبد كان
شاكرا قال نعم قيل ما هو قال يحمد الله على كل نعمة عليه في اهل ومال
وان كان فيما انعم عليه في ماله حق اداه ومنه قوله سبحانه سبحان الذي سخر
لنا هذا وما كنا له مقرنين ومنه قوله رب انزلني منزلا مباركا وانت خير
المنزلين وقوله رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وعنه ع قال كان رسول الله ص
اذا ورد عليه امر يسره قال الحمد لله على هذه النعمة واذا ورد عليه امر
يغتم به قال الحمد لله على كل حال وعن الباقر ع قال اذا ذكر احدكم
نعمة الله فليضع خده على التراب شكرا لله فان كان راكبا فلينزل وليضع

حدثه على التراب فان لم يكن يقدر على النزول للشهرة فليضع خده
على قربوس فان لم يقدر فليضع خده على كفه ثم ليحمد الله على ما انعم
عليه **فصل** اعلم انه لا يبلغ احد حقيقة الشكر الا بان يعلم ان النعم
كلها من الله وان الشكر عليها ايضا نعمة من الله يحتاج الى شكر آخر
وهكذا قال الصادق عليه السلام اوحى الله عز وجل الى موسى يا موسى اشكرني
حق شكري فقال يا رب كيف اشكرك حق شكرك وليس من شكر
اشكرك به الا وانت انعمت به علي قال يا موسى الان شكرتني
حيث علمت ان ذلك مني وعن السجاد عليه السلام قال كان اذا قرأ هذه الاية
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها يقول سبحان من لم يجعل في احد
من معرفة نعمه الا المعرفة بالتقصير عن معرفتها كما لم يجعل في احد من معرفة
ادراكه اكثر من العلم بانه لا يدركه فشكر تعالى معرفة العارفين بالتقصير
عن معرفة شكره فجعل معرفتهم بالتقصير شكرا كما علم علم العالمين بانهم
لا يدركونه فجعله ايمانا علما منه انه قد وسع العباد فلا يتجاوزون
ذلك فان شيئا من خلقه لا يبلغ مدى عبادته وكيف يبلغ مدى
عبادته من لا مدى له ولا كيف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

الصادق عليه السلام قال اذا اصبحت وامسيت فقل عشر مرات
اللهم ما اصبحت بي من نعمة او عافية في دين او دنيا فمنك وحدك
لا شريك لك لك الحمد ولك الشكر بها علي يا رب حتى ترضى وبعد
الرضى فانك اذا قلت ذلك كنت قد اديت شكر ما انعم الله به عليك
في ذلك اليوم وفي تلك الليلة وفي رواية كان نوح يقول ذلك اذا اصبح
فسمي بذلك عبدا شكورا وعنه مكتوب في التورية اشكر من انعم
عليك وانعم على من شكرك فانه لا زوال للنعماء اذا شكرت ولا
بقاء لها اذا كفرت الشكر زيادة في النعم وامان من الغير يعني
من تغير الحالة وانتقالها من الصلاح الى الفساد وعن السجاد عليه السلام
قال ان الله يحب كل قلب حزين ويحب كل عبد شكور يقول
الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده يوم القيمة اشكرت فلانا فيقول
بل شكرتك يا رب فيقول لم تشكرني اذ لم تشكره ثم قال اشكركم
لله اشكركم للناس **فصل** اعلم ان النعم اما دنيوية كالخلقة السوية
والملاذ الشهية وصرف المفاسد والمضار واما دينية
كالاسلام ومعرفة الائمة المعصومين عليهم السلام والتوفيق على الطاعة والعصمة

عن المعصية والدنيوية اعظم لايصالها الى السعادة الابدية
والانجاء من الشقاوة السرمدية واشتراك الكفار في الدنيوية
واغتنام الابرار بزوال ما لا يهم منها قال الكاظم ع من حمد الله
على النعم فقد شكر والحمد افضل من تلك النعمة والطريق الى تحصيل
شكر المعرفة والتفكر في صنائعه تعالى والنظر الى الادون في الدنيا
والى الاعلى في الدين وليشكر في المصائب على انه لا يصيبه اكبر منها
وانه لا تكون في الدين وان تعجل عقوبته ولا تؤخر للاخرة فانها
كانت ثابتة تفرغ منها وان ثوابها اجزل لها وانها تنقص من القلب حب
الدنيا وهي في الحقيقة نعم اذ لا تخلو عن تكفير الخطيئة او رياضة
النفس او رفع الدرجة ومع ذلك كله فالعافية خير من البلاء نعن النبي
انه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الاخرة وكان يقول
هو والانبياء والاوصياء عليهم ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة
حسنة وكانوا يستعيذون من شماتة الاعداء وقال رسول الله
سلوا الله العافية فما اعطي عبد افضل من العافية الا اليقين واشار
باليقين الى عافية القلب عن مرض الجهل والشك فان عافية القلب

اعلا من عافية البدن

الباب الثاني في الرجاء والخوف

اما الرجاء فهو
ارتياح القلب لانتظار محبوب فان تحصل اكثر اسبابه فالاصدق اسم
الرجاء كتوقع الحصاد ممن القى بذرا جيدا في ارض صالحة يصلها الماء
فان فقد فالغرور والحماقة كالملقي في غير صالحة لا يصلها الماء
وان شك فيهما فالتمني كما اذا اصلحت الارض ولا ماء وذلك لان الدنيا
مزرعة الاخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه والطاعات
جارية مجرى تقليب الارض وتطهيرها ومجرى حفر الانهار وسياقة
الماء اليها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق فيها كالارض السبخة التي
لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد احد الا
ما زرع ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقلما ينفع ايمان مع خبث
القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمو بذر في ارض سبخة فينبغي ان يقاس
رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع فكل من طلب ارضا طيبة
والقى فيها بذرا جيدا ثم امده بما يحتاج اليه من تنقية الارض مما
يمنع نبات البذر او يفسده وسوق الماء اليه في اوقاته ثم جلس منتظرا
من فضل الله دفع الافات المفسدة الى ان يتم الزرع ويبلغ غايته

سمي انتظاره رجاء وان بث البذر في ارض سبخة مرتفعة لا ينصب
اليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذر اصلا ثم انتظر الحصاد منه سمي انتظاره حمقا
وغرورا لا رجاء وان بث البذر في ارض طيبة ولكن لا ماء لها
ولكن ينتظر مياه الامطار حيث لا تغلب الامطار ولا تمتنع ايضا سمي
انتظاره تمنيا لا رجاء فاذن اسم الرجاء انما يصدق على انتظار
محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم
يبق الا ما ليس يدخل تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل
تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات فالعبد
اذا بث بذر الايمان بماء الطاعات وطهر القلب عن شوك الاخلاق
الرديئة وانتظر من فضل الله تثبيته على ذلك الى الموت وحسن الخاتمة
المفضية الى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعثا
له على المواظبة والقيام بمقتضى الايمان في اتمام اسباب المغفرة الى
الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات او
ترك القلب مشحونا برذائل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا
ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور قال الله تعالى ان الذين امنوا والذين

هاجروا

هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله وقال
عز وجل فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض
هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وقال النبي ع الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواه وتمنى على الله
وقيل للصادق ع ان قوما من مواليك يلمون بالمعاصي ويقولون
نرجو فقال كذبوا ليسوا لنا بموال اولئك قوم ترجحت بهم الاماني
من رجا شيئا عمل له ومن خاف شيئا هرب منه وقال عليه السلام لا يكون
المؤمن مؤمنا حتى يكون خائفا راجيا ولا يكون خائفا راجيا حتى
يكون عاملا لما يخاف ويرجو فاذن العبد المجتهد في الطاعات
المجتنب للمعاصي حقيق بان ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما تمام
النعمة الا بدخول الجنة واما العاصي فاذا تاب وتدارك جميع ما
فرط منه من تقصير فحقيق بان يرجو قبول التوبة اذا كان كارها
للمعصية تسوؤه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها
ويشتهي التوبة ويشتاق اليها فحقيق بان يرجو من الله التوفيق
للتوبة لان كراهته للمعصية وحرصه على الطاعة يجري مجرى السبب الذي

قد يفضي الى التوبة وانما الرجاء بعد تأكد الاسباب فصل واما

الخوف فهو عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه

في الاستقبال وقد يحصل بظاهر اسباب المكروه ويكون قوة الخوف وشدة

تألم القلب وبحسب ضعف الاسباب يضعف الخوف والخوف من

الله تارة يكون بمعرفة الله ومعرفة صفاته وتارة يكون لكثرة الجناية

من العبد بمقارفته وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته بجلال

الله تعالى وتعاليه واستغنائه وبعيوب نفسه وجناياته يكون

قوة خوفه فأخوف الناس لربه اعرفهم بربه وبنفسه ولذلك قال

النبي صلى الله عليه وسلم انا اخوفكم لله وقال الله سبحانه انما يخشى الله من عباده العلماء

ثم بقدر كمال المعرفة يفيض اثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح

وعلى الصفات اما في البدن فبالنحول والصفار والبكاء

واما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافيا

لما فرط واستعدادا للمستقبل ولذلك قيل ليس الخائف من يبكي

ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف ان يعاقب عليه وقال الحكيم من

خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه واما في الصفات فهو ان

يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده

مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف ان فيه

سما فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول

والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد بل

يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره

ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة

بالانفاس واللحظات ومؤاخذة النفس في الخطرات والكلمات ويكون

ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا

حال من غلبه الخوف واستولى عليه واقل درجات الخوف مما يظهر اثره

في الاعمال ان يمتنع من المحظورات ويسمى الكف عن المحظورات

ورعا فان زادت قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم ويسمى

ذلك تقوى وقد يحمله على ان يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس

وهو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه التجرد للخدمة فصار لا يبني

ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت الى الدنيا ويعلم انها تفارقه

ولا يصرف الى غير الله تعالى نفسا من انفاسه فهو الصدق وصاحبه يسمى

ان ينتهي صدقها ويدخل في الصدق التقوى وفي التقوى
الورع وفي الورع العفة فانها عبارة عن الامتناع من مقتضى
الشهوات خاصة فاذن الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام

فصل اعلم ان العمل على الرجا اعلى منه على الخوف لان اقرب العباد
الى الله احبهم له والحب يغلب بالرجاء ولذلك ورد في الرجا
وحسن الظن رغايب سيما وقت الموت قال الله تعالى يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا انه هو الغفور الرحيم فحرم اصل الياس وقال ان ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم وعير الله قوما فقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم
بربكم ارداكم وقال وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال النبي (ص)
يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء
وقال لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله ودخل على رجل
وهو في النزع فقال له كيف تجدك فقال اجدني اخاف ذنوبي وارجو
رحمة ربي فقال (ص) ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه
الله ما رجاه وامنه مما يخاف وقال امير المؤمنين (ع) لرجل اخرجه الخوف

الى

الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا ياسك من رحمة الله اعظم من
ذنوبك وفي اخبار يعقوب ان الله تعالى اوحى اليه اتدري لم
فرقت بينك وبين يوسف لقولك اني اخاف ان ياكله الذئب و
انتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته
ولم تنظر الى حفظي له وعن الباقر (ع) قال قال رسول الله (ص) قال الله تعالى
لا يتكل العاملون على اعمالهم التي يعملونها لثوابي فانهم لو اجتهدوا
واتعبوا انفسهم اعمارهم في عبادتي كانوا مقصرين غير بالغين في
عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جناتي
ورفيع الدرجات العلى في جواري ولكن برحمتي فليثقوا وبفضلي
فليرجوا والى حسن الظن بي فليطمئنوا فان رحمتي عند ذلك تدركهم
ومني يبلغهم رضواني ومغفرتي تلبسهم عفوي فاني انا الله الرحمن
الرحيم وبذلك تسميت وعنه (ع) قال وجدت في كتاب علي (ع)
ان رسول الله (ص) قال وهو على منبره والذي لا اله الا هو ما اعطي مؤمن قط
خير الدنيا والاخرة الا بحسن ظنه بالله ورجائه له وحسن خلقه والكف
عن اغتياب المؤمنين والذي لا اله الا هو لا يعذب الله مؤمنا بعد

التوبة والاستغفار الا سوء ظنه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقه
واغتيابه للمؤمنين والذي لا اله الا هو لا يحسن ظن عبد مؤمن
بالله الا كان الله عند ظن عبده المؤمن لان الله كريم بيده الخيرات
يستحيي ان يكون عبده المؤمن قد احسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاه
فاحسنوا بالله الظن وارغبوا اليه وقال الصادق عليه السلام حسن الظن
بالله ان لا ترجو الا الله ولا تخاف الا ذنبك والطريق الى تحصيل الرجاء
ذكر سوابق فضل الله سبحانه من دون شفيع وما وجد من جزيل آلائه
من دون استحقاق وما انعم به عليك في الدارين من دون سؤال
وسعة الرحمة وسبقها الغضب فالاخبار الواردة في سعة رحمته سبحانه
اكثر من ان تحصى ولا حاجة بنا الى ذكرها لان المحتاج الى تحصيل الرجاء
من غلب عليه الخوف واليأس وقليل ما هم واما المنهمكون في طغيان
الذنوب والمغترون بما هم فيه من الفساد والحوب كاكثر ابناء
زماننا فلا يزداد سماعهم لها الا في طغيانهم تماديا وفي غيهم
تنبيه فصل اعلم ان الرجاء محمود الى حد فان جاوزه الى الامن فهو خسر
ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وكذا الخوف محمود الى حد فان

جاوزه الى القنوط فهو الضلال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
او الى اليأس فهو كفر ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
والاصلح ان يعتدلا قال امير المؤمنين لبعض ولده يا بني خف الله
خوفا ترى انك ان اتيته بحسنات اهل الارض لم يتقبلها منك وارج
الله رجاء كانك لو اتيته بسيئات اهل الارض لغفرها لك
وعن الباقر ليس من عبد مؤمن الا وفي قلبه نوران نور خيفة ونور
رجاء لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا
وقد جمع الله سبحانه بينهما في وصف من اثنى عليهم فقال يدعون ربهم
خوفا وطمعا وقال يدعوننا رغبا ورهبا واما غلبة الرجاء في اغلب
الناس فمستندة الى الاغترار وقلة المعرفة بل الاصلح لهم قبل الاشراف
على الموت غلبة الخوف واما عند الموت فالاصلح لهم غلبة الرجاء
وحسن الظن لان الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد
انقضى وقت العمل وهو لا يطيق هناك اسباب الخوف لانها تقطع نياط
قلبه ويعين على تعجيل موته واما روح الرجاء فانه يقوي قلبه ويحبب اليه
ربه الذي اليه رجاؤه وينبغي ان لا يفارق احد الدنيا الا محبا لله تعالى

يكون محبا للقائه فان من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن
قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبا شقت
محنته وعذابه فمهما كان الغالب على القلب عند الموت حب الاهل والولد
والمال والمسكن والرفقاء والاصحاب كانت محابه كلها في الدنيا
فكانت الدنيا جنته فكان موته خروجا من الجنة وحيلولة بينه وبين
ما يشتهيه فاما اذا لم يكن له محبوب سوى الله وسوى ذكره ومعرفته
والفكر فيه فالدنيا وعلائقها شاغلة له من المحبوب فالدنيا اذن
سجنه وموته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن فاذن غاية
السعادة ان يموت العبد محبا لله فصل اعلم ان الخوف من الله تعالى
على مقامين احدهما الخوف من عذابه وهو خوف عموم الخلق وهو حاصل
باصل الايمان بالجنة والنار وكونهما جزائين على الطاعة والمعصية وضعفه
بسبب الغفلة وبسبب ضعف الايمان وانما تزول الغفلة بالتذكر
والموعظة وملازمة الفكر في اهوال القيامة واصناف العذاب في
الاخرة ويزيد ايضا بالنظر الى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة احوالهم
فان فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو من تاثير واما الثاني وهو الاعلى

ان يكون الله هو المخوف اعني ان يخاف البعد والحجاب عنه ويرجو
القرب منه وهو خوف العلماء وارباب القلوب العارفين من
صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله
ويحذركم الله نفسه وقوله واتقوا الله حق تقاته قال الله سبحانه انما يخشى
الله من عباده العلماء وقال رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن
خشي ربه وقال النبي صلى الله عليه وسلم راس الحكمة مخافة الله وفي الدعاء المنقول الى
السجاد ع سبحانك عجبا لمن عرفك كيف لا يخافك وقال الصادق
عليه السلام من عرف الله خاف الله ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا
وقال ان من العبادة شدة الخوف من الله يقول الله تعالى انما يخشى الله
من عباده العلماء وقال تعالى فلا تخشوا الناس واخشون وقال ومن
يتق الله يجعل له مخرجا وقال ان حب الشرف والذكر لا يكونان في
قلب الخائف الراهب وقال المؤمن بين مخافتين ذنب قد مضى لا يدري
ما صنع الله فيه وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك فهو
لا يصبح الا خائفا ولا يصلحه الا الخوف وقال لا يكون المؤمن مؤمنا
حتى يكون خائفا راجيا ولا يكون خائفا راجيا حتى يكون عاملا

لئلا يخاف ويرجو وقال لاسحق بن عمار يا اسحق خف الله كأنك تراه وان
كنت لا تراه فانه يراك فان كنت ترى انه لا يراك فقد كفرت وان كنت
تعلم انه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من اهون الناظرين
اليك وقال من خاف الله اخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله
اخافه الله من كل شيء وعن النبي ص ما من مؤمن يخرج من عينيه دمعة
وان كان مثل راس الذباب من خشية الله ثم يصيب شيئا من حر
وجهه الا حرمه الله على النار وقال اذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله
تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجر ورقها وروى الصدوق في
بعض المجالس عن ابان بن ابي مسلم قال سمعت رجلا من اهل
يقول بينما رسول الله ص يستظل بظل شجرة في يوم شديد الحر اذ جاء
رجل فنزع ثيابه ثم جعل يتمرغ في الرمضاء يكوي ظهره مرة وبطنه مرة
وجبهته مرة ويقول يا نفس ذوقي فما عند الله اعظم مما صنعت بك
ورسول الله ص ينظر اليه ما يصنع ثم ان الرجل لبس ثيابه ثم اقبل
فاومى اليه النبي ص بيده ودعاه فقال له يا عبد الله لقد رايتك
صنعت شيئا ما رايت احدا من الناس صنعه فما حملك على ما صنعت

فقال

فقال الرجل حملني على ذلك مخافة الله وقلت لنفسي يا نفس ذوقي فما
عند الله اعظم مما صنعت بك فقال النبي ص لقد خفت ربك حق
مخافته وان ربك ليباهي بك اهل السماء ثم قال لاصحابه يا معشر
من حضر ادنوا من صاحبكم حتى يدعو لكم فدنوا منه فدعا لهم وقال اللهم
اجمع امرنا على الهدى واجعل التقوى زادنا والجنة مآبنا وحديث بهلول
النباش مشهور في الكتاب المذكور وعن الباقر عليه السلام
قال صلى امير المؤمنين ع بالناس الصبح بالعراق فلما انصرف وعظهم
فبكى وابكاهم ثم قال اما والله لقد عهدت اقواما على عهد خليلي رسول الله
وانهم ليصبحون ويمسون شعثا غبرا خمصا بين اعينهم كركب المعزى يبيتون
لربهم سجدا وقياما يراوحون بين اقدامهم وجباههم يناجون ربهم
في فكاك رقابهم من النار والله لقد رايتهم مع هذا وهم خائفون مشفقون
وفي خبر اخرى كان زفير النار في اذانهم اذا ذكر الله عندهم مادوا
كما يميد الشجر كان القوم باتوا غافلين قال ثم قام فما رئي ضاحكا
حتى قبض ع واما خوف الملائكة والانبياء والاولياء وائمة الهدى
كخوف ميكائيل وجبرئيل ونبينا وابراهيم الخليل وداود ويحيى والسجاد ع

وغيرهم صلوات الله عليهم فقد ذكره المحدثون في كتبهم فليطالعها
من اراد فان هذا الكتاب لا يحتمل التطويل بذكره **فصل** اعلم ان
الخوف لا يتحقق الا بانتظار مكروه والمكروه اما ان يكون مكروها في
ذاته كالنار واما ان يكون مكروها لانه يفضي الى المكروه كما تكره
المعاصي لادائها الى المكروه في الاخرة ولا بد لكل خائف من ان يتمثل في
نفسه مكروه من احد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحترق
قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه ومقام الخائفين يختلف فيما
يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة اما الخائفون مما يغلب على
قلوبهم من المكروه لغيره لا لذاته فمنهم من يغلب عليه خوف الموت قبل
التوبة او خوف نقض التوبة او خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام
حقوق الله او خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة او خوف
الميل عن الاستقامة او خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات
المالوفة او خوف ان يكله الله الى حسناته التي اتكل عليها وتعزز بها
في عباد الله او خوف البطر بكثرة نعم الله عليه او خوف الاشتغال عن الله
بغيره او خوف الاستدراج بتواتر النعم او خوف انكشاف غوائل

طاعته حتى يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب او خوف تبعات
الناس عنده في الغيبة والخيانة والغش واضمار السوء او خوف
ما لا يدري انه يحدث في بقية عمره او خوف تعجيل العقوبة في الدنيا
والافتضاح قبل الموت او خوف الاغترار بزخارف الدنيا او خوف
اطلاع الله على سريرته في حال الغفلة عنه او خوف الختم له عند الموت
بخاتمة السوء او خوف السابقة التي سبقت له في الازل فهذه كلها
مخاوف العارفين ولكل منها خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر
عما يفضي الى المخوف فمن يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب على الفطام
عن العادة والذي يخاف من اطلاع الله على سريرته يشتغل بتطهير
قلبه من الوساوس وهكذا الى بقية الاقسام واغلب هذه المخاوف
على المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه خطر واعلى الاقسام وادلها
على كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة فرع السابقة تتفرع عنها
بعد تخلل اسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ما سبق في القضاء في ام الكتاب
فاليه الاشارة بالاداة الصادقة قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس
ثم قبض يده اليمنى قابضا على كفه ثم قال الله هذا لها الا بشر ما في قالوا

الله ورسوله اعلم قال اسماء اهل الجنة واسماء آبائهم وقبائلهم
الى يوم القيمة ثم رفع يده الشمال فقال ايها الناس اتدرون ما في كفي
قالوا الله ورسوله اعلم فقال اسماء اهل النار واسماء آبائهم وقبائلهم
الى يوم القيمة ثم قال حكم الله وعدل حكم الله وعدل فريق في الجنة
وفريق في السعير ثم قال تسلك بالسعيد في طريق الاشقياء
حتى يقول الناس ما اشبههم بهم بل هو منهم ثم تداركه السعادة وقد يسلك
بالشقي طريق السعداء حتى يقول الناس ما اشبهه بهم بل هو منهم ثم
تداركه الشقاء ان من كتبه الله سعيدا وان لم يبق من الدنيا الا
فواق ناقة ختم له بالسعادة واما الخائفون فمما يغلب على نفوسهم
من المكروه للانتهاء فمنهم من يغلب عليه خوف سكرات الموت وشدته
او سؤال منكر ونكير او عذاب القبر او هول المطلع او هيبة الموقف
بين يدي الله والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير و
الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه والخوف من النار و
اغلالها واهوالها او الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك
المقيم ومن نقصان الدرجات او الخوف من الحجاب عن الله وهو اعلاها

رتبة وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العابدين و الزاهدين
وكافة العاملين ولا يخفى ان فضيلة الشيء بقدر اعانته على السعادة
ولا سعادة كسعادة لقاء الله ولا وصول اليها الا بتحصيل محبته
والانس به في الدنيا ولا يحصل المحبة الا بالمعرفة ولا يحصل المعرفة
الا بدوام الفكر ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر ولا
يتيسر المواظبة على الذكر والفكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب
ولا ينقلع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات
الا بقمع الشهوات ولا ينقمع الشهوة بشيء كما تنقمع بنار الخوف فالخوف
هو النار المحرقة للشهوات فاذن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة
وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات ويختلف ذلك
بحسب اختلاف درجات الخوف كما بيناه **فصل** اعلم ان لسوء الخاتمة اسبابا
مختلفة ويرجع الى ثلثة اما السبب الاول وهو الاعظم فهو ان يغلب على
القلب عند سكرات الموت وظهور اهواله اما الشك واما الجحود فيقبض
الروح في تلك الحالة فيصير حجابا بينه وبين الله تعالى ابدا وذلك يقتضي
البعد الدائم والعذاب المخلد وسبب ذلك ان يعتقد الرجل في ذات الله

وصفاته واقعا له خلاف الحق اما برايه ومعقوله واما بالتقليد
فينكشف له عند سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا اذ حال
الموت حال الكشف للغطاء فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن
الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته او الشك فيها فان اتفق
زهوق روحه في هذه الخطرة قبل ان يثبت ويعود الى اصل الايمان
فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك قال الله تعالى
وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقال تعالى هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا فالبله بمعزل عن هذا الخطر اعني الذين امنوا بالله ورسوله
واليوم الاخر ايمانا مجملا ولذلك ورد ان اكثر اهل الجنة البله
وورد المنع من البحث والنظر والخوض في الكلام والاكتفاء بظواهر
الشرع مع اعتقاد نفي التشبيه وذلك لان الخطر في البحث عن الصفات
عظيم وعقباته كؤدة ومسالكه وعرة والعقول عن درك جلال الله
قاصرة وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب
الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطرب

ومتعارض والقلوب لما الفته في مبدأ النشو متعلقة وبه
والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة
او الماخوذة بحسن الظن من المعلمين في اول الامر ثم الطباع بحب
الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخنقها اخذة وعن
تمام الفكر مصروفة فاذا فتح باب الكلام في الله وفي صفاته بالرأي
والعقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طباعهم
وحرص كل جاهل منهم على ان يدعي الكمال والاحاطة بكنه الحق
انطلقت السنتهم بما يقع لكل منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين
اليهم وتاكد ذلك بطول الالف فيهم فانسد بالكلية طريق الخلاص
عنهم فكانت سلامة الخلق في ان يشتغلوا بالاعمال الصالحة ولا
يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم الا من فقهه الله في الدين
وعلمه التاويل واشرق نور الحكمة في قلبه وذلك هو الكبريت الاحمر
واما السبب الثاني وهو ضعف الايمان في الاصل ثم استيلاء حب
الدنيا على القلب ومهما ضعف الايمان ضعف حب الله وقوي حب
الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله الا من حيث حديث النفس

لا يظهر له أثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان
فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو
ويسود ويتراكم ظلمة الذنوب على القلب ولا يزال يطفئ ما فيه من
نور الإيمان حتى يصير طبعا ورينا فاذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب
ضعفا لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهي المحبوبة الغالبة على
القلب فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله
فيختلج ضميره بانكار ما قدر عليه من الموت فيخشى ان يثور في باطنه
بغض الله بدل الحب فان اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي
خطر فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء فمن وجد في قلبه حب الله
اغلب من حب الدنيا وان كان يحب الدنيا ايضا فهو ابعد عن هذا
ولا يحب الله الا من عرفه قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم
واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون
كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد
في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره واما السبب الثالث فكثرة
المعاصي وان قوي الايمان وذلك لان مقارفة المعاصي سببها غلبة

الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الالف والعادة وجميع ما
الفه الانسان في عمره يعود ذكره الى قلبه عند موته فان كان ميله
الاكثر الى المعاصي غلب على قلبه عند الموت ذكر المعاصي فربما يقبض
روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي
فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله فالذي يقارف الذنب الا الفينة
بعد الفينة فهو ابعد عن هذا الخطر وذلك لانه كا انا لا
يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهدها طول عمره والفها حتى يرى
لا يرى الا ما يماثل ما شاهده في اليقظة ولكن الحالة عند سكرات
الموت وما يتقدمه من الغشية فانه شبيه بالنوم قريب منه فيقتضي
ذلك تذكر المألوفات وعودها الى القلب فربما يكون غلبة الالف
سببا لان يتمثل صورة فاحشة في قلبه وتميل نفسه اليها فربما
يقبض روحه فيكون ذلك سوء خاتمته وان كان اصل الايمان باقيا
ومن اراد ان يكف خاطره عن الانتقال الى المعاصي والشهوات فلا
طريق له الا المجاهدة طول العمر في فطام نفسه عنها وفي قمع الشهوات
من القلب فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول

المواظبة على الخير وتخلية الفكر من الشواغل عدة وذخيرة لحالة
سكرات الموت فان المرء يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات
عليه كما ورد في الخبر ولذلك نقل عن بقال انه كان يلقن كلمتي
الشهادة وهو يقول خمسة ستة اربعة وكان مشغول القلب بالحساب
الذي طال الفه قبل الموت وانما الخوف عند الموت خاطر سوء يخطر
فقط وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة
خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيختم له بما سبق به
الكتاب ولا يتسع فواق ناقة لاعمال توجب الشقاوة بل هي الخواطر
التي تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف فلهذا اعظم خوف العارفين
من سوء الخاتمة لانه لو اراد الانسان ان لا يرى في المنام الا احوال
الصالحين واحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وان كان
كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال
لا تدخل بالكلية تحت الضبط وان كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم
لما غلب في اليقظة وعرفت بهذا ان اعمال المرء كلها ضائعة ان لم
يسلم في النفس الاخير الذي فيه خروج الروح وان السلامة مع اضطراب

امواج الخواطر مشكل جدا ومن هنا قيل لا اعجب ممن هلك كيف
هلك ولكني اعجب ممن نجا كيف نجا ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة
مغبوطا عليها وموت الفجاءة مكروها اما موت الفجاءة فلانه ربما
يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب واما الشهادة فلانها
عبارة عن قبض روح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله وخرج حب الدنيا
والاهل والمال والولد اذ لا يهجم على صف القتال موطنا نفسه على
الموت الا حبا لله وطالبا لمرضاته وبائعا دنياه باخرته وراضيا بالبيع
الذي بايعه الله به اذ قال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة الاية

الباب الرابع في المحبة والانس اعلم ان المحبة هي الغاية
القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعدها مقام
الا وهو ثمرة من ثمارها كالشوق والانس ولا قبلها مقام الا وهو
مقدمة من مقدماتها كالصبر والزهد وسائر المقامات وان عز وجودها
فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها فاما محبة الله عز وجل فقد عز
الايمان بها حتى انكر بعض اهل العلم امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة
على طاعة الله عز وجل واما حقيقة المحبة فمحال الا مع الجنس والمثل

انكروا المحبة انكروا الانس والشوق ولذة المناجاة وساير لوازم
الحب ولوابعه مع ان ما في القران والحديث وحكايات المحبين
ما هو ناص على ثبوت حقيقة المحبة ولو انها مما الله عز وجل من
عن قبول التاويل بل من شواهد القران في حب الله عز وجل قوله
يحبهم ويحبونه وقوله والذين امنوا اشد حبا لله وقوله قل
ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم الى قوله احب اليكم من الله و
رسوله الاية وقال النبي لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله
احب اليه مما سواهما وقال في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك
وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الماء البارد
وفي الخبر ان ابراهيم قال لملك الموت اذ جاءه لقبض روحه هل رايت
خليلا يميت خليله فاوحى الله اليه هل رايت محبا يكره لقاء حبيبه فقال
يا ملك الموت الان فاقبض وفي مناجاة موسى يا ابن عمران كذب من زعم انه
يحبني فاذا جنه الليل نام عني اليس كل محب يحب خلوة حبيبه ها انا ذا
يا ابن عمران مطلع على احبائي اذا جنهم الليل حولت ابصارهم الي من قلوبهم
ومثلت عقوبتي بين اعينهم يخاطبوني عن المشاهدة ويكلموني عن الحضور

يا ابن عمران

يا ابن عمران هب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينيك
الدموع في ظلم الليل فانك تجدني قريبا وروينا ان عيسى مر بثلاثة
نفر قد نحلت ابدانهم وتغيرت الوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم
ما ارى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله ان يؤمن الخائف ثم
جاوزهم الى ثلاثة اخرى فاذا هم اشد نحولا وتغيرا فقال ما الذي بلغ بكم
ما ارى قال الشوق الى الجنة قال حق على الله ان يعطيكم ما ترجون ثم
جاوزهم الى ثلاثة اخرى فاذا هم اشد نحولا وتغيرا كان على وجوههم
المرايا من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما ارى فقالوا نحب الله عز وجل فقال
انتم المقربون وانتم المقربون وفي علل الشرائع عن نبينا ان شعيبا بكى
من حب الله عز وجل حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه
بصره فلما كانت الرابعة اوحى الله اليه يا شعيب الى متى يكون هذا ابدا
منك ان يكن هذا خوفا من النار فقد اجرتك وان يكن شوقا الى الجنة
فقد ابحتك فقال الهي وسيدي انت تعلم اني ما بكيت خوفا من نارك
ولا شوقا الى جنتك ولكن عقد حبك على قلبي فلست اصبر او اراك
فاوحى الله جل جلاله اما اذا كان هذا من اجل هذا فساخدمك كليمي

موسى بن عمران وقال امير المؤمنين في بعض ادعيته الهي يا
سيدي ومولاي وربي صبرت على عذابك فكيف اصبر على فراقك
وعن ابنه الحسين سيد الشهداء في دعائه يوم عرفة انت الذي ازلت
الاغيار عن قلوب احبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجأوا الى غيرك وقال
يا من اذاق احباءه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملقين
وفي المناجاة الانجيلية المنسوبة الى السجاد وعزتك لقد احببتك محبة
استقرت في قلبي حلاوتها وانست نفسي ببشارتها ومحال في عدل
اقضيتك ان تسد اسباب رحمتك عن معتقدي محبتك وفي
مناجاته الاخرى الهي فاجعلنا من الذين ترسخت اشجار الشوق
اليك في حدائق صدورهم واخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم
قال والحقنا بعبادك الذين هم بالبدار اليك يسارعون وبابك
على الدوام يطرقون واياك في الليل والنهار يعبدون وهم من
هيبتك مشفقون الذين صفيت لهم المشارب وبلغتهم الرغائب
قال وملات لهم ضمائرهم من حبك ورويتهم من صافي شربك فبك
الى لذيذ مناجاتك وصلوا ومنك على اقصى مقاصدهم

حصلوا

حصلوا ثم قال فقد انقطعت اليك همتي وانصرفت نحوك رغبتي
فانت لا غيرك مرادي ولك لا لسواك سهري وسهادي ولقاؤك
قرة عيني ووصلك منى نفسي واليك شوقي وفي محبتك ولهي
والى هواك صبابتي ورضاك بغيتي ورؤيتك حاجتي وجوارك
طلبتي وقربك غاية سؤلي وفي مناجاتك روحي وراحتي وعندك
دواء علتي وشفاء غلتي وبرد لوعتي وكشف كربتي ثم قال فلا تقطعني
عنك ولا تباعدني منك يا نعيمي وجنتي ويا دنياي واخرتي وقال الهي
من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلا ومن ذا الذي انس
بقربك فابتغى عنك حولا الهي فاجعلنا ممن اصطفيته لقربك وولايتك
واخلصته لودك ومحبتك وشوقته الى لقائك ورضيته بقضائك
ومنحته بالنظر الى وجهك وحبوته برضاك واعذته من هجرك
وقلاك ثم قال وهيمت قلبه لارادتك واجتبيته لمشاهدتك
واخليت وجهه لك وفرغت فؤاده لحبك ثم قال اللهم اجعلنا ممن
دابهم الارتياح اليك والحنين ودهرهم الزفرة والانين جباههم
ساجدة لعظمتك وعيونهم ساهرة في خدمتك ودموعهم سائلة من خشيتك وقلوبهم معلقة بمحبتك

وافئدتهم مختلعة من هيبتك يا من انوار قدسه لابصار محبيه
رائقة وسبحات نور وجهه لقلوب عارفيه شائقة يا منتهى قلوب
المشتاقين ويا غاية امال المحبين اسالك حبك وحب من يحبك
وحب كل عمل يوصل الى قربك وان تجعلك احب الي مما سواك
قال [illegible] الهي ما الذ خواطر الالهام بذكرك على القلوب وما
احلى المسير اليك بالاوهام في مسالك الغيوب وما اطيب طعم
حبك وما اعذب شرب قربك قال وغلتي لا يبردها الا وصلك
ولوعتي لا يطفيها الا لقاؤك وشوقي اليك لا يبله الا النظر وجهك
وقراري لا يقر دون دنوي منك ولهفتي لا يردها الا روحك
وسقمي لا يشفيه الا طبك وغمي لا يزيله الا قربك وجرحي لا يبريه الا
صفحك وصدا قلبي لا يجلوه الا عفوك ووسواس صدري لا يزيحه
الا امرك وامثال هذا في مناجاتهم اكثر من ان يحصى ومن [illegible]
ان لله شرابا للاولياء اذا شربوا سكروا واذا سكروا طربوا
واذا طربوا طابوا واذا طابوا ذابوا واذا ذابوا خلصوا واذا خلصوا
طلبوا واذا طلبوا وجدوا واذا وجدوا وصلوا واذا وصلوا اتصلوا

واذا

واذا اتصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم **فصل** اعلم ان الحب عبارة عن
الميل الى الشيء الملذ وانما يحصل بعد المعرفة بذلك الشيء وادراكه
اما بالحواس او بالقلب فكلما كان المعرفة به اقوى واللذة اشد واكثر
كان الحب اقوى والبصيرة الباطنة اقوى من البصر الظاهر والقلب اشد
ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال الصور
الظاهرة للابصار فيكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الامور
الشريفة الالهية التي تجل عن ان تدركها الحواس اتم وابلغ فيكون ميل
الطبع السليم والعقل الصحيح اليه اقوى فلا ينكر اذن حب الله تعالى الا من قعد به
القصور في درجة البهائم فلم يجاوز ادراكه الحواس وكما ان الانسان
يحب نفسه وكمال نفسه وبقاء نفسه ويحب غيره لاجل نفسه وكمال نفسه
وبقاء نفسه فكذلك قد يحب غيره لذاته لا لحظ ينال منه وراء
ذاته بل يكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي
يوثق به وذلك كحب الجمال والحسن فان كل جمال فهو محبوب عند مدرك
الجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة
محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا تظنن ان حب الصور الجميلة لا يتصور الا

لاجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة اخرى وقد يحب
الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال ايضا لذيذ فيجوز ان يكون
محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوبا
لا ليشرب الماء او يؤكل الخضرة او ينال منهما حظ سوى نفس الرؤية
وكان رسول الله صلعم يعجبه الخضرة والماء الجاري والطباع السليمة
قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة
والالوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى ان الانسان لتنفرج
عنه الغموم بالنظر اليها لا لطلب حظ وراء النظر ثم الحسن والجمال ليس
مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة اذ يقال هذا
صوت حسن وهذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة
وليس شيء من هذه الصفات تدرك بالبصر بل وليس الحسن
والجمال مقصورا على مدركات الحواس بل كثير من خلال الخير تدرك
بنور البصيرة الباطنة واية ذلك ان الطباع السليمة مجبولة على
حب الانبياء والائمة عليهم السلام مع انهم لم يشاهدوهم حتى ان الرجل قد
يجاوز حبه لصاحب مذهب حد العشق فيحمله ذلك على ان ينفق جميع امواله

في نصرة

في نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في
امامه ومتبوعه وجملة خلال الخير ترجع الى العلم والقدرة وهما
محبوبان بالطبع وغير مدركة بالحواس بل انما وصف الناس حاتما
بالسخاء وعليا بالشجاعة احبتهما القلوب حبا ضروريا وليس ذلك
عن نظر الى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهما ومن كان
البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني
الباطنة اكثر من حبه للمعاني الظاهرة ثم كل محب انما يحب نفسه اولا
بجبلته ومحبة الغير انما لحسنه وجماله او لاحسانه وكماله او لمجانسة
بينه وبين المحب اما محبة النفس فهي اشد واقوى لان المحبة انما يكون
بقدر الملائمة والمعرفة ولا شيء اشد ملائمة لاحد من نفسه ولا
هو لشيء اقوى معرفة منه بنفسه ولهذا اصل معرفة نفسه مفتاح لمعرفة
ربه ووجود كل احد فرع لوجود ربه وظل له فمحبة نفسه ترجع الى
محبة ربه وان لم يشعر المحب به واما محبة الغير لحسنه وجماله او لقربه من اهله
وكماله فذلك لان الجمال محبوب لذاته سواء الجمال الظاهر الصوري
او الباطن المعنوي وكذا الكمال لانه هو الجميل لذاته والكامل به

وكل مليح حسنه من جماله وكل كامل فكماله فرع كماله فما احب احد
غيره الا ولكنه احتجب عنه تحت وجوه الاحجاب واستار الاسباب كذا
الكلام في محبة الغير للاحسان فان الاحسان ايضا محبوب لذاته سواء
كان متعديا الى المحب ام لا ولا احسان الا من الله ولا محسن سواه
جل شانه فانه خالق الاحسان وذويه وجاعل اسبابه وداعيه وكل محسن
فهو حسنة من حسنات قدرته وحسن من الاء فطرته من جاد كماله
وافضاله واما محبة الغير للمجانسة فذلك لان الجنس يميل الى الجنس
سواء كانت المجانسة لمعنى ظاهر كما ان الصبي يميل الى الصبي لصباه او لمعنى
خفي كما يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال ولا طمع في جاه او مال
فان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها
اختلف وهذه المحبة فرع لمحبة النفس فرجع الى محبة الله كما عرفت فعلى كل
وجه فما متعلق المحبة الا الله الا انه لا يعرف ذلك الا اولياؤه حيث ذا
كما اشار اليه سيد الشهداء في دعاء عرفه بقوله وانت الذي ازلت
الاغيار عن قلوب احبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجأوا الى غيرك
فسبحان من احتجب عن ابصار العيان بعزته على جماله وجلاله ان يطلع

عليه الا من سبقت له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون
وتولك الخاسرين في ظلمات الغواية يعمهون وفي مسارح المحسوسات كالبهائم يترددون
يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم
غافلون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون فصل اعلم ان اجل اللذات و
اعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور ان يؤثر
عليها لذة اخرى الا من حرم هذه اللذة وذلك لان اللذات تابعة
للادراكات والانسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة
وغريزة لذة ولذتها في نيلها مقتضى طبعها التي خلقت له فغريزة الغضب
خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام وغريزة
شهوة الطعام خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها
في نيل الغذاء وهكذا ساير الغرائز وفي القلب غريزة تسمى بالبصيرة
الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين يعلم بها حقائق الامور كلها
فمقتضى طبعها المعرفة والعلم والعلم من اخص صفات الربوبية وهو منتهى
الكمال ولذلك يرتاح الطبع اذا اثني عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه
يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وجمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به ثم

ليس لذة العلم بالحراسة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك ولا
لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله وصفاته وملائكته وملكوت
السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر
شرف المعلوم فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف
والاعظم فالعلم به الذ العلوم لا محالة واشرفها واطيبها وليت
شعري هل في الوجود شيء اجل واعلى واشرف واكمل من خالق الاشياء
كلها ومكملها ومربيها ومبديها ومعيدها ومدبرها ومرتبها
فينبغي ان يعلم ان لذة المعرفة بالله اقوى من ساير اللذات لمن له غريزة
المعرفة ثم من عرفه عرف ان اللذات المقرونة بالشهوات المختلفة كانها
منطوية تحت هذه اللذة كما قيل **شعر** كانت لقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت
اذ راتك العين اهوائي فصار يحسدني من كنت احسده فصرت مولى
الورى اذ صرت مولائي تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك
يا ديني ودنيائي **فصل** اعلم انه لا فرق في الرؤية بين الدنيا والآخرة
فكما انه لا يجوز رؤيته تعالى في الدنيا بالعين والبصر فكذلك لا يجوز
رؤيته في الآخرة بالعين والبصر وكما انه يجوز رؤيته في الآخرة بالقلب

والبصيرة لاهل البصاير اعني غاية الانكشاف والوضوح بحيث
يتادى الى المشاهدة واللقا كذلك يجوز رؤيته في الدنيا بهذه العين
والحجاب بينه وبين خلقه ليس الا الجهل وقلة المعرفة دون الجسد فان
اولياء الله يشاهدونه في الدنيا في جميع احوالهم ومنصرفاتهم ليلهم و
نهارهم كما قال تعالى والشهداء عند ربهم وقال شهد الله انه لا اله
الا هو والملائكة واولوا العلم وقال الا من شهد بالحق وهم
يعلمون فسماهم شهداء لمشاهدتهم له في جميع احوالهم كما ذكر بقوله
عز وجل اينما تولوا فثم وجه الله وقال هو الاول والآخر والظاهر
والباطن ووصفه بالظاهر وقال ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم
ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما
فهؤلاء اولياء الله عيانا في هذه الآيات شاهدوه باعين قلوبهم سئل
امير المؤمنين هل رايت ربك حين عبدته فقال ما كنت لاعبد ربا
لم اره قبل وكيف رايته قال لا تدركه العيون في مشاهدة العيان
ولكن راته القلوب بحقايق الايمان وقال ابنه الحسين سيد الشهداء
كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك ايكون لغيرك من الظهور

ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل

يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الاثار هي التي توصل اليك عميت

عين لا تراك ولا تزال عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد لم تجعل له

من حبك نصيبا وقال ايضا تعرفت لكل شيء فما جهلك شيء وقال

تعرفت اليّ في كل شيء فرايتك ظاهرا في كل شيء فانت الظاهر

لكل شيء الى غير ذلك مما ورد عنهم عليهم السلام في هذا المعنى نعم يمكن ان

يزيد الانكشاف في الاخرة بقدر زيادة صفاء القلوب وتجردها

وتجردها عن العلائق الدنيوية وروى شيخنا الصدوق باسناده

عن ابي بصير عن الصادق عليه السلام قال قلت له اخبرني عن الله عز وجل هل يراه

المؤمنون يوم القيمة قال نعم وقد راوه قبل يوم القيمة فقلت متى

قال حين قال لهم الست بربكم قالوا بلى ثم سكت ساعة ثم قال ان المؤمنين

ليرونه في الدنيا قبل يوم القيمة الست تراه في وقتك هذا قال ابو

بصير فقلت له جعلت فداك فاحدث بهذا عنك فقال لا فانك اذا

حدثت به فانكره منكر جاهل بمعنى ما تقول ثم قدر ان ذلك تشبيه

كفر وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين تعالى الله عما يصفه المشبهون

والملحدون

والملحدون نادرة بالمشبهين والملحدين احقا النبي والعدوي

فانهم يزعمون ان الله سبحانه يجوز رؤيته بهذه العين في الاخرة و

ان لم تجز في الدنيا وان المؤمنين يرونه يوم القيمة بالبصر كما يرون القمر

ليلة البدر وقد سئل الصادق عليه السلام عما يروون من الرؤية فقال الشمس

جزء من سبعين جزء من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزء من

نور العرش والعرش جزء من سبعين جزء من نور الحجاب والحجاب جزء

من سبعين جزء من نور الستر فان كانوا صادقين فليملأوا اعينهم

من الشمس ليس دونها سحاب **فصل** اعلم ان الطريق الى تحصيل المحبة و

تقويتها ثم استعداد الرؤية واللقاء تحصيل المعرفة وتقويتها وذلك

بتطهير القلب من شواغل الدنيا وعلائقها والتبتل الى الله بالذكر

والفكر ثم اخراج حب غير الله منه فان القلب مثل الاناء الذي لا

يتسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين في

جوفه وكمال الحب في ان يحب الله بكل قلبه فما دام يلتفت الى غيره فزاوية

من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما اشتغل بغير الله ينقص منه حب الله الا

ان يكون التفاته الى الغير من حيث انه صنع الله وفعل الله ومظهر من مظاهر

اسماء الله والى هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى قل
الله ثم ذرهم وذلك انما يكون بغلبة الشوق وهو استكمال
الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما والشوق الى ما بقي من الطلوع
مما لم يحصل فان الشوق انما يتعلق بما ادرك من وجه ولم يدرك
من وجه وهو انما يكون باحد الامرين ولا نهاية لهما لان الاتضاح
فيما حصل لا نهاية له لكثرة جلالته وكذا الازدياد فيما بقي من جمال الله وجلاله
لا ساحل له بل مع حصول اصل الوصال يجد ابدا شوقا لذيذا لا يظهر
فيه المرء الشوق لا يسكن قط ولا سيما من يرى فوقه درجات كثيرة
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا
وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام المشتاق لا يشتهي طعاما
ولا يلتذ شرابا ولا يستطيب رقادا ولا يانس حميما ولا ياوي دارا
ولا يسكن عمرانا ولا يلبس لينا ولا يقر قرارا ويعبد الله ليلا ونهارا
راجيا بان يصل الى ما اشتاق اليه ويناجيه بلسان شوقه معبرا
عما في سريرته كما اخبر الله عن موسى بن عمران في ميعاد ربه بقوله
وعجلت اليك رب لترضى وفسر النبي عن حاله انه ما اكل ولا شرب

ولا نام ولا اشتهى شيئا من ذلك في ذهابه ومجيئه اربعين
يوما شوقا الى ربه فاذا دخلت ميدان الشوق فكبر على نفسك و
مرادك من الدنيا وودع المالوفات واحرم عن سوى معشوقك
ولب بين حيوتك وموتك لبيك اللهم لبيك واعظم الله تعالى
اجرك ومثل المشتاق مثل الغريق ليس له همة الا خلاصه وقد نسي
كل شيء دونه والاخبار الواردة في شوق لقاء الله تعالى اكثر من ان
يحصى وقد مرت الاشارة الى بعضها في ادعية المعصومين ع فصل
اعلم ان الانسان اذا غلبه التطلع من وراء حجب الغيب الى منتهى الجمال
واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب الى الطلب
وانزعج له وهاج اليه فتسمى هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو
بالاضافة الى امر غائب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة
الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة
الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشر القلب
بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا وان كان نظره الى صفات العز و
الاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تالم القلب بهذا

هذا الاستبشار فيسمى المتصف به آنساً وهذه الاحوال تابعة لهذه

الملاحظات فان غلب الانس وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتعرض له

من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن غلب عليه الانس بالله

لم يكن شهوته الا في الانفراد والخلوة وذلك لان الانس بالله

يلازمه التوحش من غير الله بل كل ما يعوق عن الخلوة يكون من اثقل

الاشياء على القلب كما روي ان موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهراً

لا يسمع كلام احد من الخلق الا اخذه الغشيان لان الحب يوجب

عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلوب عذوبة

ما سواه فان خالط الناس كان منفرداً في جماعة ومجتمعاً في خلوة

غريباً في حضر وحاضراً في سفر وشاهداً في غيبة وغائباً في حضور

ومخالطاً بالجسد منفرداً بالقلب المستغرق بعذوبة الذكر كما قال

امير المؤمنين عليه السلام في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الامر

فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا

بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة

بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه

فصل اعلم ان الانس اذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق

ولم ينغصه خوف البعد والحجاب فانه يثمر نوعاً من الانبساط في الاقوال

والافعال والمناجاة مع الله سبحانه وقد يكون منكر الصورة

لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه يحتمل ممن اقيم مقام الانس ومن

لم يقم في ذلك المقام ويتشبه بهم في الفعل والكلام هلك واشرف

على الكفر ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي امر الله تعالى كليمه موسى

ان يسأله ليستسقي لبني اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج

موسى في سبعين الفاً فاوحى الله عز وجل اليه كيف استجيب لهم

وقد اظلمت ذنوبهم عليهم وسرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين

ويأمنون مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج

حتى استجيب له فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرف فبينا موسى ذات يوم يمشي

في طريق اذا بعبد اسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود

في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى بنور الله تعالى فسلم عليه فقال له

ما اسمك قال اسمي برخ قال فانت طلبتنا منذ حين فاستسق لنا

فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما

الذي بدا لك أتعجّبت عليك عيوبهم أم عاندتك الرياح
عن طاعتك أم نفد ما عندك أم اشتد غضبك على المذنبين ألست
كنت غفاراً قبل خلق الخاطئين خلقت الرحمة وأمرت بالعطف أم
ترينا أنك ممتنع أم تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى
اخضلت بنو إسرائيل بالمطر وأنبت الله عز وجل العشب في نصف يوم
حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى فقال كيف رأيت
حين خاصمت ربي كيف أنصفني فهمّ موسى به فأوحى الله عز وجل
إليه إن برخاً يضحكني كل يوم ثلث مرات واعلم أن الانبساط والإدلال
يحتمل من بعض العباد دون البعض فمن انبساط الأنس قول موسى إن
هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقوله في
التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب إلى فرعون إنه طغى فقال ولهم
علي ذنب فأخاف أن يقتلون وقوله ويضيق صدري وقوله إننا
نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى وهذا من غير موسى من سوء الأدب
لأن الذي أقيم مقام الأنس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل ليونس ما
دون هذا لما أن أقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن في بطن

الحوت في ظلمات ثلث فنودي عليه إلى يوم الحشر لولا أن تداركه
نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ونهي نبينا أن يقتدي به فقيل
له فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم و
هذه الاختلافات بعضها لاختلاف الأحوال والمقامات وبعضها
لما سبق في الأزل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد
قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من كلّم الله
ورفع بعضهم درجات وكان عيسى من المفضلين ولأجل الإدلال سلّم
على نفسه فقال والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث
حياً وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الأنس وأما
يحيى بن زكريا فإنه أقيم مقام الهيبة والحياء فلم ينطق حتى سلّم عليه خالقه
فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً وانظر
كيف احتمل لإخوة يوسف ما فعلوا بيوسف وقد قال بعض العلماء
قد عددت من أول قوله إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا
منا إلى رأس العشرين آية من أخباره تعدد من زهدهم نيفاً
وأربعين خطيئة بعضها أكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلث والأربع

فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحمل لغيره مسئلة واحدة سئل عنها
في القلة حتى قيل لئن عاد محى اسمه من ديوان النبوة وهذه القصص
اوردت في القرآن ليعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل
فما في القرآن شيء الا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعالى
الى خلقه **فصل** واما محبة الله سبحانه لعبده فيرجع معناه الى كشف
الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه والى تمكينه اياه من القرب اليه
والى ارادته ذلك به في الازل والى تطهير باطنه من حلول الغير
وتخليته عن عوائق تحول بينه وبين مولاه حتى لا يسمع الا بالحق
ومن الحق ولا يبصر الا به ولا ينطق الا به كما ورد في الحديث القدسي
لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه
الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به فيكون
تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه و
حصوله في درجة القرب من ربه وكل ذلك من فضل الله ولطفه
به قال الله يحبهم ويحبونه وقال ان الله يحب الذين يقاتلون في
سبيله صفا وقال ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال

رسول الله صلعم ان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي
الايمان الا من يحب وقال اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه
وان رضي اصطفاه وقال اذا احب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه
وزاجرا من قلبه يامره وينهاه واخص علامات محبة الله ان ذلك يدل
على حب الله عز وجل له واما الفعل الدال على كونه محبوبا هو ان يتولى
تعالى امره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره
والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل
لهمومه هما واحدا والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له

فصل

بلذة المناجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته

اعلم ان اظهر الموجودات واجلاها هو الله سبحانه وذلك لانه هو الموجود
بذاته وما سواه موجود به قال الله سبحانه الله نور السموات والارض و
النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره ومبدأ الادراك من المدرك والذي [illegible]
هو الوجود فكل ما ادركته فانما ادركت اولا وجوده وان لم تشعر بذلك
وانما خفي عليك ذلك لغاية وضوحه ولا عجب من اخفاء شيء لسبب ظهوره
فان الاشياء انما تستبان باضدادها وما عم وجوده حتى لا ضد له عسر

ادراكه فلو اختلفت الاشياء فدل بعضها على الشيء دون بعض
ادركنا التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد اشكل
الامر وهذا كنور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم انه عرض من
الاعراض يحدث في الارض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت
الشمس دائمة الاشراق لا غروب لها لكنا نظن ان لا هيئة في الاجسام
الا الوانها فاما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس و
اظلمت المواضع ادركنا تفرقة بين الحالتين فعلمنا ان الاجسام قد استضاءت
بضوء فادقها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا
نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام
متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور هذا مع ان النور اظهر المحسوسات
اذ به يدرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر
كيف اشتبه امره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالحق سبحانه
هو اظهر الاشياء وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم او غيبة
او تغير لانهدت السموات والارض وبطل الملك والملكوت و
لادركت التفرقة بين الحالتين ولو كان بعض الاشياء موجودا بغيره لادركت

التفرقة

التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الاشياء
على نسق واحد ووجوده دائم في الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم اورثت
شدة الظهور خفاء، فهو خفي لافراط الظهور بعرضه، ولا ادركه ابصار
قوم الخفافيش، وحظ عيون الزرقاء من نور وجهه، اشد من حظ العيون
العوامش، قال امير المؤمنين لم تحط به الاوهام بل تجلى لها بها وبها
امتنع منها فالظاهر في غيب غائب في ظهوره وقال الاخفى البطون
عن الظهور ولا يقطعه الظهور من البطون فخرج بشيء دعلا فدنى
وظهر فبطن وبطن فعلن ودان ولم يدن اي ظهر وغلب ولم يغلب ومن
هنا قيل عرفت الله بجمعه بين الاضداد **الباب الخامس** في اليقين والتوكل
قال الله تعالى وبالاخرة هم يوقنون وقال النبي صم من اقل ما اوتيتم اليقين و
عزيمة الصبر ومن اوتي حظه منهما لم يبال بما فاته من صيام النهار و
قيام الليل وقال لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد
في العبادة قليل اليقين فقال ما من ادمي الا وله ذنوب ولكن من كان
غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما اذنب
تاب واستغفر وندم فيكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة وقال

اليقين الايمان كله وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع
العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى
ينقص يقينه وعن الصادق ع قال ليس شيء الا وله حد قيل فما
حد التوكل قال اليقين قيل فما حد اليقين قال ان لا تخاف مع الله
شيئا وقال ع من صحة يقين المرء المسلم ان لا يرضي الناس بسخط الله
ولا يلومهم بما لم يؤته الله فان الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا
يرده كراهية كاره ولو ان احدكم فر من رزقه كما يفر من الموت
لادركه رزقه كما يدركه الموت ثم قال ان الله تعالى بعدله وقسطه
جعل الروح والراحة في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في الشك
والسخط وانه يقول لم ولا يلومهم على ما لم يؤته الله ان لا يشكرهم
على ترك صلتهم اياه بالمال ونحوه فان ذلك شيء لم يقدر له
ولم يرزقه اياه ومن كان من اهل اليقين عرف ان ذلك كذلك
فلا يلوم احدا بذلك وعرف ان ذلك مما اقتضته ذاته بحسبها
وما اوجبته حكمة الله في امره وعنه ع ان العمل الدائم القليل على
اليقين افضل عند الله تع من عمل الكثير على غير يقين وعنه ع قال كان

امير المؤمنين

امير المؤمنين ع يقول لا يجد عبد طعم الايمان حتى يعلم ان ما اصابه
لم يكن ليخطئه وان ما اخطأه لم يكن ليصيبه وان الضار النافع هو
الله تع وعنه ع ان امير المؤمنين ع جلس الى حائط مائل يقضي بين الناس
فقال بعضهم لا تقعد تحت هذا الحائط فانه معور فقال امير المؤمنين
حرس امرأ اجله فلما قام سقط الحائط قال وكان امير المؤمنين ع
مما يفعل هذا واشباهه وهذا اليقين وعنه ع قال كان قنبر غلام
علي ع يحب عليا حبا شديدا فاذا خرج علي ع خرج على اثره بالسيف فرآه
ذات ليلة فقال يا قنبر ما لك قال جئت لامشي خلفك يا امير المؤمنين
قال ويحك امن اهل السماء تحرسني او من اهل الارض فقال لا
بل من اهل الارض فقال ان اهل الارض لا يستطيعون لي شيئا
الا باذن الله من السماء فارجع فرجع وعن الرضا ع انه تكلم
الكلام والسيف يقطر دما فقال ان شيخي واديا من ذهب حماه
باضعف خلقه النمل فلو رامه البخاتي لم تصل اليه يعني بالسيف
السلطان وعنه ع كان في الكنز الذي قال الله ع وكان تحته كنز لهما
كان فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح

وعجبت لمن ايقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن راى الدنيا
وتقلبها باهلها كيف ركن اليها فصل اليقين ان يرى الاشياء
كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسائط بل يرى الوسائط
كلها مسخرة لا حكم لها ثم التفويض بان الله سبحانه للرزق وان ما
قدر له لياتيه البتة ثم ان يغلب على قلبه ان من يعمل مثقال ذرة خيرا
يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ثم المعرفة بان الله مطلع عليه
في كل حال ويشاهد هواجس ضميره وخفايا خواطره فيكون
متادبا في جميع احواله واعماله مع الله سبحانه فيكون مبالغته في
عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله الكالئة من مبالغته في
ظاهره لسائر الناس وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع اليقين يوصل
العبد الى كل حال سني ومقام عجيب كذلك اخبر رسول الله ص عن عظم
شان اليقين حين ذكر عنده ان عيسى بن مريم ع كان يمشي على الماء
فقال لو زاد يقينه لمشى في الهواء فدل بهذا ان الانبياء مع جلالة
محلهم من الله كانت تتفاضل على حقيقة اليقين لا غير ولا نهاية
لزيادة اليقين على الابد والمؤمنون ايضا متفاوتون في قوة اليقين وضعفه

فمن

فمن قوي منهم يقينه فعلامته التبري من الحول والقوة الا
بالله والاستقامة على امر الله وعبادته ظاهرا وباطنا قد
استوت عنده حالة العدم والوجود والزيادة والنقصان
والمدح والذم والعز والذل لانه يرى كلها من عين واحدة ومن
ضعف يقينه تعلق بالاسباب ورخص لنفسه بذلك واتبع
العادات واقاويل الناس بغير حقيقة والسعي في امور الدنيا
وجمعها وامساكها مقرا باللسان انه لا مانع ولا معطي الا الله
وان العبد لا يصيب الا ما رزق وقسم له والجهد لا يزيد في الرزق
وينكر ذلك بفعله وقلبه قال الله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في
قلوبهم والله اعلم بما يكتمون وانما عطف الله لعباده حيث اذن لهم
في الكسب والحركات في باب العيش ما لم يتعدوا حدوده ولا يتركوا
فرائضه وسنن نبيه في جميع حركاتهم ولا يعدلوا عن محجة
التوكل ولا يقفوا في ميدان الحرص فاما اذا ابوا ذلك وتعلقوا
بخلاف ما حد لهم كانوا من الهالكين الذين ليس معهم في الحاصل
الا الدعاوي الكاذبة وكل مكتسب لا يكون متوكلا فلا يستجلب من

كسبه النفقة الاهل اما دينهم وعلامته ان يؤثر ما يحصل
من كسبه ويجوع وينفق في سبيل الدين ولا يمسك فالمأذون
بالكسب من كان بنفسه مكتسبا وبطلبه متوكلا وان كثر المال
عنده فانه فيه كالامين عالما بان كون ذلك وفقده سواء و
ان امسك امسك لله وان انفق فبما امره الله عز وجل فيكون
منعه وعطاؤه في الله **فصل** التوكل منزل من منازل الدين
ومقام من مقامات الموقنين بل هو من معالي درجات المقربين
وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل
ووجه غموضه من حيث العلم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد
عليها شرك في التوحيد والتباعد عنها بالكلية طعن في السنة
وقدح في الشرع والاعتماد على الاسباب انغماس في غمرة الجهل قال
الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال وعلى الله فليتوكل
المتوكلون وقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال ان الله
يحب المتوكلين فاعظم بمقام موسوم بمحبة الله صاحبه ومضمون
بكفاية الله ملابسه فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقد قال

الله

الله اليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية من غيره هو التارك
للتوكل وهو المكذب بهذه الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون
على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح
بطانا وقال من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث
لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال من سره
ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه مما في يده وعن
الصادق انه اوحى الله تعالى الى داود ما اعتصم بي عبد من عبادي
دون احد من خلقي عرفت ذلك من نيته ثم تكيده السموات والارض
ومن فيهن الا جعلت له مخرجا من بينهن وما اعتصم عبد من عبادي
باحد من خلقي عرفت ذلك من نيته الا قطعت اسباب السموات
والارض من يديه واسخت الارض من تحته ولم ابال باي واد
هلك وعنه ان الغنى والعز يجولان فاذا ظفرا بموضع التوكل
اوطنا وعنه انه قرأ في بعض الكتب ان الله تعالى يقول وعزتي وجلالي
ومجدي وارتفاعي على عرشي لاقطعن امل كل مؤمل غيري باليأس
ولاكسونه ثوب المذلة عند الناس ولانحينه من قربي ولابعدنه

من وصلني بومل غيري في الشدائد والشدائد بيدي ويرجوا
غيري ويقرع بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الابواب و
هي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني فمن ذا الذي املني
لنوائبه فقطعته ومن ذا الذي رجاني لعظيمة
رجاءه منه جعلت امال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا
وملات سمواتي ممن لا يمل من تسبيحي وامرتهم ان لا يغلقوا
الابواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي الم يعلم من
نائبة من نوائبي انه لا يملك كشفها احد غيري افتراني ابدا
بالعطاء قبل المسئلة ثم اسئل فلا اجيب سائلي ابخيل انا
فيبخلني عبدي اوليس الجود والكرم لي اوليس العفو والرحمة
بيدي اوليس انا محل الامال فمن يقطعها دوني افلا يخشى
ان يؤملوا غيري فلو ان اهل سمواتي واهل ارضي املوا جميعا
ثم اعطيت كل واحد منهم مثل امل الجميع ما انتقص ذلك من ملكي
مثل عضو ذرة وكيف ينقص ملك انا قيمه فيا بؤسا للقانطين
من رحمتي ويا بؤسا لمن عصاني ولم يراقبني فصل اعلم ان من اعتقد

جازما بانه لا فاعل الا الله وانه لا حول ولا قوة الا بالله و
ان له تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف و
العناية والرحمة بجملة العباد والاحاد وانه ليس وراء منتهى
قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته عناية اتكل
لا محالة قلبه على الله وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسه
لم يجد ذلك من نفسه فسببه احد الامرين اما ضعف اليقين وا
ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام
الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير
نقصان في اليقين كان عاجزا ان يبيت مع ميت في قبر او فراش
مع علمه بكونه عن سائر الجمادات فالتوكل لا يتم الا بقوة القلب و
قوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل سكون القلب وطمانينته فالسكون
في القلب شيء واليقين شيء اخر فكم من يقين لا طمانينة معه كما
لخليله او لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي وكم من مطمئن لا يقين له
كسائر ارباب الملل والمذاهب فان اليهودي مطمئن القلب الى تهوده
وكذا النصراني ولا يقين لهما اصلا وانما يتبعون الظن وما تهوى الا

ولقد جاءتهم من ربهم الهدى وهو سبيل اليقين إلّا انهم معرضون
عنه وعن الكاظمة في قول الله عز وجل ومن يتوكل على الله
فهو حسبه قال التوكل على الله درجات منها ان تتوكل على الله في
امورك كلها فاتفعل بك كنت عنه راضيا تعلم انه لا يالوك
خيرا وفضلا وتعلم ان الحكم في ذلك له فتوكل على الله بتفويض ذلك
عليه وثق به فيها وفي غيرها ولعل سائر درجات التوكل ان يتوكل
على الله في بعض اموره دون بعض وتعددها بحسب كثرة الامور
المتوكل فيها وقلتها **فصل** اعلم ان من الناس من يظن ان معنى التوكل
ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض
كالخرقة الملقاة وكاللحم على الوضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام
في الشرع فان الانسان مكلف بطلب الرزق بالاسباب التي هدى الله
اليها من زراعة او تجارة او صناعة او غير ذلك مما احله الله وكما
ان الصلوة والصيام والحج عبادات كلف الله بها عباده يتقربون
بها اليه كذلك طلب الرزق الحلال عبادة كلفهم الله به ليتقربوا
به اليه بل هو افضل العبادات كما مر بيانه في الباب الاول من المقالة

الثالثة ولكنه سبحانه كلفهم ايضا بان لا يثقوا الا به عز وجل
لا يثقوا بالاسباب كما انه سبحانه كلفهم بان لا يتكلوا على اعمالهم الحسنة
بل بفضل الله فمعنى التوكل المامور به في الشرع الاقدس هو اعتماد
القلب على الله في الامور كلها وانقطاعه عما سواه ولا ينافيه تحصيل
الاسباب اذا لم يسكن اليها وكان سكونه الى الله دونها مجوزا
ان يؤتيه الله مطلوبه من حيث لا يحتسب دون هذه الاسباب التي حصلها
وان يقطع الله هذه الاسباب عن مسبباتها سواء كانت لجلب نفع
متوقع او لدفع ضرر منتظر او لازالة آفة واقعة وسواء كانت مقطوعا
بها كمد اليد الى الطعام ليصل الى فيه او مظنونة كحمل الزاد للسفر واخذ
السلاح للعدو واتخاذ البضاعة للتجارة والادخار لتجدد الاضطرار
والتداوي لازالة المرض والتحرز عن النوم في مكمن السباع و
ممر السيل وتحت الحائط المائل وغلق الباب وعقل البعير ونحو
ذلك اما الموهومة كالرقية والطيرة والاستقصاء في دقائق التدبير
فيبطل بها التوكل لان امثال ذلك ليست باسباب عند العقلاء
الالباء وليست مما امر الله بها بل ورد النهي عنها على ان المامور به الاجمال

في الطلب وعدم الاستقصاء وترك الاستبطاء قال النبي ص
الا ان روح الامين نفث في روعي انه لا يموت نفس حتى تستكمل
رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وقال انما اجمل في الطلب من
ركب الفجر وقال الصادق ع ليكن طلبك المعيشة فوق كسب المضيع
ودون طلب الحريص الراضي بدنياه المطمئن اليها ولكن انزل
نفسك من ذلك بمنزلة المنصف المتعفف ترفع نفسك عن منزلة
الواهن الضعيف وتكتسب ما لا بد منه ان الذين اعطوا المال ثم
لم يشكروا لا مال لهم وقال اذا فتحت بابك وبسطت بساطك فقد
قضيت ما عليك وانما لا يبطل التوكل بالاسباب المظنونة عز و
مع ان الله تع قادر على اعطاء المطلوب بدون ذلك لان الله سبحانه
ابى ان يجري الاشياء الا بالاسباب كما قال الصادق ع وواجب
لعباده ان يطلبوا منه مقاصدهم بالاسباب التي سببها لذلك وامرهم
بذلك قال الله تعالى خذوا حذركم وقال في كيفية صلوة
الخوف وليأخذوا حذرهم واسلحتهم وقال واعدوا لهم ما استطعتم
من قوة ومن رباط الخيل وقال لموسى فاسر بعبادي ليلا والتحصن بالليل

اختفاء

اختفاء عن اعين الاعداء دفعا للضرورة قال النبي ص للاعرابي لما
اهمل البعير فقال توكلت على الله اعقلها وتوكل قال عز وجل لك ورد
ان زاهدا من الزهاد فارق الامصار واقام في سفح جبل وقال
لا اسئل احدا شيئا حتى ياتيني ربي برزقي فقعد سبعا فكاد يموت ولم
يأته رزق فقال يا رب ان احييتني فاتني برزقي الذي قسمت لي والا
فاقبضني اليك فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي لا ارزقك حتى تدخل
الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام
وهذا بشراب فاكل وشرب فاوجس في نفسه ذلك فاوحى الله
اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني ان
ارزق عبدي بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي
وفي الاسرائيليات ان موسى ع اشتكى بعلة فدخل عليه بنو اسرائيل
فعرفوا علته فقالوا لو تداويت بكذا لبرأت فقال لا اتداوى حتى
يعافيني الله من غير دواء فطالت علته فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي
لا ابرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم داووني بما ذكرتم
فداووه فبرأ فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله اليه اردت ان تبطل

حكيه توكلت على من اودع العقاقير منافع الاشياء عزيزي

فصل ومن الناس من يزعم ان حق التوكل ان يكتفي بالاسباب الخفية عن
الاسباب الجلية كان يسافر بالبوادي التي لا يطرقها الناس بغير زاد
فيدان ماض نفسه بالجوع الاسبوع فما يقاربه بحيث يصبر عنه
من غير ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله وان
يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق له وان
يوطن نفسه على انه ان مات جوعا كان خيرا له في الآخرة او يقعد
في بيته او في مسجد ويتفرغ بترك الكسب لفكر او ذكر واخلاص و
استغراق وقت بالعبادة بحيث لا يستشرف نفسه الى الناس في
انتظار من يدخل فيحمل اليه شيئا بل يكون قوي القلب في الصبر و
الاتكال على الله وهذا خطأ لان من جاهد نفسه وسواها بحيث
يصبر على الجوع الاسبوع ويمكنه التقوت بالحشيش صادفت الاسباب
الجلية فان عدم الحاجة احد الغناءين ثم ان كان اعتماده
على صبره وتمكنه من التقوت بالحشيش فليس المتوكل وان كان انما
يثق بالله وحده فليقم في بلده مع الاسباب الجلية وليثق بالله دون

الاسباب كما امر الله به الزاهد الذي مرت قصته واما توطين
نفسه باختياره على الموت جوعا فممنوع شرعا قال الله عز وجل ولا
تلقوا بايديكم الى التهلكة واما القاعد في بيته بعيدا عن
كسب ... فقد ترك اتباع امر الله تعالى بالطلب قال الصادق عليه
ان من يفوتها اشد عبادة منه وربما يكون مثله كلا على الناس
فان حاله ينادي بالتبرؤ من الياس بل هو حريص على ... الناس
... للذل الا اذا خرج من بين الناس فيرجع الى الاول من تعريض
بالنفس وتعرضه للهلاك وليت شعري اي محل في خفاء ...
وحلاها في التوكل بعدما تقرر ان معناه الثقة بالله وحده
لا بالاسباب سواء وجود الاسباب وفقدها جلاؤها وخفاؤها
ثم يتفاوت درجات الناس في حسب يقينهم وتفاوت قوة اليقين و
ضعفه في قصر الامل وطوله وفي مقدار الادخار بحسب الامل و
والعيال فمنهم من هو من المقربين ومنهم من هو من اصحاب اليمين و
منهم من لا توكل له اصلا وذلك بحسب عدم الوثوق بالاسباب اصلا
وقلته وكثرته ومن كمل ايمانه سقط وثوقه بالاسباب بالكلية فيرى قدرة الله

من حيث لا يحتسب كسباً لم يكتسب الا انه لا يترك الكسب بل يتبع
امر الله فيه وليس يتوقف الا بامانه وحده دون كسبه قال الصادق ع
ان الله جل وعز ابى ان يجعل ارزاق المؤمنين الا من حيث لا يحتسبون
وانما اختص بالمؤمنين لان كمال الايمان يقتضي ان لا يثق صاحبه
بالاسباب وان يتوكل على الله عز وجل وحده وكمال الايمان
انما يكون لصاحب العلم المكنون من الانبياء والاولياء ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء قال السجاد ع رايت الخير كله في قطع
الطمع عما في ايدي الناس ومن لم يرج الناس في شيء ورد امره الى
الله تعالى في جميع اموره استجاب الله له في كل شيء وقال الباقر ع
بئس العبد عبد له طمع يقوده وبئس العبد عبد له رغبة تذله
وقال الصادق ع شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه
عن الناس **الباب [illegible]** في الصدق واداء الامانة وادنى
الصدق الصدق في القول في كل حال وكماله بترك المعاريض
من غير ضرورة حذرا عن تفهيم الخلاف وكسب القلب صورة كاذبة
ورعايته مع الله تعالى فمن قال وجهت وجهي لله وفي قلبه سواه

واياك

واياك نعبد وهو يعبد الدنيا فهو كاذب ثم في النية تمحيضها
لله تعالى في الثواب بنفي شوبها بالمراد في الخلائق اي بمحضها فالقا
في النية لا بد ان يكون مخلصا ثم في العزم وهو الجزم القوي على
الخير فان الانسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه ان
رزقني الله مالا تصدقت بجميعه او شطره واذا لقيت عدوا في سبيل
الله قاتلته ولم ابال وان قتلت وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد
وضعف يضاد الصدق في العزيمة ثم في الوفاء بالعزم فان النفس قد
تسخو بالعزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد فاذا حقت الحقائق
وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وهذا ايضا
الصدق فيه ولذلك قال الله سبحانه رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه ثم في الاعمال وهو ان يجتهد حتى لا تدل اعماله الظاهرة
على امر في باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك العمل ولكن بان
يجر الباطن الى تصديق الظاهر وهذا غير الرياء لان المرائي
هو الذي يقصد ذلك لاجل الخلق ورب واقف على هيئة
الخشوع في صلوته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل

عن الصلوة فمن نظر اليه راه قائما بين يدي الله عز وجل وهو
بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته وكذلك قد
يمشي على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك
فهذا غير صادق في عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا
اياهم فلا ينجو من هذا الا باستواء السريرة والعلانية بان يكون
باطنه مثل ظاهره او خيرا من ظاهره وهذا كما قال امير المؤمنين
اني والله ما احثكم على طاعة الا واسبقكم اليها ولا انهاكم
عن معصية الا واتناهى قبلكم ثم في مقامات الدين وهو اعلى
الدرجات واعزها كالصدق في الخوف والرجا والتعظيم و
الزهد والحب والتوكل وسائر المكارم فان هذه الامور لها
مبادي ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقايق و
الصادق المحقق من نال حقيقتها قال الله تعالى انما المؤمنون الذين
امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون
وقال عز وجل ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر ثم قال والصابرين
في البأساء والضراء الى قوله اولئك الذين صدقوا وسئل ابو ذر

عن الايمان فقرا هذه الاية فقيل له سئلناك عن الايمان
فقال سئلت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقرا هذه الاية ولنضرب
للخوف مثلا فما من عبد يؤمن بالله الا وهو خائف من الله خوفا
ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق اي غير بالغ درجة الحقيقة
اما تراه اذا خاف سلطانا او قاطع طريق في سفره كيف يصفر لونه
وترتعد فرائصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه اكله ونومه
وينقسم عليه فكره حتى لا ينتفع به اهله وولده وقد ينزعج عن
الوطن فيستبدل بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة
والتعرض للاخطار كل ذلك خوفا من درك المحذور ثم انه لا
يخاف النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند جريان معصية عليه
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لم ار مثل النار نام هاربها ولم ار مثل الجنة
نام طالبها والتحقق لهذه الامور عزيز جدا ولكن لكل عبد منها
حظ بحسب حاله اما ضعيف واما قوي ثم درجات الصدق لا
نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون بعض فان
كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا فصل في مصباح الشريعة قال

الصادق علامته اذا اردت ان تعلم اصادق انت ام كاذب فانظر
في صدق معناك وغور دعواك وعيّرهما بقسطاس من الله عز وجل
كانك في القيامة قال الله عز وجل والوزن يومئذ الحق فاذا اعتدل
معناك بدعواك ثبت لك الصدق وادنى حد الصدق
ان لا يخالف اللسان القلب ولا القلب اللسان و
مثل الصادق الموصوف بما ذكرنا كمثل النازع روحه ان لم
ينزع فماذا يصنع وعنه ع ان الصادق اول من يصدقه الله تعالى
يعلم انه صادق فتصدقه نفسه تعلم انه صادق وعنه ع قال ان
العبد ليصدق حتى يكتب عند الله من الصادقين ويكذب حتى
يكتب عند الله من الكاذبين فاذا صدق قال الله تعالى صدق وبرّ
واذا كذب قال الله تعالى كذب وفجر وفي رواية ليصدق حتى يكتبه الله
صديقا وعنه ع قال كونوا دعاة الناس بالخير بغير السنتكم ليروا
منكم الاجتهاد والصدق والورع وقال لبعض اصحابه انظر ما
بلغ علي ع عند رسول الله ص فالزمه فان عليا انما بلغ عند رسول
الله ص بصدق الحديث واداء الامانة وقال ع لا تنظروا الى طول

ركوع

ركوع الرجل وسجوده فان ذلك شيء اعتاده ولو تركه
لاستوحش لذلك ولكن انظروا الى صدق حديثه واداء امانته
وقال ع ان الله تعالى لم يبعث نبيا الا بصدق الحديث واداء
الامانة الى البر والفاجر وعن النبي ص اداء الامانة يجلب الرزق
والخيانة تجلب الفقر وعن امير المؤمنين ع ادوا الامانات ولو
الى قاتل اولاد الانبياء وعن الصادق ع من ائتمنك بامانة
فادّها اليه ومن خانك فلا تخنه **الباب الحادي والستون** في العبادات
واسرارها وفيها سبعة ابواب **الباب الاول** في النية والاخلاص
قال النبي ص انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرء ما نوى فمن كانت
هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته
الى الدنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه
وانما قال ذلك حين قال له بعض الصحابة ان بعض المهاجرين
الى الجهاد ليس غرضه من تلك الهجرة الا اخذ الغنائم من الاموال
والسبايا او نيل الصيت عند الاستيلاء فبين ص ان كل احد
يعمل ما ينبغيه ويصل ما ينويه كائنا ما كان دنيويا او اخرويا

وهذا الخبر مما يعده اصحاب الحديث من المتواترات وهو دال
مما يلقنونه اولادهم ويقولون انه نصف العلم واعلم انه لا يجب من
عبادة الله ولا يعد من طاعته بحيث يترتب عليه الاجر في الآخرة
الا ما يراد به التقرب الى الله تعالى والدار الآخرة اعني به وجه الله او
التوصل الى ثوابه والخلاص من عقابه وبالجملة امتثال امر الله تعالى
فيما ندب عباده اليه بقوله عز وجل ادعوه خوفا وطمعا وقوله
يدعوننا رغبا ورهبا وكل ما وعد به الجنة واوعد عليه النار
فلا بأس بالنية التي تخص رغب ورهب ووعد ووعيد انما
يثيبهم على حسب افهامهم ومقادير هممهم فمن عرف الله بجماله
وجلاله ولطفه فعاله واحبه واشتاق اليه واخلص عبادة
لله لكونه اهلا للعبادة والمحبة له احبه الله واخلصه واجتباه
وقربه الى نفسه وادناه قربا معنويا ودنوا روحانيا كما قال في
حق بعض من هذه صفته وان له عندنا لزلفى وحسن مآب قال
امير المؤمنين ع وسيد الموحدين ع الهي ما عبدتك خوفا من نارك
ولا طمعا في جنتك لكن وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك ومن لم

يعرف من الله سوى كونه الها صانعا للعالم قادرا قاهرا
عالما وان له جنة ينعم فيها المطيعين ونارا يعذب فيها العاصين
فعبده ليفوز بجنته او يكون له النجاة من ناره ادخله الله بعبادته
وطاعته الجنة وانجاه من النار لا محالة كما اخبر عنه في غير موضع
من كتابه فانما لكل امرئ ما نوى فلا تصغ الى قول من ذهب
الى بطلان العبادة اذا قصد بفعلها تحصيل الثواب او الخلاص من العقاب
زعما منه ان هذا القصد مناف للاخلاص الذي هو ارادة وجه
الله سبحانه وحده وان من قصد ذلك فانما قصد جلب النفع لا
نفسه ودفع الضرر عنها لا وجه الله سبحانه فان هذا قول من لا
معرفة له بحقائق التكاليف ومراتب الناس فيها بل لا معرفة له
بالنية وحقيقتها وانها عبارة عن انبعاث النفس وميلها وتوجهها
الى ما فيه غرضها ومطلبها اما عاجلا واما آجلا لا مجرد قول
القائل عند العبادة افعل كذا قربة الى الله وتصور معنى هذا القول
بخاطره وملاحظته بقلبه وان لم يكن للنفس انبعاث الى التقرب هيهات
انما هذا تحريك لسان وحديث نفس وما ذلك الا كقول الشبعان

اشتهي هذا الطعام قاصدا لحصول الاشتهاء وهذا الانبعاث
اذا لم يكن حاصلا لها لا يمكنها اختراعه واكتسابه بمجرد القول
والتصور واكثر الناس يتعذر عليهم العبادة ابتغاء وجه الله
والتقرب اليه لانهم لا يعرفون من الله سبحانه الا المرجو والمخوف
فغايتهم ان يتذكروا النار ويحذروا انفسهم عقابها ويتذكروا
الجنة ويرغبوا انفسهم ثوابها خصوصا من كان الغالب على
قلبه الميل الى الدنيا فانه قلما ينبعث له داعية الى فعل الخيرات
لينال بها ثواب الآخرة فضلا عن عبادته على نية اجلال الله
عز وجل لاستحقاقه الطاعة والعبودية فانه قل من يفهمها فضلا
عن ان يتعاطاها فلو كلفهما لكان تكليفا بما لا يطاق وليس
معنى الاخلاص في العبادة الا ان لا تكون مشوبة بشوائب الدنيا
والحظوظ العاجلة للنفس كمدح الناس والخلاص من الفقر بعتق
العبد ونحو ذلك كما يأتي بيانه وظاهر انه لا ينافيه ارادة الجنة و
الخلاص من النار مما وعد في الآخرة وان كان من جنس الما [illegible]
في الدنيا ولو كان مثل هذه النيات مفسدا للعبادات لكان الترغيب

والترهيب والوعد والوعيد عبثا بل مخلا بالمقصود ثم ليت
شعري كيف يمكن العبد الضعيف المهين الذليل الذي لا يملك لنفسه
نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ان يستغني عن جلب النفع
عن مولاه لنفسه او دفع الضرر عنها ومن امعن حق الامعان فلا
يجد اكثر القائلين ببطلان العبادة باحدى النيتين الاوليين تتم
الصحيحة في عباداتهم ترجع الى احدهما وهم لا يشعرون وعن الصادق
العباد ثلثة قوم عبدوا الله عز وجل خوفا فتلك عبادة العبيد
وقوم عبدوا الله عز وجل طلب الثواب فتلك عبادة الاجراء وقوم
عبدوا الله عز وجل حبا له فتلك عبادة الاحرار وهي افضل العبادة
وقوله وهي افضل العبادة يعطي ان العبادة على الوجهين الاولين لا
تخلو من فضل ايضا فضلا عن ان تكون صحيحة **فصل** قد ورد في الحديث
المشهور عن النبي انه قال نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله
وكل عامل يعمل على نيته وقد اختلف الفقهاء في معنى الحديث على
اقوال شتى والذي ظهر لي ان ذلك لان المؤمن ينوي خيرات كثيرة
لا يساعده الوقت على عملها فكان الثواب المترتب على نياته اكثر من

الثواب المترتب على الاعمال وفي رواية ان المؤمن لينوي ان يقع عباداته
على احسن الوجوه لان ايمانه يقتضي ذلك ثم اذا كان يشتغل بها لا يتيسر له
ذلك ولا يأتي بها كما يريد فلا يأتي بها كما ينبغي فالذي ينوي دائما خير
من الذي يعمل به في كل عبادة والى هذا اشار الباقر عليه السلام حيث
كان يقول نية المؤمن خير من عمله وذلك لانه ينوي من الخير ما لا يدركه
ونية الكافر شر من عمله وذلك لان الكافر ينوي الشر ويأمل من
الشر ما لا يدركه وعن الصادق عليه السلام انه قيل له سمعتك تقول نية المؤمن
خير من عمله فكيف تكون النية خيرا من العمل قال لان العمل انما كان رياء
للمخلوقين والنية خالصة لرب العالمين فيعطي عز وجل على النية ما
لا يعطي على العمل ثم قال ان العبد لينوي من نهاره ان يصلي بالليل
فيغلبه عينه فينام فيثبت الله له صلوته ويكتب نفسه تسبيحا
ويجعل نومه صدقة وعنه ان العبد المؤمن الفقير ليقول يا رب ارزقني
حتى افعل كذا وكذا من البر ووجوه الخير فاذا علم الله عز وجل ذلك منه
بصدق نية كتب الله له من الاجر مثل ما يكتب له لو عمله ان الله واسع
كريم وعنه انه سئل عن حد العبادة التي اذا فعلها فاعلها كان مؤديا

فقال

فقال حسن النية بالطاعة يعني ان يكون له في طاعته نية حسنة
فان تيسر له الاتيان بها واتى بنيته والا فقد ادى ما عليه من العبادة
بحسن نيته وعنه انما خلد اهل النار في النار لان نياتهم كانت
في الدنيا ان لو خلدوا فيها ان يعصوا الله فيها ابدا وانما خلد اهل
الجنة في الجنة لان نياتهم كانت في الدنيا ان لو بقوا فيها ان يطيعوه
ابدا فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء ثم تلا قوله تعالى قل كل يعمل على
شاكلته قال على نيته وعنه من سمع شيئا من الثواب على شيء فصنعه
كان له اجره وان لم يكن على ما بلغه ومما قيل في معنى الحديث المشهور ان
النية انما تكون خيرا من العمل لتوقف نفع العمل عليها دون العكس لكون
الغرض الاصلي من العمل تأثر القلب بالميل الى الله تعالى عن الغير كما
قال الله عز وجل لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى
منكم لان تأثر الجارح اثره على ضد ما تأثر هو بعزمها بخلاف الجارح
على انه امرها التأثر صفة القلب ولهذا من هم بحسنة
ولم يعملها كتبت له حسنة لان هم القلب هو ميله الى الخير وانصرافه عن
الهوى وحب الدنيا وهو غاية الحسنات وانما الاتمام بالعمل تزيدها

تأكيداً فليس المقصود من إراقة دم القربان الدم واللحم
بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها إيثاراً لوجه الله عز وجل
وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهم وإن عاق عن العمل
عائق فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى
منكم والتقوى في القلب ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج في غزوة
تبوك إن بالمدينة قوماً ما قطعنا وادياً ولا وطئنا موطئاً يغيظ
الكفار ولا أنفقنا نفقة ولا أصابتنا مخمصة إلا شاركونا في ذلك
وهم في المدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا فقال
حبسهم العذر فشاركونا بحسن النية **فصل** النية إما واحد كالقيام
للأكابر وإما متعددة كالتصدق للفقير والقرابة فأما أن لا ينقل
شيء ويرضى بالامتناع عند الانفراد أو ينقل مع ما ناويا أو متفقاً
ومتعدد والجزاء يتعدد بها جزاءً كالدخول في المسجد لزيارة الله
عز وجل فإن المسجد بيت الله وفي الحديث النبوي من دخل المسجد
فقد زار الله عز وجل وحق على المزور إكرام زائره ولانتظار
الصلاة والاعتكاف والانزواء والتجرد للذكر وعن الذنوب

ادراكاً كالقعود فيه للحديث بالباطل وملاحظة النساء والمناظرة
للمباهاة والمراءاة وجزؤها يصير المباح عبادة كالتطيب يوم الجمعة
لإقامة السنة وتعظيم المسجد واليوم ودفع الأذى بالنتن وإدخال
السرور بالعرف وسد باب الغيبة وربما يقصد على محضها فالتعرض
للمتزوجة أو غائب صاحبه أو نشاط الصلاة أفضل منها في الحلال
وشرها يصير معصية كالتطيب للتفاخر بإظهار الثروة والتعرض
للزنا ولا تؤثر في الحرام فلا يباح شرب الخمر لموافقة الإخوان **فصل** النية
عزيمة لا تحت الاختيار وذلك لأن حقيقتها انبعاث القدرة و
توجهها إلى ملايم ظهر لها أن فيه غرضها إما عاجلاً أو آجلاً وما
لم يعتقد أن غرضه منوط بفعل من الأفعال فلا يتوجه نحوه قصده
وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين وإذا اعتقد فإنما
يتوجه القلب إذا كان فارغاً عن صرفه عنه بغرض شاغل أقوى
منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف لها أسباب
كثيرة بها يجتمع ويختلف ذلك بالأشخاص والأحوال والأفعال فإذا
غلبت شهوة النكاح ولم يعتقد غرضاً صحيحاً في الولد لم يمكنه أن يتزوج

على نية الولد بل لا يمكن إلا على نية قضاء الشهوة إذ النية هي إجابة
الباعث ولا باعث إلا الشهوة فكيف ينوي الولد من لم يغلب على قلبه
هذه النية مثلا أن يقوي أولا إيمانه بالشرع ويقوي إيمانه بعظم
ثواب من سعى في تكثير أمة محمد ص ويدفع عن نفسه جميع المنفرات
عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره وإذا فعل ذلك
فربما انبعث من قلبه رغبة إلى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك
الرغبة وتحرك أعضاءه لمباشرة العقد فإذا انتهضت القدرة
المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على
القلب كان ناويا وإذا لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويردده
في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة
من جملة من الطاعات إذ لم تحضرهم النية وكانوا يقولون ليس تحضرني فيه
نية وذلك لعلمهم بأن النية روح الأعمال وأن العمل بغير نية
صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعن
عيسى أنه أتاه مولى له فسلم عليه وطلب منه أن يمضي معه في حاجته فانصرف
الرجل فلما انتهى إلى باب داره دخل وترك الرجل فقال له ابنه

اسمعيل يا أبه ألا كنت عرضت عليه الدخول فقال لم يكن من نيتي أن
أدخله قال له فلم يكن يدخل قال يا بني إني أكره أن يكتبني الله عراضا
في مصباح الشريعة قال الصادق ع صاحب النية الصادقة صاحب
القلب السليم لأن سلامة القلب من هواجس المحذورات تخلص النية
لله في الأمور كلها قال الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى
الله بقلب سليم وقال النبي ص نية المؤمن خير من عمله وقال إنما الأعمال
بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ولا بد للعبد من خالص النية
في كل حركة وسكون لأنه إذا لم يكن بهذا المعنى يكون غافلا و
الغافلون قد وصفهم الله تعالى فقال إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل
سبيلا وقال أولئك هم الغافلون ثم النية تبدو من القلب على
قدر صفاء المعرفة وتختلف على حسب اختلاف الأوقات في معنى قوته
وضعفه وصاحب النية الخالصة نفسه وهواه معه مقهورتان
تحت سلطان تعظيم الله والحياء منه وهو من طبعه وشهوته و
نفسه منه في تعب والناس منه في راحة **فصل** وأما الإخلاص فهو
تجريد النية عن الشوب فلا على إرادة وجه الله ويعرف بالتفكر في صفاته

وانما الرياء المناجاة ثم ارادة نفع الآخرة فهو حظ النفس ودرجة في
حقيقته ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت تعمل لله لا تحب ان
تحمد عليه قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
وقال الا لله الدين الخالص وقال الا الذين تابوا واصلحوا و
اعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وعن امير المؤمنين ع قال طوبى
لمن اخلص لله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه
ولم ينس ذكر الله بما تسمع اذناه ولم يحزن صدره بما اعطي غيره
وعن الباقر ع قال ما اخلص عبد الايمان بالله اربعين يوما
او قال ما اجمل عبد ذكر الله اربعين يوما الا زهده الله في الدنيا
وبصره داءها ودواءها فاثبت الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه
وعن الصادق ع في قول الله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا
قال ليس يعني اكثركم عملا ولكن اصوبكم عملا وانما الاصابة خشية الله
والنية الصادقة ثم قال الابقاء على العمل حتى يخلص اشد من العمل
والعمل الخالص الذي لا تريد ان يحمدك عليه احد الا الله عز وجل
والنية افضل من العمل الا وان النية هو العمل ثم تلا قوله عز وجل

قل

قل كل يعمل على شاكلته يعني على نيته والطريق الى الاخلاص
كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب
ذلك على القلب وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها
خالصة لوجه الله تعالى ويكون فيها مغرورا لانه لا يدري وجه
الآفة فيه كما حكي عن بعضهم انه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت
صليتها في المسجد جماعة في الصف الاول لاني تأخرت يوما لعذر
وصليت في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث رأوني
في الصف الثاني فعرفت ان نظر الناس الي في الصف الاول كان
يسرني وكان سبب استراحة قلبي من ذلك من حيث لا اشعر وهذا دقيق
غامض وقلما تسلم الاعمال عن امثاله وقل من يتنبه له والغافلون
عنه يرون حسناتهم في الآخرة كلها سيئات وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون وبدا لهم سيئات ما عملوا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
وقد مضت الاشارة الى امثال ذلك في باب ذم الغرور **فصل** اعلم
انه قد ثبت باجماع الامة على ان من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه
واثيب عليه مع ان سفره ليس خالصا للحج والوجه فيه ان التجارة من

للشرف وهو ايضا عبادة كما مضى بيانه وقد عرفت ان النيات
المتعددة موجبة لتضاعف الثواب بحسبها وليس الامر كما ظن
ان التاجر انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائها الى مكة وتجا
غير موقوفة عليه فهو خالص وانما المشترك طول المسافة ولا
ثواب فيه مهما قصد تجارة ولا كما ظن انه مهما كان الحج هو المحرك
الاصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس
عن ثواب نعم اذا كان التجارة للحج والادخار من غير حاجة فلا
ان يقال ذلك وكذا اذا انضم الى قصد الحج قصد التفرج والتو
عن الاهل انضماما غير مستقل ونحوه اذا انضم الى نية الصوم قصد
الحمية والى نية الوضوء التبرد والى نية العتق سوء الخلق والخلا
عن المؤنة وغير ذلك اذا لم تكن المنضمات مستقلة واما ما للاخلاص
من انواع الرياء وغيره فقد مر الكلام فيه في باب الرياء والكبر
وجه للاعادة **فصل** في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام الاخلاص
يجمع فواضل الاعمال وهو معنى مفتاحه القبول وتوقيعه الرضا
فمن يتقبل الله منه ويرضى عنه فهو المخلص وان قل عمله ومن لا يتقبل

منه

منه فليس بمخلص وان كثر عمله اعتبارا بآدم عليه السلام وابليس وعلامة القبول
وجود الاستقامة ببذل كل المحاب مع اصابة علم كل حركة و
والمخلص ذائب روحه وباذل مهجته في تقويم ما به العلم والاعمال
العامل والمعمول بالعمل لانه اذا ادرك ذلك فقد ادرك الكل واذا
ذلك فاته الكل وهو تصفية معاني التنزيه في التوحيد كما قال الاول
هلك العاملون الا العابدون وهلك العابدون الا العالمون
هلك العالمون الا المتقون وهلك المتقون الا الموقنون وان
لعلى خطر عظيم قال الله تعالى لنبيه واعبد ربك حتى يأتيك اليقين
ادنى حد الاخلاص بذل العبد طاقته ثم لا يجعل لعمله عند الله
فيوجب به على ربه مكافاة بعمله لعلمه انه لو طالبه بوفاء حق العبو
لعجز وادنى مقام المخلصين في الدنيا السلامة من جميع الآثام و
الآخرة النجاة من النار والفوز **الباب الثاني** في الطهارة والنظافة
الله سبحانه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين وقال تعا
ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وقال النبي
الطهور نصف الايمان وقال مفتاح الصلاة الطهور وقال بني الدين

على النظافة وقال ص تعس العبد القاذورة وقال من اتخذ ثوبا
فلينظفه وقال امير المؤمنين ع النظيف من الثياب يذهب الهم والحزن
وهو طهور للصلوة فيتفطن ذووا البصائر بهذه الظواهر ان اهم
الامور تطهير السرائر اذ يبعد ان يكون المراد بقوله ص الطهور
نصف الايمان عمارة الظاهر بالتطهير والتنظيف بافاضة الماء
نصف الايمان والنصف الاخر عمارة الباطن بالاعمال الصالحة و
الاخلاق الحميدة فالطهارة لها اربع مراتب الاولى تطهير الظاهر من
الاحداث والاخباث والفضلات والثانية تطهير الجوارح عن
الجرائم والاثام والتبعات والثالثة تطهير القلب من مساوي
الاخلاق ورذائلها والرابعة تطهير السر عما سوى الله جل جلاله
وهي طهارة الانبياء والصديقين والطهارة في كل رتبة نصف العمل
الذي فيها وهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال
العبد الطبقة العالية الا ان يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى
طهارة السر عما سوى الله وعمارته بمعرفة الله وانكشاف جلاله
وعظمته ما لم يفرغ عن طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته

بالمحمود ولن يصل الى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح
من المناهي وعمارتها بالطاعات وكلما عز المطلوب وشرف
صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظنن ان هذا
الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا نعم من عميت بصيرته عن تفاوت
هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاولى التي هي
كالقشر الاخير بالاضافة الى اللب المطلوب فصار يمعن فيه ويستقصي
في مجاريه والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل و
الرياء والنفاق فصل ينبغي للعاقل ان يتذكر بتخليته لقضاء الحاجة
نقص نفسه وفضاحته وما يشتمل عليه من الاقذار وباستراحته
عند اخراجها وسكون قلبه من دنسها وصلاحيته للوقوف على
بساط الخدمة والتاهل للمناجاة هوان الدنيا ومصير عواقب
شهواتها ولذاتها ونعيمها وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه
انما سمي المستراح مستراحا لاستراحة النفوس من اثقال النجاسات
واستفراغ الكثافات والقذر فيها والمؤمن يعتبر ان الخالص
من حطام الدنيا كذلك يصير عاقبتها فيستريح بالعدول عنها وتركها

ويفرغ نفسه وقلبه عن شغلها ويستنكف عن جمعها واخذها ثم
عن النجاسة والغائط والقذر ويتفكر في نفسه المكرمة في حال
كيف تصير ذليلة في حال ويعلم ان التمسك بالقناعة والتقوى
يورث له راحة الدارين فان الراحة في هوان الدنيا والفراغ من
التمتع بها وفي ازالة النجاسة من الحرام والشبهة فيغلق عن نفسه باب
الكبر بعد معرفته اياها ويفر من الذنوب ويفتح باب التواضع والندم
والحياء ويجتهد في اداء اوامره واجتناب نواهيه طلبا لحسن المآب
وطيب الزلف ويسجن نفسه في سجن الخوف والصبر والكف عن
الشهوات الى ان يتصل بامان الله في دار القرار ويذوق طعم رضاه
فان المعول على ذلك وما عداه فلا شيء مصر عن النبي ص انه قال ان
افواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك وقال ص صلوة على اثر السواك
افضل من خمس وسبعين صلوة بغير سواك وفي مصباح الشريعة قال
الصادق ع قال النبي ص السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب وجعلها من
السنة المؤكدة وفيها منافع للظاهر والباطن ما لا يحصى لمن عقل وكما
تزيل ما تلوث من اسنانك من مطعمك ومأكلك بالسواك كذلك

فازل

فازل نجاسة ذنوبك بالتضرع والخشوع والتهجد والاستغفار
بالاسحار وطهر باطنك كما طهرت ظاهرك من كدورات المخالفات وركوب
المناهي كلها خالصا لله فان النبي ص اراد باستعماله مثلا لاهل اليقظة
وهو ان السواك نبات لطيف نظيف وغصن شجر عذب مبارك
والاسنان خلق خلقه الله تعالى في الفم آلة واداة للمضغ وسببا لاشتهاء
الطعام واصلاح المعدة وهي جوهرة صافية تتلوث بصحبة تمضيغ
الطعام وتتغير بها رائحة الفم ويتولد منها الفساد في الدماغ فاذا
استاك المؤمن الفطن بالنبات اللطيف ومسحها على الجوهرة الصافية
ازال عنها الفساد والتغير وعادت الى اصلها كذلك خلق الله القلب
طاهرا صافيا وجعل غذاؤه الذكر والفكر والهيبة والتعظيم واذا شيب
القلب الصافي بتغذيته بالغفلة والكدر صقل بمصقلة التوبة
ونظف بماء الانابة ليعود الى حالته الاولى وجوهرته الاصلية الصافية
قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فان النبي ص
امرنا بالسواك لظاهر الاسنان واراد هذا المعنى ومن اناخ
تفكره على باب العبرة في استخراج مثل هذه الامثال في الاصل والفرع

فتح الله له عيون الحكمة والمزيد من فضل الله والله لا يضيع اجر
المحسنين قال النبي صلعم من توضا فذكر اسم الله طهر جميع جسده
وكان الوضوء الى الوضوء كفارة لما بينهما من الذنوب ومن لم
يسم لم يطهر من جسده الا ما اصابه الماء وقال الصادق ع من
ذكر اسم الله على وضوئه فكانما اغتسل وفي مصباح الشريعة قال
الصادق ع اذا اردت الطهارة والوضوء فتقدم الى الماء
تقدمك الى رحمة الله فان الله تع قد جعل الماء مفتاح قربه
ومناجاته ودليلا الى بساط خدمته وكما ان رحمته تطهر ذنوب العباد
كذلك نجاسات الظاهرة يطهرها الماء لا غيره قال الله تع وهو
الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وانزلنا من السماء
ماء طهورا وقال عز وجل وجعلنا من الماء كل شيء حي فكما احيى
به كل شيء من نعيم الدنيا كذلك بفضله ورحمته جعل حياة القلوب
بالطاعات وتفكر في صفاء الماء ورقته وطهوره وبركته ولطيف
امتزاجه بكل شيء وفي كل شيء واستعمله في تطهير الاعضاء التي امرك الله
بتطهيرها وات باداتها فرايضه وسننه فان تحت كل واحدة منها

فوايد كثيرة اذا استعملتها بالحرمة انفجرت لك عين فوايده عن
قريب ثم عاشر خلق الله كامتزاج الماء بالاشياء يؤدي كل شيء
حقه ولا يتغير عن معناه معتبرا لقول رسول الله صلعم مثل المؤمن الخالص
كمثل الماء ولتكن صفوتك مع الله تع في جميع طاعاتك كصفوة الماء
حين انزله من السماء وسماه طهورا وطهر قلبك بالتقوى و
اليقين عند طهارة جوارحك بالماء وقال الرضا ع انما امر العبد بالوضوء
ليكون العبد طاهرا اذا قام بين يدي الجبار عند مناجاته اياه
مطيعا له فيما امره نقيا من الادناس والنجاسة مع ما فيه من ذهاب
الكسل وطرد النعاس وتزكية الفؤاد بالقيام بين يدي الجبار
وانما وجب على الوجه واليدين والراس والرجلين لان العبد اذا
قام بين يدي الجبار فانما ينكشف من جوارحه ويظهر ما يوجب فيه
الوضوء وذلك انه بوجهه يسجد ويخضع وبيده يسال ويرغب و
يرهب ويتبتل وبراسه يستقبله في ركوعه وسجوده وبرجليه
يقوم ويقعد وامر بالغسل من الجنابة دون الخلاء لان الجنابة
من نفس الانسان وهو شيء يخرج من جميع جسده والخلاء ليس هو من نفس

الانسان انما هو غذاء يدخل من باب ويخرج من باب
فيه وانه اخرى عنه قال وعلة التخفيف في البول والغائط
انه اكثر وادوم من الجنابة فرض فيه بالوضوء لكثرته ومشقته
ومجيئه بغير ارادة منه ولا شهوة والجنابة لا يكون الا بالتلذذ
منهم والاكراه لانفسهم فصل قال بعض اصحابنا ما ملخصه ان الدنيا
والاخرة ضرتان كلما قربت من احدهما بعدت عن الاخرى
فلذلك امر العبد بتطهير الاعضاء الظاهرة الدنيوية عند الاشتغال
بعبادة الله تعالى والاقبال عليه فامر في الوضوء بغسل الوجه الذي
فيه اكثر الحواس الظاهرة التي هي اعظم الاسباب الباعثة على مطالب
الدنيا ليتوجه القلب على الله وهو خال من تلك الادناس ثم
امر بغسل اليد لمباشرتهما اكثر الامور الدنيوية والمشتهيات
الطبيعية المانعة من الاقبال على الاخرة ثم بمسح الرجلين لانه
بهما يتوصل الى مطالبه ويتوسل الى تحصيل مادبره فطهرهما جميعا
ليسوغ له التوجه بها في العبادة والاقبال عليها وامر في الغسل
بغسل جميع البشرة لان ادنى حالات الانسان واشدها تعلقا

بالملكات

بالملكات الشهوية حالة الوقاع وموجبات الغسل لجميع بدنه
مدخل في تلك الحالة ولهذا قال رسول الله تحت كل شعرة
جنابة بحيث كان جميع بدنه بعيدا عن المرتبة العلية منغمسا في اللذات
الدنيوية كان غسله اجمع من اهم المطالب الشرعية ليتاهل للمقابلة
الحضرة الشريفة والدخول في العبادة المنيفة وامر في التيمم بمسح
الاعضاء بالتراب عند تعذر غسلها بالماء وضعا لتلك الاعضاء
الرئيسة وهضما لها بتلطخها باثر التربة الخسيسة قال ولما كان
للقلب من ذلك الحظ الاوفر والنصيب الاكمل كان الاشتغال
بتطهيره من الرذائل والتوجهات المانعة من درك الفضائل اولى
من تطهير الاعضاء الظاهرة عند اللبيب العاقل واذا لم يمكن بتطهيره
من الاخلاق الرذيلة وتحليته بالاوصاف الجميلة فليقم مقام الهضم
والازراء ويتمرغ لبنا الذل والافتقار وعسى ان يطلع عليه مولاه
الرحيم وسيده الكريم وهو منكسر متواضع فيهب نفحة من نفحات
نوره اللامع فانه عند المنكسرة قلوبهم كما ورد في الاثر فترق
هذه الاشارات الى ما يوجب ذلك الاقبال ويلاقي ما فات من الاهمال

فصل قال امير المؤمنين ع نعم البيت الحمام يذكر فيه النار ويذهب با
الدرن وقيل اشار ع الى انه ينبغي للعاقل ان لا يغفل عن ذكر الآخرة
في لحظاته فانها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من امور
الدنيا وادعيتها عبرة وموعظة فان نظر الى الظلمة تذكر ظلمة اللحد
وان نظر الى الحية تذكر افاعي جهنم وان سمع صوتا هائلا تذكر
نفخة الصور وان رأى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة
رد او قبول تذكر ما ينكشف له في آخر امره بعد الحساب من الرد والقبول
الى غير ذلك والحمام اشبه شيء بجهنم النار من تحت والظلام من فوق
فينبغي ان يتذكر النار بحرارته ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار
ساعة ويقيس الى جهنم وليستعيذ بالله منها قال الصادق ع عليه السلام اذا
دخلت البيت الثالث فقل نعوذ بالله من النار ونسئله الجنة مرددها
الى وقت خروجك من البيت **الباب الثالث** في الصلاة والذكر قال
الله تعالى والذين هم في صلاتهم خاشعون وقال فويل للمصلين الذين هم
عن صلاتهم ساهون ذمهم على الغفلة عنها مع كونهم مصلين لا
سهوا عنها وتركها وقال سبحانه اقم الصلاة لذكري وقال كلا تكن من

الغافلين وقال لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
فيه تنبيه على سكر الدنيا اذ يبقى فيه العلة وقال النبي ص من صلى
ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من
ذنبه وقال انما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتباس وتندم
وتقنع عند يديك وتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج
قال اذا صليت صلاة فريضة فصل لوقتها صلاة مودع يخاف
ان لا تعود فيها وقال ص لا ينظر الله الى صلاة لا يحضر الرجل فيها
قلبه مع بدنه وعن الصادق ع من قبل الله منه صلاة واحدة لم
يعذبه ومن قبل منه حسنة لم يعذبه وروي ان ابراهيم الخليل ع
كان يسمع تأوهه على حد ميل وكان في صلوته يسمع له ازيز كازيز
المرجل وكذلك كان يسمع من صدر سيدنا رسول الله صلى الله عليه
واله مثل ذلك وقال بعض ازواجه كان النبي ص يحدثنا ونحدثه
فاذا حضرت الصلاة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه وكان امير المؤمنين ع
اذا اخذ في الوضوء يتغير وجهه من خيفة الله وكان ع اذا حضر
وقت الصلاة يتزلزل ويتلون فقيل له ما لك يا امير المؤمنين فيقول

جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والارض فابين
ان يحملنها واشفقن منها وكانت فاطمة عليها السلام تنهج في الصلوة
من خيفة الله وكان الحسن ع اذا فرغ من وضوئه تغير لونه فقيل له
في ذلك فقال حق على من اراد ان يدخل على ذي العرش ان تتغير
لونه وروي مثل هذا عن السجاد ع وعنه ع انه كان اذا توضا
اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء
فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم قيل ورايته ع يصلي
فسقط رداؤه عن منكبه فلم يسوه حتى فرغ من صلوته فسالته عن ذلك
فقال ويحك اتدري بين يدي من كنت ان العبد لا يقبل منه
صلوة الا ما اقبل فيها فقلت جعلت فداك هلكنا فقال كلا
ان الله يتم ذلك بالنوافل وعن الصادق ع قال كان علي بن الحسين عليه السلام
اذا قام الى الصلوة تغير لونه فاذا سجد لم يرفع راسه حتى يرفض عرقا
وعنه ع قال كان ابي يقول كان علي بن الحسين ع اذا قام الى الصلوة
كانه ساق شجرة لا يتحرك منه الا ما حركت الريح منه وعنه ع انه سئل
عن حالة الخشية في الصلوة فخر مغشيا فلما افاق قيل له في ذلك

فقال ما زلت اردد هذه الاية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم
بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته قيل وكان لسان الامام ع
في تلك الحال كشجرة طور حين قالت اني انا الله وعنه ع قال
لا يجتمع الرغبة والرهبة في قلب الا وجبت له الجنة فاذا صليت فاقبل
بوجهك على الله عز وجل فانه ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على
الله في صلوته ودعائه الا اقبل الله عليه بقلوب المؤمنين وايده
مع مودتهم اياه بالجنة وعن الباقر ع قال ان العبد ليرفع له من صلوته
نصفها وثلثها وربعها وخمسها فما يرفع له الا ما اقبل عليها بقلبه
وانما امروا بالنوافل ليتم لهم ما نقصوا من الفريضة انتهى
المستفاد من هذه الايات والاخبار ان صلوة من يغفل عما
يقول فيها ويفعل ليست مقبولة الا بقدر ما اقبل عليه منها
والفقهاء لم يشترطوا الا حضور القلب عند التكبير والتوجه
والتوقف دانية فان المصلي في صلوته ودعائه مناج ربه كما هو مسلم
وقد ورد في الخبر ايضا ولا شك ان الكلام مع الغفلة ليس مناجاة
فالكلام اعراب عما في الضمير ولا يتصح الاعراب عما في الضمير الا بحضور القلب

فأي سؤال في قوله اهدنا الصراط المستقيم إذا كان القلب غافلا
ولا شك أن المقصود من القراءة والأذكار الحمد والثناء والتضرع
والدعاء والمخاطب هو الله تعالى وقلب العبد بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا
يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم
العادة فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شرعت لتصقيل
القلب وتجديد ذكر الله ورسوخ عقد الإيمان بها هذا حكم القراءة
والذكر وأما الركوع والسجود فالمقصود التعظيم بهما قطعا و
التعظيم بهما قطعا والتعظيم كيف يجتمع مع الغفلة وإذا خرج عن
كونه تعظيما لم يبق إلا مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيه من المشقة
ما يقصد الامتحان به ثم يجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر و
الإسلام ويقدم على سائر العبادات ويجب القتل بسبب تركه
على الخصوص فاعلم أن بين القبول والإجزاء فرقا فإن المقبول من العبادة
ما يترتب عليه الثواب في الآخرة ويقرب إلى الله تعالى والإجزاء ما
يسقط التكليف عن العبد وإن لم يثب عليه والناس مختلفون
في تحمل التكليف فالتكليف إنما هو بقدر وسع الخلق وفي لياقتهم

في سعتهم

في سعتهم وقصورهم فلا يمكن أن يشترط عليهم جميعا إحضار القلب
في جميع الصلاة فإن ذلك يعجز عنه كل البشر إلا الأقلين وإذا لم
يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له إلا أن يشترط منه
ما ينطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة وأولى اللحظات به
لحظة التكبير والتوجه فاقتصرنا على التكليف بذلك ونحن مع ذلك
نرجو أن لا يكون حال الغافل في جميع صلاته مثل حال التارك
بالكلية فإنه على الجملة أقدم على الفعل ظاهرا وأحضر القلب لحظة
كيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا صلاته باطلة عند الله
ولكن له أجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره وقد ذكرنا
في باب العقائد في الفرق بين العلم الباطن والظاهر أن قصور الخلق
أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع
وحاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصلاة وأن أقل
ما يبقى به الروح الحضور عند التكبير فالنقصان منه هلاك وبقدر
الزيادة عليه ينبسط الروح في أجزاء الصلاة وكم من حي لا حراك به
قريب من ميت فصلاة الغافل في جميعها إلا عند التكبير حي لا حراك به

اعلم ان المعاني الباطنة التي بها تتم حياة الصلوة يجمعها ست جمل
وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء
فالاول حضور القلب ونعني به ان يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس
له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا
يكون الفكر جائلا في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو
فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عنه فقد حصل حضور
القلب ثم التفهم لمعنى الكلام وهو امر وراء حضور القلب فربما
يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ
فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي اردناه بالتفهم و
هذا مقام يتفاوت فيه الناس اذ ليس يشترك الناس في تفهم
المعاني للقرآن والتسبيحات وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي
في اثناء الصلوة ولم يكن قد خطر بقلبه قبل ذلك ومن هذا
الوجه كانت الصلوة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم امورا
تلك الامور تمنع من الفحشاء والمنكر لا محالة ثم التعظيم وهو امر
وراء حضور القلب والتفهم اذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو

حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له ثم الهيبة وهي
زائدة على التعظيم اذ هي عبارة عن خوف منشأه التعظيم لان من
لا يخاف لا يسمى هائبا ثم كل خوف لا يسمى مهابة بل الهيبة خوف
مصدره الاجلال ثم الرجاء فالعبد ينبغي ان يكون راجيا بصلوته
ثواب الله كما انه خائف بتقصيره عقاب الله ثم الحياء ومستنده استشعار
تقصير وتوهم ذنب ولنذكر اسباب هذه المعاني الستة فاعلم ان حضور
القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمتك فلا يحضر الا فيما يهمك ومهما
اهمك امر حضر القلب شاء ام ابى فهو مجبول عليه ومسخر فيه و
القلب اذا لم يحضر في الصلوة لم يكن متعطلا بل كان حاضرا فيما
الهمة مصروفة اليه من امور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب
الا بصرف الهمة الى الصلوة والهمة لا تنصرف اليها ما لم يتبين ان
الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بان الاخرة
خير وابقى وان الصلوة وسيلة اليه فاذا اضيف هذا الى حقيقة العلم
بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعهما حضور القلب في الصلوة
اما التفهم فسببه بعد حضور القلب ادمان الفكر وصرف الذهن الى ادراك

المعنى وعلاجه ما هو علاج احضار القلب مع الاقبال على الفكر
والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع
موادها اعني النزوع عن تلك الاسباب التي تنجذب الخواطر اليها وما
لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن احب شيئا اكثر
ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة ولذلك ترى من احب غير الله
لا تصفو له صلوة عن الخواطر واما التعظيم فهي حالة للقلب تتولد من
معرفتين احديهما معرفة جلال الله وعظمته وهي من اصول الايمان
فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه الثانية معرفة
حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين
الاستكانة والخشوع لله فيعبر عنه بالتعظيم وما لم تمتزج معرفة
حقارة النفس بمعرفة حالة التعظيم والخشوع فان المستغني عن غيره
الامن على نفسه يجوز ان يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون
الخشوع والتعظيم حاله لان القرينة الاخرى وهي معرفة حقارة النفس
وحاجتها لم تقترن اليه واما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد
من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة

به وانه لو اهلك الاولين والاخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا
مع مطالعة ما يجري على الانبياء والاولياء من المصائب وانواع
البلاء مع القدرة على الدفع وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت
الخشية والهيبة واما الرجاء فسببه معرفة لطف الله وكرمه و
عميم انعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلوة
فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما
الرجاء لا محالة واما الحياء فباستشعاره التقصير في العبادة وعلمه
بالعجز عن القيام بتعظيم حق الله ويقوي ذلك بالمعرفة بعيوب النفس و
آفاتها وقلة اخلاصها وخبث دخلتها وميلها الى الحظ العاجل
في جميع افعالها مع العلم بجميع ما يقتضيه جلال الله والعلم بانه مطلع على
السريرة وخطرات القلب وان دقت وخفيت وهذه المعارف
اذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء
فصل اعلم ان المؤمن لا بد ان يكون معظما لله وخائفا منه وراجيا
ومستحييا من تقصيره فلا ينفك من هذه الاحوال بعد ايمانه وان
كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها في الصلوة لا سبب

لها الا تفرق الفكر وتقسم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة
والغفلة عن الصلوة ولا تلهي عن الصلوة الا الخواطر الواردة
الشاغلة فالدواء في احضار القلب هو دفع الخواطر ولا يدفع
الشي الا بدفع سببه وسبب تواردا الخواطر اما ان يكون امراً
خارجاً او امراً في ذاته باطناً اما الخارج فما يقرع السمع او يظهر
للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه
الفكر الى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سبباً للافتكار ثم يصير
بعض تلك الافكار سبباً للبعض ومن قويت نيته وعلت همته
لم يلهه ما جرى على حواسه ولكن الضعيف لا بد ان يتفرق به
فكره فعلاجه قطع هذه الاسباب بان يغض بصره ويحترز من الصلوة
على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصبوغة ولذلك كان
المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته بقدر السجود ليكون
اجمع للهم والاقوياء كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا
يجاوزونه موضع السجود ويرون كمال الصلوة في
ان لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم واما الاسباب الباطنة فهي اشد

فان من تشعبت الهموم به في اودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد
بل لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر لا يغنيه فان ما وقع في
القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه ان يرد النفس قهراً الى فهم
ما يقراه في الصلوة ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك ان يستعد له قبل التحريم
بان يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين
يدي الله تعالى وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلوة عما يهمه فلا
يترك لنفسه شغلاً يلتفت اليه خاطره فهذا طريق تسكين الافكار
فان كان لا يسكن افكاره بهذا الدواء فلا ينجيه الا المسهل الذي
يقمع مادة الداء من اعماق العروق وهو ان ينظر في الامور الشاغلة
الصارفة له عن احضار القلب ولا شك انها تعود الى مهماته وانها
انما صارت مهمة لشهواته فليعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات
وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلوته فهو ضد دينه وجند
ابليس عدوه فامساكه اضر عليه من اخراجه فليتخلص عنه باخراجه
ولا يغني عنه ذلك فان ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد الى
فهم الذكر انما ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل الا حواشي

القلب فاما الشهوة القوية المرهقة فلا تنقمع مع التسكين
بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وينقضي جميع صلوتك
في شغل المجاذبة ومثاله مثال رجل تحت شجرة اراد ان يصفو له
فكره وكانت اصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة
هي في يده ويعود الى فكره فيعود الى التنفير بالخشبة فقيل له ان هذا
سير السواني ولا ينقطع فان اردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك
شجرة الشهوة اذا استعلت وتفرعت اغصانها انجذبت اليها
الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب الذباب الى
الاقذار والشغل يطول في دفعها فان الذباب كلما ذب آب
ولاجله سمي ذبابا فكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو
العبد عنها ويجمعها اصل واحد وهو حب الدنيا وذلك راس
كل خطيئة واساس نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه
على حب الدنيا حتى مال الى شيء منها لا ليتزود منها ولا ليستعين بها
على الاخرة فلا يطمعن في ان يصفو له لذة المناجاة في الصلوة فان
من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وعبا خاتره وهمة الرجل مع قرة

عينه فان كانت قرة عينه في الدنيا انصرف لا محالة اليها همه
ولكن مع هذا فلا ينبغي ان يترك المجاهدة ورد القلب الى الصلوة
وتقليل الاسباب الشاغلة فهذا هو الدواء ولمرارته استبشعه الطباع
وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى ان الاكابر اجتهدوا
ان يصلوا ركعتين لا يحدثون انفسهم فيها بامور الدنيا فعجزوا عنه
فاذن لا مطمع فيه لامثالنا وليته سلم لنا من الصلوة شطرها
او ثلثها عن الوسواس لنكون ممن خلطوا عملا صالحا واخر سيئا
وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الاخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في
قدح مملو بخل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج الخل لا محالة
ولا يجتمعان فصل اذا سمعت نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول النداء
يوم القيمة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان
المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض
الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوا بالفرح
والاستبشار مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم انه ياتيك النداء
بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال النبي ارحنا يا بلال

اي ارجنا بها وبالصلوة اليها اذ كانت قرة عينه فيها ثم اختم

بفصول الاذان وكلماته كيف افتتحت بالله واختتمت بالله و

اعتبر بذلك ان الله جل جلاله هو الاول والآخر والظاهر والباطن

ووطن قلبك بتعظيمه عند سماع التكبير واستحقر الدنيا وما فيها

لئلا تكون كاذبا في تكبيرك وانف عن خاطرك كل معبود سواه

بسماع التهليل واحضر النبي صلى الله عليه وآله وتأدب بين يديه واشهد له

بالرسالة مخلصا وصل عليه وآله وحرك نفسك واسع بقلبك

وقالبك عند الدعاء الى الصلوة وما يوجب الفلاح وهو خير

الاعمال وجدد عهدك بعد ذلك بتكبير الله وتعظيمه واختم ذلك

كما افتتحت به واجعل مبدأك منه وعودك اليه وقوامك به واعتمادك

على حوله وقوته فانه لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **فصل**

اذا اتيت بالطهارة في مكانك وهو ظرفك الابعد ثم في ثيابك

وهو ظرفك الاقرب ثم في بشرتك وهي قشرك الادنى فلا تغفل

عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة

والندم على ما فرط وتصميم العزم على الترك في المستقبل فطهرها

باطنك

باطنك فانه موضع نظر معبودك قال الصادق عليه السلام وطهر قلبك

بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء وقد مضى تمام

الخبر في باب الطهارة ثم اذا سترت عورة بدنك عن اعين

الخلق باللباس فاخطر ببالك فضائح سرك التي لا يطلع عليها

الا ربك وطالب نفسك بسترها وتحقق انه لا يسترها عن عين الله

ساتر وانما يكفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد باحضارها

في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنها فتذل

به نفسك وتستكين تحت الخجلة وتقوم بين يدي الله تعالى قيام العبد المجرم

المسيء الآبق الذي ندم فرجع الى مولاه ناكسا رأسه من الحياء

والخوف وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام ازين اللباس

للمؤمنين لباس التقوى وانعمه الايمان قال الله عز وجل ولباس التقوى

ذلك خير واما اللباس الظاهر فنعمة من الله يستر بها عورات

بني آدم وهي كرامة اكرم الله بها عباده ذرية آدم ما لم يكرم بها

غيرهم وهي للمؤمنين آلة لاداء ما افترض الله عليهم وخير لباسك ما لا

يشغلك عن الله بل يقربك من شكره وذكره وطاعته ولا يحملك الى

العجب والرياء والتزين والمفاخرة والخيلاء فانها من آفات الدين
وهو ثمرة الشوم في القلب واذا ابتليت بذنبك فاذكر ستر الله عليك
ذنوبك برحمته والبس باطنك بالصدق كما البست ظاهرك
بثوبك وليكن باطنك في ستر الرهبة وظاهرك في ستر الطاعة
واعتبر بفضل الله عز وجل حيث خلق اسباب اللباس لتستر العورات
الظاهرة وفتح ابواب التوبة والانابة ليستر بها عورات الباطن من
الذنوب واخلاق السوء ولا تفضح احدا حيث ستر الله عليك اعظم منه
واشتغل بعيب نفسك واصفح عما لا يعنيك حاله وامره واحذر
ان تفني عمرك بعمل غيرك ويتجر برأس مالك غيرك وتهلك نفسك فان
نسيان الذنوب من اعظم عقوبة الله تعالى في العاجل واوفر اسباب
العقوبة في الآجل وما دام العبد مشتغلا بطاعة الله ومعرفة عيوب
نفسه وترك ما يشين في دين الله فهو بمعزل من الآفات خائض
في بحر رحمة الله يفوز بجواهر الفوائد من الحكمة والبيان وما دام ناسيا
لذنوبه جاهلا بعيوبه راجعا الى حوله وقوته لا يفلح اذا ابدا **فصل**

في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام اذا بلغت باب المسجد فاعلم

انك قصدت ملكا عظيما لا يطأ بساطه الا المطهرون ولا
يؤذن لمجالسته الا الصديقون وهب القدوم الى بساط خدمته
هيبة الملك فانك على خطر عظيم ان غفلت واعلم انه قادر على ما يشاء
من العدل والفضل معك وبك فان عطف عليك بفضله ورحمته
قبل منك يسير الطاعة واجزل لك عليها ثوابا كثيرا وان طالبك
باستحقاق الصدق والاخلاص عدلا بك حجبك ورد طاعتك
وان كثرت وهو فعال لما يريد واعترف بعجزك وتقصيرك و
فقرك بين يديه فانك قد توجهت للعبادة له والمؤانسة به واعرض
اسرارك عليه ولتعلم انه لا يخفى عليه اسرار الخلائق اجمعين وعلانيتهم
وكن كافقر عباده اليه بين يديه واخل قلبك من كل شاغل يحجبك
عن ربك فانه لا يقبل الا الاطهر والاخلص فانظر من اي ديوان
يخرج اسمك فان ذقت من حلاوة مناجاته ولذيذ مخاطباته
وشربت بكاس رحمته وكراماته من حسن اقباله عليك واجابته
فقد صلحت لخدمته فادخل فلك الاذن والامان والا فقف وقوف
مضطر قد انقطع عنه الحيل وقصر عنه الامل وقضى الاجل فاذا علم

الله من قلبك صدقا لا التجاء اليه نظر اليك بعين الرأفة

والرحمة والعطف ووفقك لما يحب ويرضى فانه كريم يحب الكرام

لعباده المضطرين اليه المحترقين على بابه لطلب مرضاته قال

تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء **فصل** واما الاستقبال

فهو صرف الظاهر وجهك عن ساير الجهات الى جهة بيت الله

اترى ان صرف القلب عن ساير الامور الى امر الله ليس مطلوبا

منك هيهات فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر تحريكات

للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات في جهة واحدة

حتى لا تبغي على القلب فانها اذا بغت وظلمت في حركاتها الى جهاتها

استتبعت القلب فانقلب عن وجه الله فليكن وجه قلبك مع

وجه بدنك فاعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا

بالصرف عن غيرها فلا ينصرف القلب الى الله تعالى الا بالتفرغ عما سواه

الله تعالى وقد قال النبي ص اذا قام العبد الى صلوته وكان هواه وقلبه الى

الله انصرف كيوم ولدته امه وقال ع اما يخاف الذي يحول وجهه

في الصلوة ان يحول الله وجهه وجه حمار وهذا نهي عن الالتفات

عن الله وملاحظة عظمته في حال الصلوة فان الملتفت يمينا

وشمالا ملتفت عن الله وغافل عن مطالعة انوار كبريائه ومن

كان كذلك فيوشك ان يدوم تلك الغفلة عليه فيتحول وجه قلبه

كوجه قلب الحمار في قلة عقله للامور العلوية وعدم تعمله للعلوم

الظاهرة وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع اذا استقبلت القبلة

فايس من الدنيا وما فيها والخلق وما هم فيه واستفرغ قلبك من كل

شاغل يشغلك عن الله تعالى وعاين بسرك عظمة الله واذكر وقوفك

بين يديه يوم تبلوا كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم

الحق وقف على قدم الخوف والرجا **فصل** واما القيام فهو مثول بالبدن

الشخص والقلب بين يدي الله فليكن راسك الذي هو ارفع اعضائك

مطرقا مطاطا مستكنا وليكن وضع الراس من ارتفاعه منبها على

الزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترأس والتكبر

وليكن على ذكرك هنا خطر القيام بين يدي الله في هول المطلع عند

التعرض للسؤال واعلم في الحال انك قائم بين يدي الله وهو مطلع

عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان ان كنت

تعجز عن معرفته كنه جلاله الذي قد ربّى في دوام قيامك في ملكوته
انك ملحوظ مرقوب بعين كالئة من رجل صالح من اهلك او
ممن ترغب ان يعرفك بالصلاح فانه هذا عند ذلك اطرافك
وتخشع جوارحك ولكن جميع اجزائك خيفة ان ينسبك ذلك
العاجز المسكين الى قلة الخشوع واذا احسست نفسك التماسك عند
ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها انك تدعين معرفة
الله وحبه افلا تستحيين من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا
من عباده او تخشين الناس ولا تخشينه وهو احق ان تخشيه سئل النبي
كيف الحياء من الله فقال تستحيي منه كما تستحيي من الرجل الصالح
من اهلك **فصل** اذا توجهت بالتكبيرات فاستحضر عظمته سبحانه
وصغر نفسك وحقارة عبادتك في جنب عظمته وانحطاطها عن
عن القيام بوظائف خدمته واستتمام حقائق عبادته وتفكر عند
قولك اللهم انت الملك الحق في عظيم ملكه وعموم قدرته واستيلائه
على جميع العوالم ثم ارجع الى نفسك بالذل والانكسار والاعتراف
بالذنوب والاستغفار عند قولك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي

انه لا يغفر الذنوب الا انت واحضر بعونه لك بالقيام بهذه الخدمة
ومثل نفسك بين يديه وانه قريب منك يجيب دعوة الداعي اذا
دعاه ويسمع نداءك وان بيده خير الدنيا والآخرة لا بيد غيره عند
قولك لبيك وسعديك والخير في يديك وتنزهه من الظلم و
الشر وابذل لها محض الهداية والارشاد عند قولك والشر ليس
اليك والمهتدي من هديت واعترف له بالعبودية وان قوام وجودك
وبدوه ومعاده منه بقولك عبدك وابن عبديك منك وبك
ولك واليك اي منك وجوده وبك قوامه ولك ملكه واليك معاده
وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده فاحضر في ذهنك هذه المعاني
وتوجه بها الى ما يفتح عليك من الاسرار وكلما تأتي وتلقى الفيض من العالم
الاعلى **فصل** واما النية فاعزم على اجابة الله تعالى في امتثال امره بالصلاة
واتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها واخلاص جميع ذلك
لوجه الله رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه متقلدا
للمنة باذنه اياك في المناجاة مع سوء ادبك وكثرة عصيانك وعظم
في نفسك قدرها جاهه وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي.

وعند هذا ينبغي ان يعرق جبينك من الخجالة وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف واما التكبير فمعناه ان الله سبحانه اكبر من كل شيء او اكبر من ان يوصف وان يدرك بالحواس او يقاس بالناس فاذا نطق به لسانك فينبغي ان لا يكذبه قلبك فان كان في قلبك شيء هو اكبر من الله تعالى فالله يشهد انك كاذب وان كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين في قولهم ان النبي رسول الله فان كان هواك اغلب عليك من امر الله وانت اطوع له منك لله فقد اتخذته الهك وكبرته فيوشك ان يكون قولك الله اكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله وعفوه وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع اذا كبرت فاستصغر ما بين السموات العلى والثرى دون كبريائه فان الله تعالى اذا اطلع على قلب العبد وهو يكبر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره قال يا كاذب اتخدعني وعزتي وجلالي لاحرمنك حلاوة ذكري ولاحجبنك عن قربي والمسارة بمناجاتي فاعتبر انت قلبك حين صلواتك فان كنت

تجد حلاوتها وفي نفسك سرورها وبهجتها وقلبك مسرورا بمناجاته فاعلم انه قد صدقك في تكبيرك والا فقد عرفت من سلب لذة المناجاة وحرمان حلاوة العبادة انه دليل على تكذيب الله لك وطردك عن بابه فصل واما دعاء الاستفتاح فاول كلماته قولك وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما انا من المشركين وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه مقدس عن ان تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وانما وجه القلب هو الذي يتوجه به الى فاطر السموات والارض فانظر اليه امتوجه هو الى امانيه وهمه في البيت والسوق متبع الشهوات ام مقبل على فاطر السموات والارض واياك ان يكون اول مفاتحة المناجاة بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه الى الله الا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه اليه وان عجزت عنه على الدوام ليكون قولك في الحال صدقا واذا قلت حنيفا مسلما فينبغي ان يخطر ببالك ان المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد ان تعزم عليه في الاستقبال

وتندم على ما سبق من الاحوال واذا قلت وما انا من المشركين
فاخطر ببالك الشرك الخفي فان قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزل فيمن يقصد بعبادته
وجه الله وحمد الناس وكن متنفيا من هذا الشرك واستشعر
الخجلة في قلبك ان وصفت نفسك بانك لست من المشركين من
غير براءة من هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير
منه واذا قلت محياي ومماتي لله فاعلم ان هذا حال العبد المفقود
لنفسه الموجود لسيده وانه ان صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه
وقعوده ورغبته في الحيوة ورهبته من الموت لامور الدنيا
لم يكن ملائما للحال **فصل** واذا قلت اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم فاعلم انه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله حسدا
لك على مناجاتك مع الله وسجودك له مع انه لعن بسبب سجدة
واحدة تركها ولم يوفق لها وان استعاذتك بالله منه بترك
ما يحبه وتبدله بما يحب الله لا بمجرد قولك فان من قصده سبع
او عدو ليفترسه او يقتله فقال اعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو

ثابت على مكانه ان ذلك لا ينفعه بل لا يغنيه الا التبدل
المكان فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان
ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم
على التعوذ بحصن الله عز وجل من شر الشيطان وحصنه لا اله
الا الله اذ قال الله تعالى لا اله الا الله حصني والمتحصن به من لا معبود له سوى الله
واما من اتخذ الهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله
واعلم ان من مكايده ان يشغلك في الصلوة بذكر الاخرة وتدبير
فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرا فاعلم ان كل ما يشغلك عن معاني
القران فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود المعاني
واما القراءة فالناس فيها ثلثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل
رجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع ويفهم منه كانه يسمعه
من غيره وهو درجة اصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه الى المعاني اولا
ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه ففرق بين ان يكون اللسان ترجمان
القلب او يكون معلم القلب والمقربون السنتهم ترجمان تتبع القلب
فصل واذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء

القراءة لكلام الله واعلم ان معناه ان الامور كلها بالله فان

المراد بالاسم ههنا هو المسمى واذا كانت الامور بالله فلا جرم

كان الحمد لله ومعناه ان الشكر لله اذ النعم من الله ومن يرى من

غير الله نعمة او يقصد غير الله بشكره لا من حيث انه مسخر من الله

ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته الى غير الله فاذا قلت

الرحمن الرحيم فاحضر في قلبك انواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث

به رجاؤك ثم استشعر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك

يوم الدين اما العظمة فلانه لا ملك الا له واما الخوف فلهول يوم

الجزاء والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك اياك

نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك

اياك نستعين وحقق انه ما تيسرت طاعتك الا باعانته وان

له المنة اذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك اهلا

لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين

ثم اذا فرغت من التعوذ ومن التسمية والتحميد ومن اظهار

الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين سؤالك ولا تطلب الا اهم حاجاتك

وقل

وقل اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا الى جوارك

ويفضي بنا الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتاكيدا واستشهادا

بالذين انعم عليهم بنعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء و

والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من

اليهود والنصارى والصابئين فاذا تلوت الفاتحة كذلك

فيشبه ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم فيما اخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم قسمت الصلوة

بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي يقول العبد الحمد لله

رب العالمين فيقول الله حمدني عبدي واثنى علي وهو معنى قوله سمع

الله لمن حمده الحديث الى اخره فان لم يكن لك من صلوتك حظ

سوى ذكر الله في جلاله وعظمته فناهيك به غنيمة فكيف ما

ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي ان تفهم ما تقرأ من السورة

كما ياتي في باب تلاوة القران فلا تغفل عن امره ونهيه ووعده

ووعيده ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه فلكل

واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر

والنهي والاتعاظ حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار

حق اخبار الانبياء ويكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم
ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا
تنحصر والصلوة مفتاح القلوب فيها ينكشف اسرار الكلمات
هذا حق القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات ايضا ثم يراعي الهيئة
في القراءة فيرتل ولا يسرد ولا يعجل فان ذلك ايسر للتامل ويفرق
بين نغماته في آيات الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتمجيد و
التعظيم كان بعضهم اذا مر بمثل قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما
كان معه من اله يغض صوته كالمستحيي عن ان يذكره بكل شيء و
يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق فكلما قرأ آية صعد درجة **فصل**
واما دوام القيام فهو تنبيه على اقامة القلب مع الله على نعت واحد
من الحضور قال النبي صلعم ان الله مقبل على المصلي ما لم يلتفت وكما
يجب حراسة الراس والعين عن الالتفات الى الجهات فكذلك يجب
حراسة السر على الالتفات الى غير الصلوة فان التفت الى غيره فذكره
باطلاع الله عليك وقبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي
ليعود اليه والزم الخشوع القلب فان الخلاص عن الالتفات ظاهرا

وباطنا

وباطنا ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلعم
وقد رأى مصليا يعبث بلحيته اما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه
فان الرعية بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء اللهم اصلح الراعي
والرعية وهو القلب والجوارح وكل ذلك بمقتضى الطبع بين يدي
من يعظم من ابناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك
عند من يعرف ملك الملوك ومن يطمئن بين يدي غير الله خاشعا
ويضطرب اطرافه بين يدي الله فذلك لقصور معرفته عن جلال الله
وعن اطلاعه على سره وضميره وتدبر قوله تعالى الذي يراك حين تقوم
وتقلبك في الساجدين **فصل** واما الركوع فينبغي ان تجدد عنده
ذكر كبرياء الله وترفع يديك مستجيرا بعفو الله من عقابه ومتبعا
سنة نبيه ثم تستأنف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد في ترقيق
قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك و
اتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك
فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وانه اعظم من كل عظيم وتكرر
ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار ثم ترتفع عن ركوعك راجيا انه

راجم ذلك وتؤكد الرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده
اي اجاب الله لمن شكره ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد
فتقول الحمد لله رب العالمين ثم تزيد في الخشوع والتذلل فتقول
اهل الكبرياء والعظمة والجود والجبروت وعن امير المؤمنين ع
انه سئل عن معنى مد العنق في الركوع فقال تاويله امنت بك ولو
ضربت عنقي وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع لا يركع عبد
لله ركوعا على الحقيقة الا زينه الله بنور بهائه واظله في ظلال
كبريائه وكساه كسوة اصفيائه والركوع اول والسجود ثان فمن
اتى بمعنى الاول صلح للثاني وفي الركوع ادب وفي السجود قرب ومن
لا يحسن الادب لا يصلح للقرب فاركع ركوع خاضع لله بقلبه متذلل
وجل تحت سلطانه خافض له بجوارحه خفض خائف حزن على ما يفوته
من فوائد الراكعين وحكي ان ربيع بن خثيم كان يسهر الليل الى الفجر
في ركعة واحدة فاذا اصبح تزفر وقال اه سبق المخلصون وقطع بنا
واستوف ركوعك باستواء ظهرك وانحط عن همتك في القيام بخدمته
الا بعونه وفر بالقلب من وساوس الشيطان وخدايعه ومكايده

فان الله تعالى يرفع عباده بقدر تواضعهم له ويهديهم الى اصول
التواضع والخضوع والخشوع بقدر اطلاع عظمته على سرائرهم

فصل

ثم تهوي الى السجود وهو اعلى درجات الاستكانة فمكن اعز اعضائك
وهو الوجه من اذل الاشياء وهو التراب وان امكنك ان لا تجعل
بينهما حاجزا فاسجد على الارض فافعل فانه اجلب للخشوع وادل
على الذل واذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم انك وضعتها
موضعها ورددت الفرع الى الاصل فانك من التراب خلقت واليه
رددت فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربي
الاعلى وبحمده واكده بالتكرار فان المرة الواحدة ضعيفة الاثار فان
رق قلبك وظهر ذلك فليصدق رجاؤك في رحمة ربك فان
رحمته تتسارع الى الضعف والذل لا الى التكبر والبطر فارفع راسك
مكبرا وسائلا حاجتك ومستغفرا من ذنوبك ثم اكد التواضع
بالتكرار وعد الى السجود ثانيا كذلك وعن امير المؤمنين ع انه سئل
عن معنى السجدة الاولى فقال تاويلها اللهم انك منها خلقتنا يعني
الارض وتاويل رفع راسك ومنها اخرجتنا والسجدة الثانية واليها

تعبدنا وفرغ داسات ومنها نخرجنا تارة اخرى وفي مصباح الشريعة
قال الصادق ما خسر والله من اتى بحقيقته ولو كان في العمر مرة
واحدة وما افلح من خلا بربه في مثل ذلك الحال شبيها بمخادع نفسه
غافلا لاهيا عما اعد الله للساجدين من انس العاجل وراحة الآجل
ولا بعد عن الله ابدا من احسن تقربه في السجود ولا قرب اليه ابدا
من اساء ادبه وضيع حرمته بتعلق قلبه بسواه في حال السجود فاسجد
سجود متواضع لله ضعيف علم انه خلق من تراب يطاه الخلق وانه
ركب من نطفة يستقذرها كل احد وقد جعل الله معنى السجود
سبب التقرب اليه بالقلب والسر والروح فمن قرب منه بعد من غيره
الا ترى في الظاهر انه لا يستوي حال السجود الا بالتواري من جميع
الاشياء والاحتجاب عن كل ما تراه العيون كذلك امر الباطن
فمن كان قلبه متعلقا في صلوته بشيء دون الله فهو قريب من ذلك
الشيء بعيد عن حقيقة ما اراد الله منه في صلوته قال الله تعالى
ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه قال رسول الله ص قال الله تعالى
لا اطلع على قلب عبد فاعلم فيه حب الاخلاص لطاعتي ولوجهي وابتغاء

مرضاتي الا توليت تقويمه وسياسته ومن اشتغل في صلوته
بغيري فهو من المستهزئين بنفسه مكتوب اسمه في ديوان الخاسرين

فصل واذا جلست للتشهد بعد هذه الافعال الثقيلة والاعمال
العنيفة المشتملة على الاخطار الجسيمة فاستشعر الخوف التام والرهبة
والحياء والوجل ان يكون جميع ما سلف منك غير واقع على وجهه فاجعل
يديك صفرا من فوائدها الا ان يتداركك الله برحمته ويقبل عملك
الناقص بفضله وارجع الى اصل الامر واصل الدين واستمسك بحبله
التوحيد وحصن الله الذي من دخله كان امنا ان لم يكن حصل في يديك
غيره واشهد له بالوحدانية ولحضرة رسوله الكريم ونبيه العظيم صلى
الله عليه وآله بالرسالة تشهد له بالعبودية والرسالة ثم صل عليه وعلى
آله مجيدا تعهد الله باعادة كلمتي الشهادة متعرضا لمراتب الحال الناشئين في
العبادة فانها اول الوسائل واساس الفواصل مترقبا الاجابة ثم صل
عليه وآله فان صلوتك عشرا من صلوته اذا لقيت بحقيقة صلوتك
عليه التي لو وصل اليك منها واحدة افلحت ابدا وفي مصباح الشريعة
قال الصادق التشهد ثناء على الله فكن عبدا له في السر خاضعا

لا في الفعل كما انك له عبد في القول والدعوى وصل صدق
لسانك لصفاء سرك فانه خلقك عبداً وامرك ان تعبده بقلبك
ولسانك وجوارحك وان تحقق عبوديتك له بربوبيته لك وتعلم
ان نواصي الخلق بيده فليس لهم نفس ولا لحظة الا بقدرته ومشيته وهم
عاجزون عن اتيان اقل شيء في مملكته الا باذنه وارادته فاستعمل
العبودية في الرضا بحكمه وبالعبادة في اداء اوامره وختام ذلك
بالصلوة على نبيه محمد صلعم فاوصل صلوته بصلوته وطاعته بطاعته
وشهادته بشهادته وانظر ان لا يفوتك بركات معرفة حرمته فتحرم
عن فايدة صلوته فصل فاذا فرغت من التشهد فاحضر نفسك بحضرة
سيد المرسلين والملائكة المقربين وبقية انبياء الله والائمة عليهم السلم
والحفظة لك من الملائكة المحصين لاعمالك واحضرهم جميعاً في
بالك وقل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ولا تطلق لسانك
بصيغة الخطاب من غير حضور المخاطب في ذهنك فتكون من العابثين
واللاعبين وكيف تسمع الخطاب لمن لا تقصد لولا فضل الله تعالى
ورحمته الشاملة ورافته الكاملة في اجرائه بدل لك عن اصل الواجب

وان كان

وان كان بعيداً عن درجات القبول منحطاً عن اوج القرب
والوصول وان كنت اماماً للقوم فاقصدهم بالسلام مع من تقدم
من المقصودين وليقصدوا الرد عليك ايضاً ثم يقصدوا مفصلين
بسلام ثان فاذا فعلتم ذلك فقد اديتم وظيفة السلام واستحققتم
من الله مزيد الاكرام وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلم
معنى السلام في دبر كل صلوة الامان اي من ادى امر الله وسنة نبيه
خاضعاً خاشعاً قلبه فله الامان من بلاء الدنيا وبراءة من عذاب
الاخرة والسلام اسم من اسماء الله تعالى اودعه خلقه ليستعملوا معناه
في المعاملات والامانات والانصافات وتصديق مصاحبتهم فيما
بينهم وصحة معاشرتهم وان اردت ان تضع السلام موضعه وتؤدي
معناه فاتق الله وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك ان لا تدنسها
بظلمة المعاصي وليسلم حفظتك ان لا تبرمهم وتملهم وتوحشهم منك
بسوء معاملتك معهم ثم صديقك ثم عدوك فان لم يسلم منه من هو
الاقرب اليه فالابعد اولى ومن لا يضع السلام مواضعه هذه فلا سلام
ولا اسلام ولا تسليم وكان كاذباً في سلامه وان افشاه في الخلق

فصل اعلم ان تخليص الصلوة عن الآفات واخلاصها لوجه الله واداءها
بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب
لحصول انوار في القلب تكون تلك الانوار مفاتيح للعلوم الباطنة
قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون مدحهم
بعد الايمان بصلوة مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع ثم ختم اوصاف
المفلحين بالصلوة فقال في آخرها والذين هم على صلوتهم يحافظون
ثم قال في ثمرة تلك الصفات اولئك هم الوارثون الذين يرثون
الفردوس هم فيها خالدون فوصفهم بالفلاح اولا وبوراثة
الفردوس آخرا وقال النبي ص اذا قام العبد المؤمن في صلوته
نظر الله اليه او قال اقبل الله عليه حتى ينصرف وظللته الرحمة من فوق
راسه الى افق السماء والملئكة تحفه من حوله الى افق السماء
ووكل الله به ملكا قائما على راسه يقول ايها المصلي لو تعلم من ينظر
اليك ومن تناجي ما التفت ولا زلت من موضعك ابدا فصل
وتختص صلوة الجمعة باستحقاقنا ان يومها يوم عظيم وعيد شريف
خص الله به هذه الامة وجعله وقتا شريفا لعبادة لتقربهم فيه من

من جواره ويبعدهم من طرده وبذاله وحثهم فيه على الاقبال
بصالح الاعمال وتلافي ما فرط منهم في بقية الاسبوع من الاهمال
وجعل اهم ما يقع فيه من طاعة وما يوجب الزلفى لديه صلوة الجمعة
وعبر عنها في محكم كتابه الكريم بذكر الله وخصها من بين سائر الصلوات
التي هي افضل القربات بالذكر فقال سبحانه يا ايها الذين امنوا
اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع
ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وفي هذه الآية الشريفة من التنبيهات
والتأكيدات ما يتنبه له من له حظ من المعاني ومن اهم رموزها
التعبير عن الصلوة بذكر الله فانه ينبه على ان الغرض الاقصى من
الصلوة ذكر الله بالقلب واحضار عظمته بالبال فان هذا و
اشباهه هو السر في كون الصلوة ناهية عن الفحشاء والمنكر وهذا
انما يتم مع التوجه التام الى الله وملاحظة جلاله الذي هو الله اكبر و
الاكبر والكثير على ما ورد في بعض التفسير فضلا عن ان يكون ذكرا
مطلقا فلاجرم وجب الاهتمام بمزيد بزيادة على غيرها من الصلوة و
التهيؤ والاستعداد للقاء الله والوقوف بين يديه والتوسل في حضرته

والفوز بمخاطبته بعيد الاتيان بمقدمات الصلوة من قضاء تفث

اليوم من التنظيف والتطيب والتمم وحلق الراس وقص الشارب

والاظفار وغير ذلك من السنن بقلب مقبل صاف وعمل مخلص

ونية خالصة كما تتجمل في لقاء ملوك الدنيا ولا تقصد بهيئتك

الوطاء بحظك من الرفاهية فتحبط صفقتك ويظهر بعد ذلك لك

حسرتك وكلما امكنك تكثير المطالب التي يترتب عليها الثواب

بعملك فاقصدها يضاعف ثواب عملك بقصدها ان امكنك

ذلك **فصل** واما صلوة العيدين فاحضر في قلبك انها في يوم ثمرة

الجوائز وتفرقة الرحمة وانتشار المواهب على من قبل صومه و

قيامه وقام بوظائفها فاكثر من الخشوع في صلوتك والابتهال الى الله

تعالى فيها وقبلها وبعدها في قبول اعمالك والعفو عن تقصيرك

واستشعر الحياء والخجلة من خيبة الرد وخذلان الطرد فليس ذلك

اليوم بعيد من لبس الجديد وانما هو عيد من امن الوعيد وسلم

من المناقشة والتهديد واستحق بصالح اعماله المزيد فاستقبله بما

استقبلت به يوم الجمعة من الوظائف واسباب التهيؤ للاقبال

بالقلب

بالقلب على ربك والوقوف بين يديه عسى ان تصلح للمناجاة في

الحضور لديه ولا تجعل فرحك فيه بما لم تتخلق لاجله من متاع الدنيا

بل بكونه عوايد الله فيه على من عامله بمتاجر الاخرة **فصل** واما

الايات فاستحضر عندها اهوال الاخرة وزلازلها وتكوير الشمس و

القمر وظلمة القيامة ووجل الخلائق وخوفهم من الاخذ والنكال

والعقوبة والاستيصال فاكثر من الدعاء والابتهال الى ربك الخضوع

والخشوع والخوف والوجل في النجاة من تلك الشدائد ورد النور

بك سبيل الظلمة والمسامحة على الهفوة والزلة وتب الى الله من ذنوبك

واحسن التوبة عسى ان ينظر اليك وانت منكسر النفس مطرق

الراس مستحيي من التقصير فيقبل توبتك ويباح عفوك فانا

السجادة اما انه لا يفزع للايتين ولا يرهب الا من كان من شيعتنا

فاذا كان ذلك منهما فافزعوا الى الله تعالى وراجعوا البر وقال

الصادق انما جعلت للكسوف صلوة لانه من ايات الله تعالى لا يدرى

لرحمة ظهرت ام لعذاب فاحب النبي ان تفزع امته الى خالقها وراحمها

عند ذلك ليصرف عنهم شرها ويقيهم مكروهها كما صرف عن قوم

يونس حين تضرعوا الى الله عز وجل فصل ينبغي للمصلي ان يعقب
فرايضه بالذكر والدعاء ففضايلهما ولا سيما في عقيب الصلوات
فلا تحصى اما الذكر فالنافع منه هو الذكر على الدوام او في اكثر
الاوقات مع حضور القلب وهو غاية ثمرة العبادات وللذكر
اول واخر فاوله الانس والحب واخره يوجبه الانس والحب والمطلوب
منه ذلك الانس فان العبد في بداية الامر يكون متكلفا بصرف قلبه
ولسانه عن الوساوس الى ذكر الله فان وفق للمداومة انس به وانغرس
في قلبه حب المذكور ومن احب شيئا اكثر ذكره ومن اكثر ذكر شيء
وان كان متكلفا احبه ثم اذا حصل الانس بذكر الله انقطع عن غير الله
وما سوى الله يفارقه عند الموت فلا يبقى الا ذكر الله فان كان
قد انس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصادة عنه اذ ضرورات
الحاجات في الحياة تصده عن ذكر الله ولا يبقى بعد الموت عائق
فكانه خلى بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي
كان ممنوعا فيه عما به انسه وهذا الانس يتلذذ به العبد بعد موته
الى ان ينزل في جوار الله ويترقى من الذكر الى اللقاء واما الدعاء

فهو مخ العبادة كما ورد في الحديث النبوي وعن الباقر عليه السلام
في قوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم
داخرين قال هو الدعاء وافضل العبادة الدعاء وقال في قوله
تعالى ان ابراهيم لاواه حليم قال الاواه الدعاء وسئل عليه السلام
اي العبادة افضل فقال ما من شيء افضل عند الله من ان يسئل
ويطلب مما عنده وما من احد ابغض الى الله ممن يستكبر عن عبادته
ولا يسئل ما عنده وقال امير المؤمنين عليه السلام احب الاعمال الى الله عز وجل
في الارض الدعاء وكان عليه السلام رجلا دعاء وقال عليه السلام الدعاء مفاتيح
النجاح ومقاليد الفلاح وخير الدعاء ما صدر عن صدر نقي
وقلب تقي وفي المناجاة سبب النجاة وبالاخلاص يكون الخلاص
فاذا اشتد الفزع فالى الله المفزع وفي مصباح الشريعة قال الصادق
عليه السلام احفظ ادب الدعاء وانظر من تدعو وكيف تدعو ولماذا
تدعو وحقق عظمة الله وكبريائه وعاين بقلبك علمه بما في ضميرك
واطلاعه على سرك وما يكن فيه من الحق والباطل واعرف طرق
نجاتك وهلاكك كيلا تدعو الله بشيء فيه هلاكك وانت تظن ان

بنعمائك قال الله تعالى ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير
وكان الانسان عجولا وتفكر ماذا تسأل ولماذا تسأل الدعاء
استجابة الكل منك للحق وتذويب المهجة في مشاهدة الرب
وملك الاختيار جميعا وتسليم الامور كلها ظاهرها وباطنها
الى الله فان لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر الاجابة فانه يعلم السر
واخفى فلعلك تدعوه بشيء قد علم من نيتك بخلاف ذلك
واعلم انه لو لم يكن امرنا الله بالدعاء لكنا اذا اخلصنا الدعاء
تفضل علينا بالاجابة فكيف وقد ضمن ذلك لمن اتى بشرائط الدعاء
قال فاذا اتيت بما ذكرت لك من شرائط الدعاء واخلصت سرك
لوجهه فابشر باحدى ثلث اما ان يعجل لك ما سألت واما ان يدخر لك
ما هو اعظم منه واما ان يصرف عنك من البلاء ما ان لو ارسله عليك
لهلكت وروي عن الصادق ع انه قال امن يجيب المضطر اذا دعاه
فسئل ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا فقال لانكم تدعون من لا تعرفونه
وتسألون ما لا تفهمونه فالاضطرار عين الدين وكثرة الدعاء مع العمى
عن الله من علامة الخذلان من لم يعرف ذلة نفسه وقلبه وسره تحت قدرة

الله حكم على الله بالسؤال وظن ان سؤاله دعاء والحكم على الله
من الجرأة على الله **الباب الرابع** في تلاوة القرآن قال النبي ص القرآن هدى
من الضلالة وتبيان من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة
وضياء من الاحداث وعصمة من الهلكة ورشد من الغواية وبيان
من الفتن وبلاغ من الدنيا الى الآخرة وفيه كمال دينكم وما عدل احد
من القرآن الا الى النار وقال ص انا اول وافد على العزيز الجبار
يوم القيمة وكتابه واهل بيتي ثم امتي ثم اسألهم ما فعلتم بكتاب الله
واهل بيتي وقال امير المؤمنين ع في وصاياه لابنه محمد بن الحنفية و
عليك بتلاوة القرآن والعمل به ولزوم فرائضه وشرائعه وحلاله
وحرامه وامره ونهيه والتهجد به وتلاوته في ليلك ونهارك فانه
عهد من الله تبارك وتعالى الى خلقه فهو واجب على كل مسلم ان ينظر
كل يوم في عهده ولو خمسين اية واعلم ان درجات الجنة على عدد ايات القرآن
فاذا كان يوم القيمة يقال لقارئ القرآن اقرأ وارق فلا يكون في الجنة
بعد النبيين والصديقين ارفع درجة منه وعن الباقر ع يجيء القرآن
في احسن منظور اليه صورة فيمر بالمسلمين فيقولون هذا رجل منا

فيحادرهم الى النبيين فيقولون هو منا فيحادرهم الى الملائكة المقربين
فيقولون هو منا حتى ينتهي الى رب العزة جل وعز فيقول يا رب
فلان بن فلان اظمأت هواجره واسهرت ليله في دار الدنيا وفلان بن
فلان لم اظمأ هواجره ولم اسهر ليله فيقول الله تعالى ادخلهم الجنة على منازلهم
فيقوم فيتبعونه فيقول للمؤمن اقرأ وارق قال فيقرأ ويرقى حتى يبلغ
كل رجل منهم منزلته التي هي له فينزلها وعن النبي صلى الله عليه وآله ما يقرب منه مع
زيادات وعن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اقرؤوا القرآن
بألحان العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسوق واهل الكبائر فانه
سيجيء بعدي اقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية
لا يجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شأنهم وعنه عليه السلام
انه سئل عن قول الله عز وجل ورتل القرآن ترتيلا قال امير المؤمنين عليه السلام
بينه تبيانا ولا تهذه هذ الشعر ولا تنثره نثر الرمل ولكن افزعوا قلوبكم
القاسية ولا يكن هم احدكم آخر السورة وفي رواية اخرى قال الترتيل
هو حفظ الوقوف وبيان الحروف وعن الصادق عليه السلام هو ان تتمكث و
تحسن به صوتك وعنه عليه السلام قال القرآن نزل بالحزن فاقرأوه بالحزن وعن

النبي صلى الله عليه وآله اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن الصادق عليه السلام
قال قال النبي صلى الله عليه وآله لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن وعنه
قال كان علي بن الحسين عليه السلام احسن الناس صوتا بالقرآن وكان السقاؤون
يمرون فيقفون ببابه يسمعون قراءته فصل في مصباح الشريعة قال
الصادق عليه السلام من قرأ القرآن ولم يخضع له ولم يرق قلبه ولم ينشئ
حزنا ووجلا في سره فقد استهان بعظم شأن الله وخسر خسرانا
مبينا فقارئ القرآن يحتاج الى ثلاثة اشياء قلب خاشع وبدن
فارغ وموضع خال فاذا خشع لله قلبه فر منه الشيطان الرجيم
قال الله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
واذا تفرغ نفسه من الاسباب تجرد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض
فيحرمه نور القرآن وفوائده واذا اتخذ مجلسا خاليا واعتزل
من الخلق بعد ان اتى بالخصلتين الاوليين استأنس روحه وسره
بالله ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين وعلم لطفه
بهم ومقام اختصاصه لهم بفنون كراماته وبدائع اشاراته فاذا
شرب كاسا من هذا المشرب لا يختار على ذلك الحال حالا

على ذلك الوقت وقتا بل يؤثره على كل طاعة وعبادة لان فيه
المناجاة مع الرب بلا واسطة فانظر كيف تقرأ كتاب ربك و
منشور ولايتك وكيف تجيب اوامره ونواهيه وكيف تمتثل حدوده
فانه كتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه [تنزيل]
من حكيم حميد فرتله ترتيلا وقف عند وعده ووعيده [وتفكر]
في امثاله ومواعظه واحذر ان تقع من اقامتك حروفه في [اضاعة]
حدوده **فصل** ينبغي لتالي القرآن من امعن باطنه منها فهم [عظمة]
الكلام وعلوه وفضل الله تعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش [جلاله]
الى درجة افهام خلقه فلينظر كيف لطف بخلقه في ايصال [معاني]
كلامه الذي هو صفته قائمة بذاته الى افهام خلقه وكيف [تجلت]
لهم تلك الصفة في طي حروف واصوات هي صفات البشر اذ [يعجز]
البشر عن الوصول الى فهم صفات الله الا بوسيلة صفات نفسه ولولا
استتار كنه جلال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام
عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات
نوره ولولا تثبيت الله موسى لما اطاق سماع كلامه كما لم يطق [الجبل]

مبادي

مبادي تجليه حيث صار دكا وهذا كما ان الناس لما ارادوا
ان يفهموا بعض الدواب والطيور ما يريدون من تقديمها [وتاخيرها]
واقبالها وادبارها وراوا الدواب تقصر تمييزها عن فهم كلا[مهم]
الصادر عن انوار عقولهم مع حسنه وترتيبه وبديع نظمه فنزلوا [الى]
درجة تمييز البهائم واوصلوا مقاصدهم الى بواطن البهائم با[صوات]
يضعونها لائقة بها من النقر والصفير والاصوات القريبة [من]
اصواتهم لكي يطيقون حملها وكذا ان تاجيا البشر تكرم وتعز
لكان الروح فكذلك للناس اصوات الكلام لشرف الحكمة التي فيها
والكلام فنال المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم [فخ]
الحق والباطل وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى يأمر [وينهى]
ولا طاقة للباطل ان يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع [الظل]
ان يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر ان ينفذوا غور [الحكمة]
كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بابصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم
من عين الشمس ما تحيى به ابصارهم ويستدلون به على حوائجهم [فقط]
فصل ومنها التعظيم للمتكلم فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن

ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم أن ما يقرأه ليس من
كلام البشر وأن في تلاوة كلامه غاية الخطر فإنه تعالى قال لا يمسه
إلا المطهرون وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر
بشرة اللامس إلا إذا كان متطهراً فباطن معناه أيضاً بحكم عزه
وجلاله محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان منقطعاً عن كل
رجس ومستنيراً بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف
كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل
قلب ومنها حضور القلب وترك حديث النفس وهذا يتولد
من التعظيم فإن المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس
ولا يغفل عنه ففي القرآن ما يستأنس به القلب إن كان التالي أهلاً
له فكيف يطلب الأنس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي
يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها ومنها التدبر وهو وراء
حضور القلب فإنه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع
القرآن من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من القراءة التدبر
قال الله تعالى أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ولذلك سن

فيه

فيه الترتيل لأن الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر في الباطن قال
أمير المؤمنين رضه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها
فإذا لم يتمكن من التدبر إلا بالترديد فليردد وعن أبي ذر رضه
قال قام بنا رسول الله صلعم فقام ليلة بآية يرددها إن تعذبهم
فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم **فصل** ومنها
التفهم وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على
ذكر صفات الله تعالى وذكر أفعاله وذكر أحوال الأنبياء وذكر أحوال
المكذبين لهم وأنهم كيف أهلكوا وذكر أوامره وزواجره وذكر
الجنة والنار وأما صفات الله فكقوله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
وكقوله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر
فليتأمل معاني هذه الصفات والأسماء لينكشف له أسرارها
فتحتها معان مدفونة لا تنكشف إلا للموفقين وإليها أشار أمير المؤمنين
بقوله ما أسر إلي رسول الله صلعم شيئاً كتمه عن الناس إلا أن يؤتي الله
تعالى عبداً فهماً في كتابه فليكن حريصاً على طلب ذلك الفهم وأما
أفعاله فكذكره خلق السموات والأرض وغيرها فليفهم التالي منه

وجلاله اذ الفعل يدل على الفاعل فيدل عظمته على عظمته فينبغي
ان يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق راه في
كل شيء اذ كل شيء منه واليه وبه وله ومن لا يراه في كل ما يراه
فكانه ما عرفه ومن عرفه عرف ان كل شيء ما خلا الله باطل وان كل شيء
هالك الا وجهه واما احوال الانبياء فاذا سمع منها كيف كذبوا
وضربوا وقتلوا فليفهم منه صفة الاستغناء لله تعالى عن الرسل والمرسل
اليهم وانه لو اهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه واذا سمع نصرهم في آخر
الامر فليفهم قدرة الله وارادته لنصرة الحق واما احوال المكذبين
كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من
سطوته ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وانه ان غفل
واساء الادب واغتر بما امهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية
وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما في القرآن فلا يمكن
استقصاء ما يفهم منه لان ذلك لا نهاية له وانما لكل عبد منه بقدر
رزقه فلا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين السابع التخلي عن
موانع الفهم فان اكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لاسباب

وحجب اسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب اسرار
القرآن قال النبي ﷺ لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم
لنظروا الى الملكوت ومعاني القرآن من جملة الملكوت لانها انما
تدرك بنور البصيرة دون الحواس وحجب الفهم اربعة اولها ان يكون
الهم منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها وهذا يتولى
حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرف الناس عن فهم معاني كلام الله
ولا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه فهذا
يكون تامله مقصورا على مخارج الحروف فانى تنكشف له المعاني
واعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس ثانيها
ان يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه
التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة
فهذا شخص قيده معتقده عن ان يجاوزه فلا [illegible] يخطر
بباله غير معتقده فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني
التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف
يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك ثالثها ان يكون

على ذنب او مستصغراً كبيرة او مبتلى على الجملة بهوى في الدنيا مطاع
فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداه وهو كالخبث على المرآة
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي الدينار والدرهم نزع منها هيبة
الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف حرموا بركة الوحي وقد شرط الله
الانابة في الفهم والتذكر فقال تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وقال
وما يتذكر الا من ينيب وقال انما يتذكر اولوا الالباب فالذي
آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الالباب ولذلك لا ينكشف
له اسرار الكتاب ورابعها ان يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد انه
لا معنى لكلمات القرآن الا ما تناوله النقل وان ما وراء ذلك تفسير
بالرأي وان من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار فهذا
لا يدري بعد معنى التفسير بالرأي ولا يفهم معنى قول امير المؤمنين علي
الا ان يؤتي الله العبد فهماً في القرآن وانه لو كان هو الظاهر المنقول لما
اختلف الناس فيه **فصل** ومنها التخصيص وهو ان يقدر انه المقصود
بكل خطاب في القرآن فان سمع امراً او نهياً قدر انه هو المأمور والمنهي
وان سمع وعداً او وعيداً فكمثل ذلك وان سمع قصص الاولين

علم ان السمر غير مقصود وانما المقصود الاعتبار واخذ ما
يحتاج اليه فما من قصة في القرآن الا وسياقها لفائدة في حق النبي صلى الله عليه وسلم
وامته ولذلك قال تعالى ما نثبت به فؤادك فليقدر العبد ان الله يثبت
فؤاده بما يقص عليه من احوال الانبياء وصبرهم على الايذاء وثباتهم
في الدين لانتظار نصر الله وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما انزل
على رسول الله خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين
ولذلك امر الله الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال واذكروا نعمة الله عليكم
وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة وقال ولقد انزلنا اليكم كتاباً
فيه ذكركم وانزلنا اليك الكتاب لتبين للناس ما نزل اليهم كذلك
يضرب الله للناس امثالهم هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم
هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين واذا قصد بالخطاب
جميع الناس فقد قصد الآحاد فهذا الواحد القارئ مقصود فما له
ولسائر الناس فليقدر انه المقصود قال بعض الحكماء هذا القرآن
رسائل اتتنا من قبل ربنا بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف عليها
في الخلوات وننفذها في الطاعات بالسنن المتبعات **فصل**

ومنها التأثر وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات
فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من
الحزن والخوف والرجاء وغيرها ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب
الأحوال على قلبه فإن التضييق غالب على آيات القرآن فلا يرى
ذكر المغفرة والرحمة إلا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله
تعالى وإني لغفار ثم أتبع ذلك بأربعة شروط لمن تاب و
آمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله والعصر إن الإنسان لفي خسر
إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا
بالصبر ذكر أربع شرائط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال إن
رحمة الله قريب من المحسنين فالإحسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح
القرآن من أوله إلى آخره ومن فهم ذلك فجدير بأن يكون حاله الخشية
والحزن ولذلك قيل ما أصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن يؤمن
به إلا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله
وقلت راحته وبطالته فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية
المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته

كأنه يكاد يموت وعند التوسيع ووعد المغفرة يستبشر كأنه
يطير من الفرح وعند ذكر صفات الله وأسمائه يتطأطأ خضوعا
لجلاله واستشعارا لعظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله
تعالى كذكرهم لله ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر في باطنه حياء
من قبح مقالتهم وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا إليها وعند وصف
النار ترتعد فرائصه خوفا منها فالقرآن إنما يراد لاستجلاب هذه
الأحوال إلى القلب والعمل به وإلا فالمؤونة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة
بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بأن يكون هو المراد بقوله
ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى
وبقوله تعالى كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى
أي تركتها ولم تنظر إليها ولم تعبأ بها فإن المقصر في الأمر يقال له
نسي الأمر وتلاوة القرآن حق تلاوته أن يشترك فيها اللسان والعقل و
القلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير
المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار فاللسان
واعظ والعقل مترجم والقلب متعظ **فصل** ومنها الترقي وأعني به أن

يترقى الى ان يسمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه فدرجات القراءة
ثلث ادناها ان يقدر العبد كانه يقرؤه على الله تعالى واقفا بين يديه
وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال
والتملق والتضرع والابتهال الثانية ان يشهد بقلبه كان الله يخاطبه
بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء
والفهم الثالثة ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر
الى نفسه ولا الى قراءته ولا الى تعلق الانعام به من حيث انه منعم عليه
بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كانه مستغرق
بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين وما قبله درجة
اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين وعن
الدرجة العليا اخبر الصادق ع وقال والله لقد تجلى الله لخلقه في
كلامه ولكن لا يبصرون وقال ايضا وقد سئل عن حالة لحقته في
الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال
ما زلت اردد هذه الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي
لمعاينة قدرته ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة

ولذلك

ولذلك قال بعض الحكماء كنت اقرأ القرآن فلا اجد له حلاوة
حتى تلوته كأني اسمعه من رسول الله ص يتلوه على اصحابه ثم رفعت
الى مقام فوقه فكنت اتلوه كأني اسمعه من جبرئيل يلقيه على رسول الله
ثم جاء الله تعالى بمنزلة اخرى فانا الآن اسمعه من المتكلم به فعندها
وجدت لذة ونعيما لا اصبر عنه فصل ومنها التبري واعني به ان يتبرأ
من حوله وقوته والالتفات الى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلا
آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد
الموقنين والصديقين فيها ويتشوق ان يلحقه الله بهم واذا تلا آيات
المقت وذم العصاة والمقصرين شهد نفسه هناك وقدر انه
المخاطب خوفا واشفاقا والى هذا اشار امير المؤمنين ع في الخطبة التي
يصف فيها المتقين بقوله واذا مروا بآية فيها تخويف اصغوا اليها
مسامع قلوبهم وظنوا ان زفير جهنم في آذانهم فاذا رأى نفسه بصورة
التقصير في القراءة كان ذلك سبب قربه فان من شهد البعد في
القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه الى درجة اخرى في القرب وراءها
ومن شهد القرب في البعد مكر به بالامن الذي يفضيه الى درجة اخرى

في البعد اسفل مما هو فيه ومهما كان شاهدا نفسه بعين
الرضا صار محجوبا بنفسه واذا جاوز حد الالتفات الى نفسه و
لم يشاهد الا الله في قراءته انكشف له الملكوت بحسب احواله
فحيث يتلو ايات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار ينكشف له
صورة الجنة فيشاهدها كانه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف
بالنار حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله يشتمل على السهل
اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب
اوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة
الكلمات والصفات ينقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل
حالة منها يستعد للمكاشفة بامر يناسب تلك الحالة ويقاربها اذ
يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا اذ فيه كلام
راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا
يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل الباب الخامس في الزكوة لي العرد
قال الله تعالى واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وقال النبي صلعم اذا منعت
الزكوة منعت الارض بركاتها وقال الباقر عم ان الله تعالى قرن الزكوة

بالصلوة

بالصلوة قال واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فمن اقام الصلوة
ولم يؤت الزكوة فلم يقم الصلوة وقال الصادق عم ما فرض الله
على هذه الامة شيئا اشد عليهم من الزكوة وفيها هلاك عامتهم وقال
من منع قيراطا من الزكوة فليس بمؤمن ولا مسلم وهو قوله تعالى
رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت وقال عم ما من ذي مال
ذهب وفضة يمنع زكوة ماله الا حبسه الله يوم القيمة بقاع قرقر و
سلط الله عليه شجاعا اقرع يريده وهو يحيد عنه فاذا راى انه
لا يتخلص منه امكنه من يده فقضمها كما يقضم الفحل ثم يصير طوقا في عنقه
وذلك قول الله تع سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وما من ذي مال
ابل او غنم او بقر يمنع زكوة ماله الا حبسه الله يوم القيمة بقاع قرقر يطاه
كل ذي ظلف بظلفها وينهشه كل ذات ناب بنابها وما من ذي
مال نخل او كرم او زرع يمنع زكوتها الا طوقه الله ريعة ارضه الى
سبع ارضين الى يوم القيمة وقال عم انما وضعت الزكوة اختبارا
للاغنياء ومعونة للفقراء ولو ان الناس ادوا زكوة اموالهم ما بقي فقيرا
محتاجا ولاستغنى بما فرض الله له وان الناس ما افتقروا وما احتاجوا ولا جاعوا

ولا عروا الابدن نوب لاغنياء وحقيق على الله ان يمنع رحمته ممن
منع حق الله في ماله واقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق انه ما ضاع
مال في بر او بحر الا بترك الزكوة وما صيد صيد في بر ولا بحر الا
بترك التسبيح في ذلك اليوم وان احب الناس الى الله تعالى اسخاهم كفا
واسخى الناس من ادى زكوة ماله ولم يبخل على المؤمنين بما افترض
الله لهم في ماله وفي رواية قال ان الله حسب الاموال والمساكين فوجد
ما يكفيهم من كل الف خمسة وعشرين درهما فلو لم يكفهم لزادهم وقال ع
ان الزكوة ليس يحمد بها صاحبها وانما هو شيء ظاهر انما هو شيء حقن
به دمه وسمي بها مسلما ولو لم يؤدها لم يقبل له صلوة وان عليكم
في اموالكم غير الزكوة فقيل اصلحك الله وما علينا في اموالنا غير
الزكوة فقال سبحان الله اما تسمع الله تعالى يقول في كتابه وفي اموالهم
حق معلوم للسائل والمحروم قيل فما الحق المعلوم الذي علينا قال
هو والله الشيء يعلمه الرجل في ماله يعطيه في اليوم او في الجمعة او في الشهر
قل او كثر غير انه يدوم عليه وقوله تعالى ويمنعون الماعون قال هو القرض
تقرضه والمعروف تصنعه ومتاع البيت تعيره ومنه الزكوة فقيل ان لنا جيرانا

اذا اعرناهم متاعا كسروه وافسدوه فعلينا جناح ان نمنعهم فقال
ليس عليك جناح ان تمنعهم اذا كانوا كذلك قيل ويطعمون الطعام
على حبه مسكينا ويتيما واسيرا قال ليس من الزكوة قيل قوله تعالى الذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية قال ليس من الزكوة قيل ان تبدوا
الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال
ليس من الزكوة وقال ع انما اعطاكم الله هذه الفضول من الاموال
لتوجهوها حيث وجهها الله عز وجل ولم يعطكموها لتكنزوها
وسئل ع في كم تجب الزكوة من المال فقال اما الظاهرة ففي كل الف
خمسة وعشرون واما الباطنة فلا تستاثر على اخيك بما هو احوج
منك **فصل** المعروف هو الانفاق على النفس والعيال ثم صلة من تجب
صلته ثم الحق المعلوم الذي يفرضه في ماله ثم كل صدقة على فقير او مروة
البر الى الغني بالضيافة والهدية والاعانة ونحوها جلبا للمحبة او دفعا
للشر دنيويين او دينيين سائغين شرعا او ابتغاء النفع عام يبني
مسجد ونحوه او خاص كارشاد الضال والتعليم وقربان المراة للتعفف
والعدل وقضاء حاجة المؤمن وانظار المعسر والتطول والقرض والتحمل

على الدابة وطيب الكلام والخطوة الى الصلوة والتوسيع على العيال
والتبسم في وجه اخيه واعارة المتاع واطراق الفحل وغير ذلك وقد
يسمى الكل بالصدقة سوى الهبات وورد كل معروف صدقة
والبر يشمل الجميع وربما يخص بما سوى الصدقة وورد البر والصدقة
ينفيان الفقر ويزيدان في العمر ويدفعان عن صاحبهما سبعين ميتة
سوء وورد صنائع المعروف تقي مصارع السوء وشرط الانفاق في
القوام قال الله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين
ذلك قواما وعن الصادق ع انه تلا هذه الاية فاخذ قبضة من
حصى فقبضها بيده فقال هذا الاقتار الذي ذكره الله في كتابه
ثم اخذ قبضة اخرى فارخى كفه كلها ثم قال هذا الاسراف ثم اخذ
قبضة اخرى فارخى بعضها وامسك بعضها وقال هذا القوام
ولا باس بالرجل اذا امسك ماله مراقبا للمواقيت للحاجات والمواسم
والخيرات فيكون قصده في الادخار الانفاق وقت الحاجة دون
التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه البر مهما ظهر وجوهه قال
النبي ص افضل الصدقة صدقة عن ظهر غنى يعني ما يكون بعد الغنى والمؤنة

لئلا

لئلا يكون القلب مشغولا بما يعطى وقال افضل الصدقة صدقة
تكون عن فضل الكف يعني عما يفضل عن الكفاف وقال لا يلوم الله
على الكفاف يعني على اقتناء ما يكفيه فصل اعلم ان السر في ايجاب
الزكوة وانفاق المال امتحان العبد وفيه ثلث معان الاول
ان التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بافراد
المعبود وشرط تمام الوفاء به ان لا يبقى للموحد محبوب سوى
الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل
الجدوى وانما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوب والاموال محبوبة
عند الخلق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يانسون بهذا العالم
وينفرون عن الموت مع ان فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم
في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك
قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
والمعنى الثاني التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات قال النبي ص
ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال
عز وجل ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانما يزول صفة

البخل بان يتعود بذل المال رغبة للشيء لا ينقطع الا بقطع الفقر
على مفارقته حتى يصير ذلك عنادا فالانفاق بهذا المعنى يطهره عما
من خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه
باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله تع والمعنى الثالث شكر النعمة
فان لله على عبده نعمة في نفسه وماله فالعبادات البدنية
شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال وما اخس من ينظر
الى الفقير وقد ضيق الرزق عليه واحوج اليه ثم لا تسمح نفسه بان
يؤدي شكر الله تع في اغنائه عن السؤال فصل ينبغي للمنفق ان
يغتنم الفرصة مهما ظهرت داعية الخير من الباطن فان ذلك لمة
الملك وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فما اسرع تقليبه
والشيطان يعد الفقر ويامر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة
الملك وان لا يحوج الفقير الى السؤال [illegible]
المبذول دون ما اخذ منه وليس بمعروف ويعين لصرف الوقت فاضلا
فاضلا ككثرة رمضان وسيما العشر الاخير وذي الحجة وسيما عشر اوله والغدير
وليستر في السر بحيث لا يدري شماله ما يعطي يمينه قال الصادق ع

الصدقة في السر والله افضل من الصدقة في العلانية وكان ع
اذا اعتم وذهب من الليل شطره اخذ جرابا فيه خبز ولحم والدراهم
فحمله على عنقه ثم ذهب به الى اهل الحاجة من اهل المدينة فقسمه
فيهم ولا يعرفونه فلما مضى ع فقدوا ذلك فعلموا انه كان ابا عبد الله ع
ومعنى اعتم صلى العتمة وعن النبي ص صدقة السر تطفي غضب الرب
وقال الصادق ع كل ما فرض الله عليك فاعلانه افضل من اسراره
وكل ما كان تطوعا فاسراره افضل من اعلانه فلو ان رجلا حمل
زكوة ماله على عاتقه علانية كان ذلك حسنا جميلا وقال الله
عز وجل وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال هي سوى
الزكوة وسئل النبي ص اي الصدقة افضل قال ان تصدق وانت
صحيح شحيح تامل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم
قلت لفلان كذا ولفلان كذا وينبغي ان يستصغر العطاء ليعظم
عند الله تع وهو يدعو الى التوفيق والثواب قال الصادق ع رايت المعروف
لا يصلح الا بثلث خصال تصغيره وستره وتعجيله فانك اذا صغرته عظمته
عند من تصنعه اليه واذا سترته تممته واذا عجلته هنأته وان كان غير

ذلك محقته وتكدره ويبطل الاجر والاجرة الاسد عن الشبهة

قال الله تعالى ويجعلون لله ما يكرهون وقال لن تنالوا البر حتى تنفقوا

مما تحبون وقال انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من

الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه

اي لا تاخذونه الا مع كراهة وحياء وهو معنى الاغماض فلا تؤتوا به

ربكم وان تعنيه ان قدر نوره اذا اعطيته فاغنه وتقبل يده بعد العطاء

لانه تقع في يد الله تعالى اولا قال امير المؤمنين ع اذا ناولتم السائل فليرد

الذي ناوله يده الى فيه فيقبلها فان الله عز وجل ياخذها قبل

ان تقع في يده فانه عز وجل ياخذ الصدقات وقال رسول الله ص ما

تقع صدقة المؤمن في يد السائل حتى تقع في يد الله ثم تلا هذه الاية

الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات وان

الله هو التواب الرحيم وقال الصادق ع ان الله تعالى يقول ما من شيء الا

وقد وكلت به من يقبضه غيري الا الصدقة فاني اتلقفها بيدي تلقفا

حتى ان الرجل ليتصدق والمراة لتتصدق بالتمرة او بشق تمرة فاربيها

له كما يربي الرجل فلوه وفصيله فيلقاني يوم القيامة وهي مثل جبل احد

واعظم

واعظم من احد وان يلتمس الدعاء من الاخذ لان دعاءه

مستجاب فيه ويصرف الى من يكثر باعطائه الاجر بكونه متقيا عالما

سادا فاقة المتغير من اهله ثم ساترا للحاجة محصورا في سبيل الله مجهو

في طريق الاخرة بمرض او عيلة او ضيق معيشة او اصلاح قلب او

سبب من الاسباب ولكن يرجع اهل العلم والايمان من الزكوة الواجبة

والصدقات لا اسما او ساح الاموال فهو وايجب لحد كرات بفضل

بذله ثم يصب على اخيه المؤمن ان وسخ الذنوب اعظم من وسخ البدن

فيوسع عليهم بالهدايا والصلاة ويبدا بمن يعول ثم الاقرب فالاقرب

والاهم فالاهم وورد ان افضلها على ذي الرحم الكاشح يعني المبغض وكانه

لمخالفة الهوى وورد لا صدقة وذو رحم محتاج الصدقة بعشرة و القرض

بثمانية عشر وصلة الاخوان بعشرين وصلة الرحم باربعة وعشرين وان

يتصدق في كل يوم وبذكرها لياتيه بها البلاء ولا يرد السائل

الا بلطف ونحوه واكرام السائل ببذل البر او برد جميل اطعموا ثلثة

ان شئتم ان تزدادوا فانه واجدوا فالا فقد ابلغتم حق يومكم وان يظن

السائل سيما فيما دونه القلب فهو علامة صدق السائل ونبي

نفسه عند فقده ولا يحقر ما عنده من قوته ولا يستحيوا من اعطاء
القليل فان الحرمان اقل منه وغيرها افضل الصدقة جهد المقل
فان لا يملك ما يتصدق به اختيارا ولقسم صدقة الغني فهو رد انه
احد المعطين ويجتنب المن والاذى قال الله تع لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى
والمن ان يرى نفسه محسنا ويعرف بقوة استبعاده جنابة القابض
بعد العطاء والمحسن لا يبالي الى الثواب والانجاء من العقاب
وكونه نائبا عنه تع وهو حق شرعي جعل احال عليه الفقير انجازا
لما وعده من الرزق والاذى التعيير والتوبيخ والقول السيء
والقطوب والاستخدام وهتك الستر والاستخفاف وسببه استكثار
العطاء والتكبر على القابض الناشيين من الجهل بجنابه رضا
الله تع على خبيث كان ولبيان فضل الفقير وعن الصادق عليه السلام كان
امير المؤمنين ع يقول من علم ان ما صنع انما صنع الى نفسه لم يستبطئ الناس
في شكرهم ولم يستزدهم في مودتهم فلا تلتمس من غيرك شكر
ما اتيت الى نفسك ووقيت به عرضك واعلم ان الطالب اليك الحاجة

لم يكرم وجهه عن وجهك فاكرم وجهك عن رده وعن
الباقر ع انه قيل له الرجل من اصحابنا من يستحيي ان ياخذ من
الزكوة فاعطيه من الزكوة ولا اسمي له انها من الزكوة فقال اعطه
ولا تسم له ولا تذل المؤمن فصل ينبغي للاخذ ان يعلم ان الله تع
امر المعطي بصرف البر ليكفي همه فيتجرد للعبادة فيشكر الله ويشكر
المعطي ويدعو له ويثني عليه مع رؤية النعمة من الله سبحانه قال
النبي ص من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقال الصادق ع لعن الله
قاطعي سبيل المعروف قيل وما قاطعوا سبيل المعروف قال الرجل
يصنع اليه المعروف فيكفره فيمتنع صاحبه من ان يصنع ذلك الى
غيره وان كان معروفا كافاه بما يستطيع ولو بالثناء والقول الجميل
فعن النبي ص من اتى اليه معروف فليكافي به فان عجز فليثن فان
لم يفعل فقد كفر النعمة وعن الصادق ع قال كان امير المؤمنين عليه السلام
يقول من صنع بمثل ما صنع اليه فانما كافاه فان ضعف كان
شكورا ومن شكر كان كريما ولستر عيوب صاحب العطاء ولا
يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع اذا منع ويفخم عنده نفسه وعند الناس

صنيعه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة لئلا يكون مشركا
من الصادقية في قول الله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
قال هو قول الرجل لولا فلان لهلكت ولولا فلان لما اصبت كذا
وكذا ولولا فلان لضاع عيالي الا ترى انه جعل لله شريكا
في ملكه يرزقه ويدفع عنه قيل فيقول لولا ان الله منّ علي
بفلان لهلكت قال نعم لا باس بهذا ونحوه وان يتوقى مواضع
الريبة والتهمة في اصله ومقداره فلا ياخذ ممن لا يحل ماله
ولا الزيادة على قدر الحاجة ولا يسئل على رؤس الملاء ممن ينبغي
الود ويتورع العالم من اخذ الزكوة ما لم يضطر اليه تنزيها
لنفسه عن الاوساخ وان يستر الاخذ بنية انه ابقى لستر المروة
وكشف الحاجة والتعفف واسلم لقلوب الناس والسنتهم من الحسد
وسوء الظن والغيبة واعانة للمعطي على الاسرار واصون لنفسه عن
الاذلال وعن شبهة الشركة فان الحضار شركاء فيها او في بعضه
الاخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال واسقاط الجاه
والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة والتبري عن الكبر والانفة

الشكر

الشكر وغير ذلك فانه يختلف باختلاف النيات والاحوال
والاشخاص فليراقب ذلك فانه موضع الغرور **فصل** ينبغي للفقير من
ان لا يسئل الناس من غير حاجة اضطره اليه بل يتعفف عن السؤال
ما استطاع فانه ذل في الدنيا وفقر معجل وحساب طويل يوم القيمة
قال النبي يوما لاصحابه الا تبايعون فقالوا قد بايعناك يا
رسول الله قال تبايعون على ان لا تسئلوا الناس شيئا فكان
بعد ذلك يقع المخصرة من يد احدهم فينزل لها ولا يقول لاحد
ناولنيها وقال لو ان احدكم ياخذ حبلا فياتي بحزمة حطب على
ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من ان يسئل وقال من سئلنا
اعطيناه ومن استغنى اغناه الله وقال السجاد ضمنت على ربي
ان لا يسئل احد احدا من غير حاجة الا اضطرته حاجة المسئلة يوما
الى ان يسئل من غير حاجة ونظر يوم عرفة الى رجال يسئلون فقال
هؤلاء شرار من خلق الله الناس مقبلون على الله وهم مقبلون
على الناس وقال الباقر اقسم بالله وهو حق ما فتح رجل على
نفسه باب المسئلة الا فتح الله عليه باب فقر وقال طلب الحوائج ا

للعزة ومذهبة للحياء واليأس مما في ايدي الناس عز المؤمن و
الطمع هو الفقر الحاضر وقال الصادق ع شيعتنا من لا يسأل الناس
شيئاً ولو مات جوعاً وقال ع لو يعلم السائل ما عليه من الوزر ما
سأل احد احداً ولو يعلم المسؤول ما عليه اذا منع ما منع احد احداً
وقال ع من سأل من غير حاجة فكانما يأكل الجمر وسأل النبي ص فقال اسألك بوجه الله
فامر النبي ص بضربه خمسة اسواط ثم قال سل بوجهك اللئيم ولا
تسأل بوجه الله الكريم **فصل** اعلم ان للجسد زكوة كما ان في المال زكوة
وهو يقصر لمن يلج في البركة انما اضطره بان يعينا باقره او اخيه انا
بان يصرفها في الطاعة ويمنع عن المعصية فعن الصادق ع انه قال قال
النبي ص يوماً لاصحابه ملعون كل مال لا يزكى ملعون كل جسد لا يزكى
ولو في كل اربعين يوماً مرة قيل له يا رسول الله اما زكوة المال فقد عرفناها
فما زكوة الاجساد فقال لهم ان تصاب بآفة قال فتغيرت وجوه الذين
سمعوا منه ذلك قال فلما رآهم قد تغيرت الوانهم قال هل تدرون
ما عنيت بقولي قالوا لا يا رسول الله قال ان الرجل يخدش الخدشة
وينكب النكبة ويعثر العثرة ويمرض المرضة ويشاك الشوكة وما اشبه هذا

حتى ذكر في حديث اختلاج العين وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع
على كل جزء من اجزائك زكوة واجبة لله عز وجل بل على كل
منبت شعر لك بل على كل لحظة فزكوة العين النظر بالعبرة والغض عن
الشهوات وما يضاهيها وزكوة الاذن استماع العلم والحكمة والقرآن و
فوائد الدين من الموعظة والنصيحة وما فيه نجاتك والاعراض
عما هو ضده من الكذب والغيبة واشباههما وزكوة اللسان
النصح للمسلمين والتيقظ للغافلين وكثرة التسبيح والذكر وغيره
وزكوة اليد البذل والسخاء بما انعم الله به عليك وتحريكها
بكتبة العلوم ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله تعالى
والقبض عن الشرور وزكوة الرجل السعي في حقوق الله من زيارة
الصالحين ومجالس الذكر واصلاح الناس وصلة الرحم والجهاد
وما فيه اصلاح قلبك وسلامة دينك هذا مما تحتمل القلوب
والنفوس استعماله وما لا يشرف عليه الا عباد الله المقربون المخلصون اكثر
من ان يحصى وهم اربابه وهو شعارهم ودثارهم وعن النبي ص لكل شيء
زكوة وزكوة الابدان الصيام **الباب السادس** في الصوم قال الله تعالى

كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون
وقال النبي ص الصوم جنة من النار وقال الصائم في عبادة وان
كان نائما على فراشه ما لم يغتب مسلما وقال قال الله تعالى الصوم لي
وانا اجزي به وللصائم فرحتان حين يفطر وحين يلقى ربه عز وجل
والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم عند الله اطيب من ريح
المسك وقال الباقر ع بني الاسلام على خمسة اشياء على الصلوة
والزكوة والحج والصوم والولاية وقال الصادق ع من صام لله عز وجل
يوما في شدة الحر فاصابه ظماء وكل الله به الف ملك يمسحون وجهه ويبشرونه
حتى اذا افطر قال الله تعالى ما اطيب ريحك وروحك يا ملائكتي اشهدوا
اني قد غفرت له وقال ع نوم الصائم عبادة وصمته
تسبيح وعمله متقبل ودعاؤه مستجاب قال الكاظم ع قيلوا فان الله
تبارك وتعالى يطعم الصائم ويسقيه في منامه قيل ولو لم يكن في الصوم
الا الارتقاء من حضيض حظوظ النفس البهيمية الى ذروة التشبه بالملائكة
الروحانية لكفى به فضلا ومنقبة وانما كان الصوم جنة من النار لانه
يدفع حر الشهوة والغضب اللتين هما مظهر نار جهنم في باطن الانسان في

في الدنيا ونيرانها في الاخرة كما ان الجنة يدفع به عن صاحبها
حر الحديد وانما قال ما لم يغتب مسلما لان الغيبة اكل الميتة فهو نوع من
الاكل يقوى به البدن وانما كان الصوم لله ومشرفا بالنسبة الى الله
وان كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة اليه والارض
كلها له لمعنيين احدهما ان الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس
فيه عمل يشاهد وجميع الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا
يعلمه الا الله فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد خالصا لله وجزاؤه به
من عنده خاصة من غير شركة احد فيه والثاني انه قهر لعدو الله
فانه وسيلة الشيطان الشهوات وانما تقوى الشهوات بالاكل
والشرب ولذلك قال النبي ص ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم
فضيقوا مجاريه بالجوع فالشهوات مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت
مخصبة لم ينقطع ترددهم وما داموا يترددون فلا ينكشف على العبد
جلال الله وكان محجوبا عن لقائه قال رسول الله ص لولا ان الشياطين
يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السماء وفي بعض الاخبار
عند الافطار انما للخواص فيه استشعارهم التوفيق من الله عز وجل

على اتمام الصيام وبذل الاجر فاما للعوام فانقضاء المفاساة
وبذل الشهوات وسبب الفرحة عند لقاء الرب واما للخواص حصول
نور القلب لهم المستفاد من انكسار قوتي الشهوة والغضب الظلمانيين له
بالجوع الباعث لهم ان يعبدوا الله عيانا كانهم يرونه وهو المعنى باللقاء
وخلوف الفم تغيره واطلاقه اطيب عند الله من ريح المسك لانه سبب
طيب الروح الذي هو عند الله من الانسان كما ان بدنه عند نفسه
والبشارة في قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق واين طيب
الروح من طيب المسك فان الاول روحاني عقلي معنوي والثاني
جسماني حسي صوري **فصل** اعلم ان للصوم ثلث درجات صوم
العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص اما صوم العموم
فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة واما صوم الخصوص فهو
كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الاثام
قال الصادق ع اذا صمت فليصم سمعك وبصرك وشعرك وجلدك
وعدد اشياء اخر غير هذا وقال لا يكون يوم صومك كيوم فطرك
وزاد في خبر اخر ودع المراء واذى الخادم وليكن عليك وقار الصيام

فان رسول الله ص سمع امراة تسب جارية لها وهي صائمة فدعا
بطعام فقال لها كلي فقالت اني صائمة فقال كيف تكونين صائمة
وقد سببت جاريتك ان الصوم ليس من الطعام والشراب فقط
وعن النبي ص انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صائما فلا يرفث
ولا يجهل وان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل اني صائم اني صائم وقال ع
من اغتاب مسلما بطل صومه ونقض وضوءه وان مات وهو كذلك
مات وهو مستحل لما حرم الله وقال كم من صائم ليس له من صومه الا
الجوع والعطش وقال الصادق ع ان الكذبة لتفطر الصائم قيل له انا
لا يكون ذلك منا قال ليس تذهب اليه انما ذلك الكذب على الله وعلى رسوله
وعلى الائمة ع ومعنى بطلان الصوم بالكذب وغيره مما لا يعده
الفقهاء من المفطرات عدم قبول الصوم وترتب الثواب عليه دون
الاجزاء والخروج عن عهدة التكليف كما مر تحقيقه في باب الصلوة ولذلك
خطنا ذلك في صوم الخصوص دون العموم واما صوم خصوص الخصوص
فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه عما سوى الله
بالكلية ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله واليوم الاخر

وبالفكر في الدنيا الا بقدر الزاد للدين فان ذلك زاد للآخرة وليس من
الدنيا فالمرتاب القلوب من تحرك همته بالتصرف في تهيئة ان
لئلا يوماً يفطر عليه كتب عليه خطيئة فان ذلك من علامة الوثوق بفضل الله
وقلة اليقين بيوم الموعود وهذه رتبة الانبياء والصديقين والمقربين
وفي مقابلها من يستكثر من الحلال وقت الافطار بحيث يثقل فوق
ما من وعاء ابغض الى الله من بطن ملئ من حلال وكيف يستفاد من
الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة اذا تدارك الصائم عند فطره
ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في الوان الطعام حتى استمرت العادات
بان يدخر جميع الاطعمة لشهر رمضان فيؤكل من الاطعمة فيه ما لا يؤكل
في عدة اشهر ومعلوم ان مقصود الصوم الخوي وكسر الهوى لتقوى النفس
على التقوى واذا دفعت المعدة ضحوة النهار الى العشاء حتى هاجت
شهوتها وقويت رغبتها ثم اطعمت من اللذات واشبعت زادت لذتها
وتضاعفت قوتها وانبعثت من الشهوات ما عساها كانت راكدة
لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل
الشيطان في العود الى الشر ولن يحصل ذلك الا بالتقليل وهو ان

يأكل

يأكل أكلته التي كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم واما اذا جمع ما كان
يأكل ضحوة الى ما كان يأكل ليلاً فلم ينتفع بصومه ولا يخفى عليه تجدد و
ليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت
ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب ومن
اخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب حتى يخلو همته عن غير الله تعالى
وذلك هو الامر كله ومبدأ ذلك تقليل الطعام فصل في مصباح الشريعة
قال الصادق عم قال رسول الله صلعم الصوم جنة اي ستر من آفات
الدنيا وحجاب من عذاب الآخرة فاذا صمت فانو بصومك كف النفس
عن الشهوات وقطع الهمة عن خطوات الشيطان فانزل نفسك منزلة
المرضى لا تشتهي طعاماً ولا شراباً متوقعاً في كل لحظة شفاءك من مرض
الذنوب وطهر باطنك من كل كدر وغفلة وظلمة تقطعك عن معنى
الاخلاص لوجه الله تعالى قال رسول الله صلعم قال الله عز وجل الصوم لي وانا
اجزي به فالصوم يميت مراد النفس وشهوة الطبع وفيه صفاء القلب و
طهارة الجوارح وعمارة الظاهر والباطن والشكر على النعم والاحسان
الى الفقراء وزيادة التضرع والخشوع والبكاء وحبل الالتجاء الى الله

وسبب انكسار الهمة وتخفيف الحساب وتضعيف الحسنات وفيه
من الفوائد ما لا يحصى وكفى بما ذكرناه منبهاً لمن عقل ووفق
لاستعماله

الباب السابع في الحج وزيارة المشاهد

قال الله تعالى ولله
على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني
عن العالمين وقال النبي صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا
وان شاء نصرانيا وقال الصادق من مات ولم يحج حجة الاسلام
لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به او مرض لا يطيق فيه الحج او سلطان
يمنعه فليمت يهوديا او نصرانيا والاخبار في فضل الحج والعمرة اكثر
من ان تحصى وهي مذكورة في مواضعها مع كيفية اعمالها واما
اسرارها فاعلم انه لا وصول الى الله تعالى الا بالتنزه عن الشهوات والكف عن
اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات
والسكنات ولاجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن
الخلق وانحازوا الى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب
الانس بالله فتركوا اللذات الحاضرة والزموا انفسهم المجاهدات
الشاقة طمعا في الآخرة واثنى الله عليهم في كتابه فقال ورهبانية ابتدعوها

ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله وقال ذلك بان منهم
قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل
الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله وفتروا عنها
بعث الله تعالى محمداً لاحياء طريق الآخرة وتجديد سنن المرسلين في
سلوكها فسئل اهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال
ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحج وسئل عن السائحين
فقال هم الصائمون فانعم الله على هذه الامة بان جعل الحج رهبانية
لهم فشرف البيت العتيق بالاضافة الى نفسه ونصبه مقصداً للعباد
وجعل ما حواليه حرماً لبيته وتفخيماً لامره وجعل عرفات كالميدان
على فناء حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على
مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل
اوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له
خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزهه عن ان يحويه
بيت او يكتنفه بلد ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم واتم في
اذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها اعمالا لا تأنس بها النفوس

ولا اهتدى الى معانيها العقول كرمي الجمار بالاحجار والتردد
كمال
بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الاعمال يظهر
اليه
الرق والعبودية فان الزكوة ارفاق ووجهه معلوم وللعقل
ميل والصوم كسر للشهوة التي هي عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف
الى
عن الشواغل والركوع والسجود في الصلوة تواضع لله تعالى
اما
بافعال هي هيئات التواضع وللنفوس انس بتعظيم الله فاما
ترددات السعي ورمي الجمار فلا حظ للنفس ولا انس للطبع فيها
الا
ولا اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون للاقدام عليها باعث
فقط
الا الامر المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث انه امر واجب الاتباع
فان
وفيه عزل العقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل انسه
ذلك
كل ما ادرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما فيكون ذ
والانقياد
الميل معينا للامر وباعثا معه فلا يكاد يظهر به كمال الرق و
ورقا
ولذلك قال النبي صلعم في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا
ة
ولم يقل ذلك في صلوة وغيرها واذا اقتضت حكمة الله ربط نجا
زمامها
الخلق بان تكون اعمالهم على خلاف هوى طباعهم وان يكون

بيد

بيد الشرع فيترددون في اعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى
ت
الاستعبادات كان ما لا يهتدى الى معانيه ابلغ انواع التعبد
الى
في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطبع والاخلاق
هذه
مقتضى الاسترقاق واذا تفطنت لهذا فهمت ان تعجب النفوس من
ظهر
الافعال العجيبة مصدره الذهول عن اسرار التعبدات وقد
تفوز
مما ذكرنا ان قاصد البيت قاصد الى الله وزائر له فبالحري ان
الى
بلقاء الله في معاده المضروب له والشوق الى لقاء الله يشوق
الرياء
اسباب اللقاء فيجعل عزمه خالصا لوجه الله بعيدا عن شوائب
ان
وبعده فصل ينبغي للحاج عند توجهه الى الحج وخروجه من بلده
عن
يرد المظالم ويتوب الى الله توبة خالصة ويقطع علائق قلبه
ويقدر
الالتفات الى ما وراءه ليكون متوجها الى الله بوجه قلبه و
الاخرة
انه لا يعود ويكتب وصيته لاهله واولاده ويتهيؤ لسفر
كما
فان ذلك من يده على قرب وان يتادب بآداب السفر كلها التي
طيب الكلام
هي مذكورة في موضعها ولا سيما توسيع الزاد وتطييبه و
الطعام
ولينه وخفض الجناح ما استطاع فبر الحج طيب الكلام واطعام

وليس للحج المبرور جزاء الا الجنة وعدم الاعتماد بالانفاق وبما
اصيب في المال فدرهم منه يعدل سبعمائة في سبيل الله وان يكون
قلبه مطمئنا منصرفا الى ذكر الله وتعظيم شعائره محضا عند كل حركة
وسكون متذكرا ابرارا اخرويا خصوصا بما يناسبه ويكون اشعث اغبر
عن زينته وعيشه ان قدر خصوصا بين المشاعر فما عبد الله بشيء
افضل من المشي لا لتقليل النفقة مع اليسار فان الركوب حينئذ افضل
كما ورد سيما لمن ضعف بالمشي وساء خلقه وقصر في العمل فيه تركبون
احب الي فان ذلك اقوى على الدعاء والعبادة وكان الحسن بن علي عليهما
السلام يمشي ولينساق معه المحامل والرحال واذا حضرت الراحلة فليكن
بقلبه على التحمل لما الذهاب يتحمل عند الاذى ويخفف عن المشقة فاذا
دخل البادية متوجها الى الميقات ومشاهدة تلك العقبات
فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت الى ميقات يوم القيمة
وما بينهما من الاهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع الطريق
هول سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه
وما فيه من الافاعي والحيات ومن انفراده من اهله واقاربه وحشة القبر و

وكذا

وكربته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في اعماله وازواده متزودا لمخاوف
القبر وليتذكر عند لبس ثوبي الاحرام لبس الكفن ولفه فيه فانه
سيلقى الله ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة فانه كما لا يلقى بيت الله
الا مخالفا عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله بعد الموت الا في زي
مخالف لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب اذ ليس فيه
مخيط كما لا مخيط في الكفن واما الاحرام والتلبية بالميقات فليعلم
انه اجابة نداء الله فليرج ان يكون مقبولا وليخش ان يقال له لا لبيك
ولا سعديك وليكن بين الرجاء والخوف مترددا وعن حوله وقوته
متبرئا وعلى فضله وكرمه متكلا فان وقت التلبية هو بداية الامر
وهو محل الخطر وقد ورد ان السجاد عليه السلام لما احرم واستوت به راحلته
اصفر لونه وانتفض ووقع عليه الرعدة ولم يستطع ان يلبي فقيل له
لم لا تلبي فقال اخشى ان يقول لي ربي لا لبيك ولا سعديك فلما
لبى غشي عليه وسقط عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه

فصل واذا دخل مكة فليتذكر عندها انه قد انتهى الى حرم امن وليرج
عنده ان يامن بدخوله من عقاب الله وليخش ان لا يكون اهلا للقرب

فيكون بدخول الحرم خائفا مستحقا للمقت ولكن رجاؤه في جميع
الاوقات غالبا فالكرم عميم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي
وذمام المستجير اللائذ غير مضيع فاذا وقع بصره على البيت فينبغي ان
يحضر عند عظمة البيت في قلبه ويقدر كانه مشاهد لرب البيت لشدة
تعظيمه وليرج ان يرزقه لقاءه كما رزقه لقاء البيت وليشكر الله
على تبليغه اياه هذه الرتبة والحاقه اياه بزمرة الوافدين اليه
واما الطواف فانه صلوة فليحضر قلبه فيه من التعظيم والخوف و
الرجاء والمحبة ما سبق في باب الصلوة وليعلم انه في الطواف متشبه
بالملئكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا يظنن ان
المطلوب طواف جسمه بالبيت بل المقصود طواف قلبه بذكر
رب البيت حتى لا يبتدئ الذكر الا به ولا يختم الا به كما يبتدئ الطائف
الطواف من البيت ويختم بالبيت وليعلم ان الطواف الشريف
هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم
الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهو في عالم الملكوت
كما ان البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد

بالبصر

بالبصر وهو في عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مدرجة
الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب والى هذه الموازنة وقعت
الاشارة بان البيت المعمور في السموات بازاء الكعبة وان طواف
الملئكة بها كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر الخلق عن
مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بان
من تشبه بقوم فهو منهم واما استلام الحجر فيعلم انه بمنزلة اليمين قال
رسول الله صلى الله عليه وآله استلموا الركن فانه يمين الله في خلقه يصافح بها خلقه
مصافحة العبد او الدخيل ويشهد لمن استلمه بالموافاة اراد بالركن
الحجر الاسود لانه موضوع في الركن وانما شبهه باليمين لانه واسطة
بين الله وبين عباده في النيل والوصول والتحبب والرضا كاليمين حين
التصافح والدخيل المتحبب قال الصادق عليه السلام ان الله تبارك وتعالى
لما اخذ مواثيق العباد امر الحجر فالتقمها فلذلك يقال امانتي اديتها
وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة وقال عليه السلام الركن اليماني
باب من ابواب الجنة لم يغلقه الله منذ فتحه وقال الركن اليماني بابنا
الذي ندخل منه الجنة وفيه نهر من الجنة تلقى فيه اعمال العباد فانما شبهه

بباب الجنة لان استلامه وسيلة الى دخولها وبالتوبة لانه تغسل
به الذنوب ولكن ينبغي عند الاستلام طلب القرب حبا وشوقا
للبيت ولرب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء للتحصن عن النار
في كل جزء لا في البيت ولكن ينبغي في التعلق باستار البيت الالحاح
في طلب المغفرة وسؤال الامان كالمذنب المتعلق بثياب من اذنب
اليه المتضرع اليه في عفوه عنه المظهر له انه لا ملجأ له منه الا اليه ولا مفزع
له الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل الامن في
المستقبل [illegible] واما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فهي تضاهي
تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد اخرى اظهارا
للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على
الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي الملك في حقه من قبول
او رد واما الوقوف بعرفات فليتذكر بما يرى من ازدحام الخلق
وارتفاع الاصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم في التردد
على المشاعر عرصات القيمة واجتماع الامم مع الانبياء والائمة واقتفاء
كل امة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين

الرد

الرد والقبول واذا تذكر ذلك فليلزم قلبه الضراعة والابتهال
الى الله ليحشر في زمرة الفائزين المرحومين فليحقق رجاءه بالاجابة
فالموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلق بواسطة
القلوب العزيزة من اوتاد الارض ولا ينفك الموقف عن طبقة من الصالحين
وارباب القلوب فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال
قلوبهم وارتفعت الى الله ايديهم وامتدت اليه اعناقهم وشخصت نحو السماء
ابصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فبعيد ان يخيب املهم ويضيع
سعيهم ولذلك قيل ان من اعظم الذنوب ان يحضر عرفات ويظن ان الله
لم يغفر له واما الوقوف بالمشعر فليستحضر انه اذا اقبل عليه مولاه بعد ان كان
مدبرا عنه طاردا له عن بابه فاذن له في الدخول حرم المشعر من جملة
الحرم وعرفات خارجة عنه فهذا اشرف على باب الرحمة وهبت عليه نسمات
الرأفة وكيف خلع القبول بالاذن في دخول حرم الملك واما رمي الجمار
فليقصد به الانقياد للامر اظهارا للرق والعبودية وانتهاضا لمجرد
الامتثال من غير حظ للعقل والنفس ثم ليقصد به التشبه بابراهيم
حيث عرض له ابليس في هذا الموضع ليدخل على حجه شبهة او فتنة فامره الله

ان يصير بالمجاهدة طردا له دفعا للاصل وليعلم انه في القرب من الحق
الى المجاهد وفي الحقيقة يرمي به الشيطان ويقصم به ظهره اذلالا له
ارغاما لانفه الا بامتثال امر الله تعظيما بمجرد الامر من غير حظ لعقل
فيه واما ذبح الهدي فليعلم انه تقرب الى الله بحكم الامتثال وليكمل
الهدي واجزاؤه ويرجو ان يعتق بكل جزء منها جزءا منه من النار كما ورد
الوعد به فصل وفي مصباح الشريعة قال الصادق اذا اردت الحج
فجرد قلبك لله تعالى من قبل عزمك من كل شاغل وحجاب
كل حاجب وفوض امورك كلها الى خالقك وتوكل عليه في جميع ما يظهر
من حركاتك وسكناتك وسلم لقضائه وحكمه وقدره وودع الدنيا
والراحة والخلق واخرج من حقوق تلزمك من جهة المخلوقين ولا
تعتمد على زادك وراحلتك واصحابك وقوتك وشبابك
ومالك مخافة ان يصيروا لك عدوا ووبالا فان من ادعى رضى الله
واعتمد على ما سواه صيره عليه وبالا وعدوا ليعلم انه ليس له قوة
ولا حيلة ولا لاحد الا بعصمة الله وتوفيقه فاستعد استعداد من
لا يرجو الرجوع واحسن الصحبة وراع اوقات فرائض الله وسنن نبيه

وما يجب عليك من الادب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة
والسخاوة وايثار الزاد على دوام الاوقات ثم اغتسل بماء التوبة
الخالصة ذنوبك والبس كسوة الصدق والصفا والخضوع والخشوع
واحرم من كل شيء يمنعك عن ذكر الله ويحجبك عن طاعته ولب
بمعنى اجابة صادقة صافية خالصة زاكية لله تعالى في دعوتك له
متمسكا بالعروة الوثقى وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك
مع المسلمين بنفسك حول البيت وهرول هرولة من هواك وتبرءا
من حولك وقوتك واخرج من غفلتك وزلاتك بخروجك الى
منى ولا تتمن ما لا يحل لك ولا تستحقه واعترف بالخطايا بعرفات
وجدد عهدك عند الله تعالى بوحدانيته وتقرب اليه واتقه
بمزدلفة واصعد بروحك الى الملاء الاعلى بصعودك على الجبل واذبح
حنجرة الهوى والطمع وارم الشهوات والخساسة والدناءة والذميمة
عند رمي الجمرات واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرك وادخل
في امان الله وكنفه وستره وكلاءته من متابعة مرادك بدخولك الحرم
ودر حول البيت متحققا لتعظيم صاحبه ومعرفة جلاله وسلطانه واستلم

الحجر رضاً بقسمته وخضوعاً لعزته ودع ما سواه بطواف الوداع

واصف رحمك وسل لتلقا اثر يوم تلقاه بوقوفك على الصفا

وكن بريا من الله تقربا او صافك عند المروة واستقم على شرط

حجتك هذه ووفاء عهدك الذي عاهدت به مع ربك داوم جهته

الى يوم القيمة واعلم بان الله تعالى لم يفرض الحج ولم يخصه من جميع الطاعات

بالاضافة الى نفسه بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع

اليه سبيلا ولا شرع نبيه سنة في خلال المناسك على ترتيب ما

شرعه الا للاستعداد والاشارة الى الموت والقبر والبعث والقيمة

وفضل بيان الشاهد من الدخول في الجنة اهلها ودخول النار

اهلها بمشاهد مناسك الحج من اولها الى اخرها لاولي الالباب

واولي النهى **فصل** واما زيارة المدينة فاذا وقع بصره على حيطانها

فليتذكر انها البلدة التي اختارها الله عز وجل لنبيه وجعل اليها هجرته

واتخذها داره التي شرع فيها فرائض ربه وسنته وجاهد عدوه واظهر بها

دينه الى ان توفاه الله ثم جعل تربته فيها ثم ليتمثل في نفسه اقدام رسول الله

عند تردده فيها وانه ما من موضع قدم الا وهو موضع قدمه العزيز

فلا يضع

فلا يضع قدمه عليه الا على سكينة ووجل وليتذكر مشيه وتخطيه

في سككها وليتصور خشوعه وسكينته في المشي وما استودع الله قلبه

من عظيم معرفته ورفعة ذكره حتى قرنه بذكر نفسه واحبط عمل من هتك

حرمته ولو برفع صوته فوق صوته فان ترك حرمته بعد وفاته حقيقة ولو في

من الدقائق فلا يامن ان يحال بينه وبينه بعد ولم محبته

ليعظم مع ذلك رجاءه ان لا يحول الله بينه وبينه بعد ان رزقه

الايمان واشخصه من وطنه لاجل زيارته محبة له وتشوقا الى ان

ينظر الى اثاره والى حائط قبره فاذا بلغ المسجد فليتذكر ان فيه بقعة

الله تعالى اول ما اقيمت في تلك العرصة فليعظم امله في الله ان يرحمه

اباه خاشعا معظما وما اجدر ذلك المكان بان يستدعي الخشوع من

قلب كل مؤمن واما زيارته فينبغي ان يقف بين يديه ويزوره

ميتا كما يزوره حيا ولا يقرب من قبره الا كما يقرب من شخصه الكريم لو كان

حيا وليعلم انه عالم بحضوره وقيامه وزيارته وانه يبلغه سلامه

وصلاته فليمثل صورته الكريمة في خياله موضوعا بازائه وليحضر عظيم

رتبته في قلبه فقد روي ان الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم

عليه من امته هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف من فارق الوطن
وقطع البوادي شوقا الى المشاهد واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم اذ فاته
مشاهدة عزته الكريمة قال الصادق ع اذا فرغت من الدعاء عند
قبر النبي ص فأت المنبر وامسح بيدك وخذ برمانتيه وهما السفلاوان
وامسح عينيك ووجهك به فانه يقال انه شفاء للعين وقم عنده
فاحمد الله واثن عليه وسل حاجتك فان رسول الله ص قال ما بين
منبري وبيتي روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة
والترعة هي الباب الصغير وسئل هي روضة اليوم قال نعم لو كشف
الغطاء لرأيتم فصل قال النبي ص من زار قبري بعد موتي كان كمن
هاجر الي في حياتي فان لم تستطيعوا فابعثوا الي بالسلام فانه يبلغني وقال
لعلي ع يا ابا الحسن ان الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعا من بقاع
الجنة وعرصة من عرصاتها وان الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة
من عباده تحن اليكم وتحتمل الاذى فيكم فيعمرون قبوركم ويكثرون
زيارتها تقربا منهم الى الله ومودة منهم لرسوله اولئك يا علي المخصوصون
بشفاعتي والواردون حوضي وهم زواري وجيراني غدا في الجنة يا علي

من عمر

من عمر قبورهم وتعاهدها فكانما اعان سليمان بن داود على بناء
بيت المقدس ومن زار قبورهم عدل ذلك سبعين حجة بعد حجة الاسلام
وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته امه فابشر يا
علي وبشر اوليائك ومحبيك من النعيم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ولكن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم
كما تعير الزانية بزناها اولئك شرار امتي لا انالهم شفاعتي ولا يردون
حوضي وقال الصادق ع لو ان احدكم حج دهره ثم لم يزر الحسين عليه السلام
لكان تاركا حقا من حقوق رسول الله ص لان حق الحسين فريضة من الله
واجبة على كل مسلم والاخبار في فضل زيارة الائمة المعصومين عليهم السلام
وثوابها ولا سيما زيارة ابي عبد الله وابي الحسن الرضا ع وتفضيلها
على الحج والعمرة والغزو اكثر من ان تحصى ولعل السر في تفضيل زيارتهم
على تلك العبادات ان في زيارتهم صلة رحم الرسول ص وسرور امير
المؤمنين وفاطمة ع وشيعتهم ومحبيهم بل سائر النبيين والوصيين صلوات
الله عليهم اجمعين وادخال السرور عليهم واجابة لهم وتجديد لعهد ولايتهم
واحياء لامرهم وتبكيتا لاعدائهم وفي ذلك كله رجاء لما عند الله الذي

ونخيب عنه رجاه وطلب رضاه سبحانه الذي يرضى لنا رضاه وهي
مع ذلك عبادة لله عز وجل ومبرة له عز وجل من جهة ادخال السرور
على رسوله وعلى ذريته واصحابه ومن جهة الاتيان بعبادة المأمور
بها ومبرة لهم من هذه الجهة وقد ثبت وتقرر جلالة قدر
المؤمن عند الله وثواب صلته وبره وادخال السرور عليه من جهة
كونه مؤمنا فخف بما ظنك بمن عصمه الله عن الخطا وطهره من الرجس وجعله
اماما للمؤمنين وقدوة للمتقين ولخلق السموات والارضين وجعله
صراطه وسبيله وعينه ودليله وبابه الذي يؤتى منه وجعله
المتصل بينه وبين عباده من رسله وانبيائه وحججه واوليائه مع هذا
ان مقابرهم مشاهدهم ومحال العلية المقدسة ومحال حضور اشباحهم
البرزخية النورية فانهم هناك يشهدون وهم احياء عند ربهم
يرزقون وبما اتيهم من فضله فرحون واما الحجة والعمرة والعزو
وغير ذلك فانها وان كان فيها انفاق اموال وركوب اهوال واتعاب
ابدان وهجران اوطان وتحمل مشاق وتجشم بعد الشقة وشهود مشاعر
وحضور مشاعر الا انها ليست تلك الثابتة في المؤمن لان هذه انما

هي

هي عبادة لله سبحانه واجابة لامره عز ذكره ومبرة له ولاوليائه
بالاتيان بالعبادة فحسب وليست فيها جميع تلك الامور التي تترتب
عليها هناك مع انها تتاتى من كل متبع للاسلام وان كان
ناصبيا بخلاف تلك فانها لا ياتي الا ممن كان يعرف قدرا
من قدرهم وحظا من منزلتهم ولو ناقصا قال الرضا عليه السلام ان لكل امام
عهدا في عنق اوليائه وشيعته وان من تمام الوفاء بالعهد وحسن
الاداء زيارة قبورهم فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقا بما
رغبوا فيه كان ائمتهم شفعاؤه يوم القيمة

الباب السادس في ثمرات الاعمال الصالحة وفيها خمسة ابواب

الباب الاول في التوبة

وهي ترجع القلب عن الذنب والرجوع من البعد الى القرب وبعبارة اخرى
ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك
ما سبق من التقصير وهي فرض على كل حال وعلى الفور ومن شرطها
ان تكون لله سبحانه لا لمال او جاه او خوف من سلطان او عقاب
وان يتندم اما الندم اعني تالم القلب وحزنه على الذنب الذي هو
روح التوبة فمن فقده فهو التوبة حقيقة وانما الفصل

من العلم والايمان وتحققهما في قلبه قال النبي صلى الله عليه وسلم الندم توبة
اذ لا يخلو الندم من علم اوجبه واثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه فيكون
الندم محفوفا بطرفيه اعني ثمرته ومثمره والطريق اليها ذكرناه
في فضلها فالعلم بقبح الذنوب وشدة العقوبة وضعف النفس عن
الاحتمال وشرف الاخرة وخساسة الدنيا وقرب الموت ولذة
المغفرة والمناجاة المستمرة مع الاصرار وخوف الاملاء لعدم الاخذ
الحالي والاستدراج بالاحسان وقلع اسباب الاصرار وهي العزم وحب الدنيا
وطول الامل قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم
تفلحون وقال يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم
ان يكفر عنكم سيئاتكم الاية ومعنى النصوح الخالص لله خاليا عن الشوائب
وقال عز وجل ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال
البادرة لله اشد فرحا بتوبة عبده من رجل اضل راحلته وزاده في
فلاة ظلماء فوجدها وقال الصادق في قوله تعالى وتوبوا الى الله
توبة نصوحا قال هو الذنب الذي لا يعود فيه ابدا قيل واي العمل

قال يا فلان ان الله يحب من عباده المفتن التواب يعني
كثير الذنب كثير التوبة وقال اذا تاب العبد توبة نصوحا احبه الله
فستر عليه قيل وكيف يستر عليه قال ينسي ملكيه ما كانا يكتبان
عليه ويوحي الله الى جوارحه والى بقاع الارض ان اكتمي عليه فيلقى الله
حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب **فصل** اعلم انه
مهما اشرق نور الايمان على القلب ثمر(؟) الندم على الذنب وتألم
به القلب حيث يبصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه
كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فسطع عليه النور بانقشاع
سحاب او انحسار حجاب فرأى محبوبه قد اشرف على الهلاك فيشتعل
نيران الحب في قلبه فتنبعث بتلك النيران ارادته للانتهاض للتدارك
فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال
والتلافي للماضي ثلاثة معان مرتبة يطلق اسم التوبة على مجموعها
وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على الندم وحده ويجعل العلم كالسابق
والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتأخر كما اشرنا اليه من نظر
اذ لا بنور البصيرة الى التوبة ما هي ثم الى الوجوب ما معناه فلا يشك في ثبوته

لما دلك بأن علم أن معنى الواجب ما هو واجب في الوصول
إلى سعادة الأبد والنجاة من هلاك الأمد وعلم أن لا سعادة في دار
البقاء إلا في لقاء الله وأن كل محجوب عنه يشقى لا محالة محول بينه وبين
ما يشتهيه محترق بنار الفراق ونار جهنم وعلم أنه لا مبعد عن لقاء الله
إلا اتباع الشهوات والأنس بهذا العالم الفاني والإكباب على حب
ما لا بد من فراقه قطعا وعلم أنه لا مقرب من لقاء الله إلا قطع علاقة
القلب عن زخرف هذا العالم والإقبال بالكلية على الله طلبا
للأنس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته
وعلم أن الذنوب التي هي إعراض عن الله واتباع لمحاب الشياطين أعداء الله
المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله وكل علم يراد ليكون
باعثا على عمل فلا يقع التقصي عن عهدته ما لم يصير باعثا فالعلم بضرر
الذنوب إنما أريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا
الجزء من الإيمان وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن
وما أراد به نفي الإيمان بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله
فإن ذلك لا ينافي الزنا والمعاصي وإنما أراد به نفي الإيمان بكون الزنا

مبعدا

مبعدا عن الله وموجبا للمقت وليس الإيمان بابا واحدا بل هو
كما ورد في بضع وسبعون بابا أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها
إماطة الأذى عن الطريق ومثاله قول القائل ليس الإنسان موجودا
القلب والروح وأدناها إماطة الأذى عن البشرة بأن يكون مقصوص
الشارب مقلوم الأظفار نقي البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهائم
المرسلة الملوثة بأرواثها المستكرهة الصور بطول مخالبها وأظفارها
فالإيمان كالإنسان وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان بالكلية
كفقد الروح والذي ليس له إلا شهادة التوحيد والرسالة هو كإنسان
مقطوع الأطراف مفقوء العينين فاقد لجميع أعضائه الظاهرة
والباطنة إلا أصل الروح وكما أن من هذا حاله قريب من أن يموت
فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلفت عنها الأعضاء التي تمدها
وتقويها فكذلك من ليس له إلا أصل الإيمان وهو مقصر في الأعمال
قريب من أن ينقلع عنه شجرة إيمانه إذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة
للإيمان في مقدمة قدوم ملك الموت ووروده فكل إيمان لم يثبت في
اليقين أصله ولم ينتشر في الأعمال فرعه لم يثبت على عواصف الأهوال عند

ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة الا ما شاء
الطاعات على توالي الايام والساعات حتى رسخ وثبت هذا الامر
يظهر عند الخاتمة وانما انقطعت نياط العارفين خوفا من دواهي
الموت ومقدماته الهائلة التي لا يثبت عليها الا الاقلون **فصل**

اعلم ان وجوب التوبة عام في الاشخاص والاحوال فلا ينفك عنه
احد البتة قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا فعمم الخطاب ونور البصيرة
ايضا يرشد اليه اذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله تعالى
المقرب الى الشيطان ولا يتصور ذلك الا من عاقل ولا يكمل غريزة
العقل الا بعد كمال الشهوة والغضب وسائر الصفات المذمومة التي
هي وسائل الشيطان الى اغواء الانسان اذ كمال العقل انما يكون عند
مقاربة الاربعين واصله انما يتم عند مراهقة البلوغ ومبادئه تظهر بعد
سبع سنين والشهوات جنود الشيطان والعقول جنود الملائكة فاذا
اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة اذ لا يثبت احدهما للآخر فانهما
ضدان فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة ومهما
غلب احدهما ازعج الآخر بالضرورة واذا كانت الشهوات تكمل في الصبى والشباب

قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع
للقلب به انس والف لا محالة لمقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه
ويعسر عليه النزوع عنه ثم يلوح العقل الذي هو حزب الله وجنده
ومنقذ اوليائه من ايدي اعدائه شيئا فشيئا على التدريج فان
لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان وانجز اللعين موعده
حيث قال لاحتنكن ذريته الا قليلا وان قوي العقل وكمل كان اول
شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد
الطبع على سبيل القهر والغلبة الى العبادات ولا معنى للتوبة الا هذا
وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان الى طريق
الله تعالى وليس في الوجود آدمي الا وشهوته سابقة على عقله وغريزته
التي هي عدة للشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة الملائكة فكان
الرجوع عما سبق اليه على مساعدة الشهوات ضروريا في حق كل انسان
واما بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال فهو ان كل بشر فلا
يخلو عن معصية بجوارحه فان خلا في بعض الاحوال عن معصية الجوارح
فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان خلا عن الهم فلا يخلو عن وسواس

الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله فان خلا عنه فلا
يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وصفاته وآثاره بحسب طاقته و
كل ذلك نقص وله اسباب وترك اسبابه بالتشاغل باضدادها رجوع عن طريق
الى ضده والمراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو في حق الآدمي عن هذا
النقص وانما يتفاوتون في المقادير فاما الاصل فلا بد منه ولهذا
ان الانبياء والاصفياء لم يكن ذنوبهم كذنوبنا وانما هي ترك دوام
الذكر والاشتغال في المباحات وحرمانهم زيادة الاجر بسبب ذلك قال النبي ع
ان رسول الله صلعم كان يتوب الى الله ويستغفره في كل يوم وليلة
مائة مرة من غير ذنب ان الله يخص اولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من
غير ذنب يعني من غير ذنب كذنوبنا فان ذنب كل احد انما هو بحسب
قدره وحظه عند الله ثم اعلم انه لا يكفي في تدارك الشهوات تركها في المستقبل
بل لا بد من محو آثارها التي انطبعت في القلب بنور الطاعات قال
النبي صلعم اتبع السيئة الحسنة تمحها وينبغي ان يكون الحسنة المناسبة
للسيئة مناسبة لتلك السيئة فيكفر سماع الملاهي بسماع القرآن وبحضور
مجالس الذكر ويكفر القعود في المسجد جنبا بالعبادة فيه وليس ذلك

شرطا فقد روي انه رجلا قال لرسول الله صلعم اني عالجت امرأة فاصبت
منها كل شيء الا المسيس فاقض علي بحكم الله فقال اما صليت معنا فقال
بلى فقال ان الحسنات يذهبن السيئات ولا بد ان يكون من قرب عهد بالخطيئة
بان يتندم عليها ويمحو اثرها قبل ان يتراكم الرين على القلب فلا يقبل
المحو قال الله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون
من قريب ومعناه عن قرب عهد بها قال وليست التوبة للذين
يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان قال
الصادق ع ذلك اذا عاين امر الآخرة وذلك لان التوبة مقبولة قبل
ان يعاين كما ورد عن رسول الله صلعم ومن ترك المبادرة الى التوبة
بالتسويف كان بين خطرين عظيمين احدهما ان يتراكم الظلمة على قلبه
من المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو والثاني ان يعاجله
المرض او الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد في
الخبر ان اكثر صياح اهل النار من التسويف فصل اعلم انك اذا فهمت
معنى القبول لم تشك في ان كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالناظرون بنور
البصائر المستمدون من انوار القرآن علموا ان كل قلب سليم مقبول عند الله

فيتنعم في الآخرة في جوار الله وعلموا ان القلب خلق سليما في الاصل
فكل مولود يولد على الفطرة وانما يفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه
من غبرة الذنوب وظلمتها وان نار الندم تحرق تلك الغبرة وان
نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام
المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل
كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون والماء الحار الا
ان يتراكم الذنوب حتى يصير طبعا ورينا وهذا مثل ان يغوص الوسخ
لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله فمثل هذا القلب لا يرجع ولا
يتوب وان قال باللسان تبت وهذا البيان كاف لقبول التوبة
المتضمنة وجلها قال الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده
قال غافر الذنب قابل التوب وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الحسنات يذهبن
السيئات كما يذهب الماء الوسخ وقال لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء
ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال الباقر لمحمد بن مسلم ذنوب المؤمن
اذا تاب منها مغفورة له فليعمل المؤمن لما يستانف بعد التوبة
والمغفرة اما والله انها ليست الا لاهل الايمان قال قلت فان عاد بعد

التوبة والاستغفار في الذنوب وعاد في التوبة فقال له يا محمد بن
مسلم اترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر الله منه ويتوب ثم
لا يقبل الله توبته قلت فانه فعل ذلك مرارا يذنب ثم يتوب ويستغفر فقال
كلما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة وان الله
غفور رحيم يقبل التوبة ويعفو عن السيئات فاياك ان تقنط المؤمنين
من رحمة الله وقال الصادق عليه السلام ان الرجل ليذنب الذنب فيدخله الله
به الجنة قيل يدخله الله بالذنب الجنة قال نعم انه ليذنب فلا يزال منه
خائفا ماقتا نفسه فيرحمه الله فيدخله الجنة **فصل** اعلم ان الذنوب
تنقسم الى ما بين العبد وبين الله والى ما يتعلق بحقوق العباد ولا
اما مغفور واما مرجو المغفرة قال امير المؤمنين الذنوب ثلثة
فذنب مغفور وذنب غير مغفور وذنب نرجو لصاحبه ونخاف
عليه قيل يا امير المؤمنين فبينها لنا قال نعم اما الذنب المغفور
فعبد عاقبه الله على ذنبه في الدنيا فالله تعالى احلم واكرم من ان يعاقب
عبده مرتين واما الذنب الذي لا يغفره الله فظلم العباد بعضهم لبعض
ان الله اذا برز للخليقة اقسم قسما على نفسه فقال وعزتي وجلالي لا يجوز

في ظلم ظالم ولو كفاً بكف ولو مسحة بكف ولو نطحة ما بين القرناء
الى الجماء فيقتص للعباد بعضهم من بعض حتى لا يبقى لاحد على احد مظلمة
ثم يبعثهم الله للحساب واما الذنب الثالث فذنب ستره الله على خلقه
ورزقه التوبة منه فاصبح خائفاً من ذنبه راجياً لربه فنحن له كما هو
لنفسه نرجو له الرحمة ونخاف عليه العقاب واعلم انه اراد بالتوبة
التوبة المشكوك في شروطها لما عرفت ان التوبة الجامعة للشرائط مقبولة
فاذا كانت مقبولة فالذنب لا محالة مغفورة ولعلمه تنقسم ثانية
الذنوب الى صغائر وكبائر قال الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال عز وجل والذين يجتنبون كبائر الاثم
والفواحش الا اللمم وقال النبي صلى الله عليه وآله الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة تكفر
ما بينهن ان اجتنب الكبائر وقد كثرت الاقوال في تعيين الكبائر
واختلفت الروايات فيها ففي الصحيحة في قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم قال الكبائر التي اوجب الله عليها النار
وعنه انه سئل عن الكبائر فقال هن في كتاب علي عليه السلام سبع
الكفر بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين واكل الربا بعد البينة

واكل مال اليتيم ظلماً والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة
قيل له فاكل درهم من مال اليتيم ظلماً اكبر ام ترك الصلاة قال ترك
الصلاة قيل فما عددت ترك الصلاة في الكبائر فقال اي شيء اول ما قلت
لك قال الكفر قال فان تارك الصلاة كافر يعني من غير علة وعن الكاظم
عليه السلام انه سئل عن الكبائر كم هي وما هي فكتب الكبائر من اجتنب ما وعد الله
عليه النار كفر عنه سيئاته اذا كان مؤمناً والسبع الموجبات قتل النفس
الحرام وعقوق الوالدين واكل الربا والتعرب بعد الهجرة وقذف المحصنة
واكل مال اليتيم والفرار من الزحف وعن الجواد عليه السلام قال سمعت ابي
يقول سمعت ابي موسى بن جعفر يقول دخل عمرو بن عبيد على ابي عبد الله
فلما سلم وجلس تلا هذه الآية الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش
ثم امسك فقال له ابو عبد الله ما اسكتك قال احب ان اعرف الكبائر
من كتاب الله فقال نعم يا عمرو اكبر الكبائر الاشراك بالله يقول الله
ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وبعده الياس من روح الله
لان الله يقول انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ثم الامن من
مكر الله لان الله يقول فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ومنها عقوق

الا الذين لان الله جعل لهن سبيلا وقتل النفس التي حرم الله
الا بالحق لان الله يقول فجزاؤه جهنم خالدا فيها الى اخر الاية وقذف
المحصنة لان الله تعالى يقول لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم
واكل مال اليتيم لان الله يقول انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون
سعيرا والفرار من الزحف لان الله يقول ومن يولهم يومئذ دبره الا
متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم
وبئس المصير واكل الربا لان الله يقول الذين ياكلون الربا لا يقومون
الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس والسحر لان الله يقول
ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق والزنا لان الله
يقول ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة
ويخلد فيه مهانا واليمين الغموس الفاجرة لان الله يقول الذين يشترون
بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة والغلول
لان الله يقول ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة ومنع الزكوة
المفروضة لان الله يقول فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
وشهادة الزور وكتمانها لان الله يقول ومن يكتمها فانه اثم قلبه وشرب

الخمر

الخمر لان الله نهى عنها كما نهى عن عبادة الاوثان وترك الصلوة
متعمدا او شيئا مما فرض الله لان رسول الله قال من ترك الصلوة
متعمدا فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله ونقض العهد وقطيعة
الرحم لان الله يقول لهم اللعنة ولهم سوء الدار قال فخرج عمرو وله
صراخ من بكائه وهو يقول هلك من قال برايه ونازعكم في الفضل
والعلم ان قيل كيف حد الشرع بما لم يبين حده قلنا ان كل ما لا
يتعلق به حكم في الدنيا جاز ان يتطرق اليه الابهام والكبيرة على الخصوص
لا حكم لها في الدنيا من حيث انها كبيرة فان موجبات الحدود معلومة
باساميها وانما حكم الكبيرة ان اجتنابها يكفر الصغاير وان الصلوات
الخمس لا يكفرها وهذا امر يتعلق بالاخرة والابهام اليق به حتى تكون الناس
على وجل وحذر فلا يجترؤن على الصغاير اعتمادا على الصلوات الخمس
واجتناب الكباير ثم اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها
مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امراة ومن مواقعتها فيكف نفسه عن
الوقاع ويقتصر على نظر ولمس فان مجاهدة نفسه في الكف عن الوقاع
اشد تاثيرا في تنوير قلبه من اقدامه على النظر في اظلامه فهذا معنى تكفيره

وان كان امثال هذا الجزاء خوفا ونحو ذلك فلا يصلح للتكفير وكذلك
من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو ابيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغاير
التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والاوتار فصل اعلم ان الصغيرة قد
تكبر باسباب منها الاصرار والمواظبة قال الصادق ع لا صغيرة مع الاصرار
ولا كبيرة مع الاستغفار ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على
توال فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة لم يؤثر
وقال الباقر ع في قوله تع ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون قال
الاصرار ان يذنب الذنب فلا يستغفر ولا يحدث نفسه بتوبة فذلك
الاصرار ومنها ان يستصغر الذنب فان العبد كلما استعظمه من نفسه
صغر عند الله وكلما استصغره كبر عند الله لان استعظامه يصدر من
نفور القلب عنه وكراهيته له وذلك النفور يمنع من شدة تأثره
به واستصغاره يصدر عن الالف به وذلك يوجب شدة الاثر في
القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات
ولذلك لا يؤاخذ بما يجري عليه في الغفلة قال الصادق ع
قال رسول الله ص اتقوا المحقرات من الذنوب فانها لا تغفر قيل وما

المحقرات

المحقرات قال الرجل يذنب الذنب فيقول طوبى لي لو لم يكن غير ذلك
وقال ع ان الله يحب العبد ان يطلب اليه في الجرم العظيم ويبغض العبد
ان يستخف بالجرم الصغير وقال الكاظم ع لا تستكثروا كثير الخير ولا
تستقلوا قليل الذنوب فان الذنوب يجتمع حتى يكون كثيرا وخافوا الله
في السر حتى تعطوا من انفسكم النصف ومنها السرور بالصغيرة والتبجح
بها واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة
فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم اثرها
في تسويد قلبه فان الذنوب مهلكات واذا دفع العبد اليها وظفر
الشيطان به في الحمل عليها فينبغي ان يكون في مصيبة وتأسف بسبب غلبة
العدو عليه وبسبب بعده من الله ومنها ان يتهاون بستر الله عليه و
حلمه عنه وامهاله اياه ولا يدري انه انما يمهل مقتا ليزداد بالامهال
اثما فيظن ان تمكنه من المعاصي عناية من الله به فيكون ذلك لامنه من مكر الله
وجهله بمكامن الغرور بالله كما قال الله تع ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا
الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها وبئس المصير ومنها ان يأتي بالذنب
ويظهره بان يذكره بعد اتيانه او يأتي به في مشهد غيره فان ذلك جناية

ستر على مرتكبها التجأ الله عليه وتحرك لرغبة الشر فمن استعمر ذنبه
اذا شهد فعله فيها حيا بانا فاتضحنا الى الحياة فتغلظت بر فان
الذي لذلك الترغيب للعزم فيه والحمل عليه وتهيئة الاسباب له صار جناية
ربعية وتفاحش الامر وهذا لان من صفات الله سبحانه انه
يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر فالاظهار كفران لهذه النعمة
قال الرضا عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله المستتر بالحسنة تعدل سبعين حسنة
والمذيع بالسيئة مخذول والمستتر بها مغفور له وقال الصادق عليه السلام
من جاءنا يلتمس الفقه والقرآن وتفسيره فدعوه ومن جاءنا يبدي عورة
قد سترها الله عليه فنحوه ومنها ان يكون المذنب عالما يقتدى به
فاذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الابريسم والذهب
واخذه مال الشبهة واطلاقه اللسان في الاعراض ونحو ذلك فهذه
ذنوب يتبع العالم عليها فيموت ويبقى شره مستطيرا في العالم فطوبى
لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه فعلى العالم وظيفتان احدهما ترك
الذنب والاخرى اخفاؤه وكما يتضاعف اوزاره فكذلك يتضاعف
ثوابه على الحسنات اذا اتبع فصل في الحديث النبوي ما من يوم طلع فجرها

ولا ليلة غاب شفقها الا وملكان يتجاوبان باربعة اصوات
يقول احدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الاخر يا ليتهم اذا
خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول الاخر يا ليتهم اذا لم يعلموا لماذا خلقوا
عملوا بما علموا فيقول الاخر ويا ليتهم اذا لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا
وقال امير المؤمنين عليه السلام لا تبدين عن واضحة وقد عملت الاعمال الفاضحة
ولا تأمن البيات وقد عملت السيئات وقال الباقر عليه السلام ان الله قضى قضاء
حتما لا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها اياه حتى يحدث العبد ذنبا يستحق
بذلك النقمة وقال عليه السلام ما من شيء افسد للقلب من خطيئة ان القلب
ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير اعلاه اسفله وقال عليه السلام
ان العبد ليذنب الذنب فيزوى عنه الرزق وقال الصادق عليه السلام اما
انه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض الا بذنب وذلك
قول الله عز وجل في كتابه وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا
عن كثير قال وما يعفو اكثر مما يؤاخذ به وقال ان الرجل يذنب الذنب
فيحرم صلاة الليل وان العمل السيء اسرع في صاحبه من السكين في
اللحم وقال عليه السلام يقول الله تعالى ان ادنى ما اصنع بالعبد اذا آثر شهوته على

طاعتي ان احرمه لذيذ مناجاتي وقالت من هم لسيئة فلا يعملها

فانه ربما عمل العبد السيئة فيراه الرب تبارك وتعالى فيقول وعزتي

لا اغفر لك بعد ذلك ابدا وقال الكاظم عليه السلام حق على الله ان لا يعصى

في دار الا اضحاها للشمس حتى تطهرها وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ان العبد

ليحبس على ذنب من ذنوبه مائة عام وانه لينظر الى ازواجه في الجنة يتنعمن

وعن امير المؤمنين عليه السلام انه قال لقائل بحضرته استغفر الله ثكلتك امك

اتدري ما الاستغفار ان الاستغفار درجة العليين وهو اسم

واقع على ستة معان اولها الندم على ما مضى والثاني العزم على ترك

العود عليه ابدا والثالث ان تؤدي الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى

الله املس ليس عليك تبعة والرابع ان تعمد الى كل فريضة عليك ضيعتها

تؤدي حقها والخامس ان تعمد الى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه

بالاحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد والسادس

ان تذيق الجسم الم الطاعة كما اذقته حلاوة المعصية فعند ذلك

تقول استغفر الله وقالت ترك الخطيئة ايسر من طلب التوبة وكم

من شهوة ساعة اورثت حزنا طويلا والموت فضح الدنيا فلم يترك

لذي

لذي لب فرحا نظم في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام

التوبة حبل الله ومدد عنايته ولا بد للعبد من مداومة التوبة

على كل حال فكل فرقة من العباد لهم توبة فتوبة الانبياء من اضطراب

السر وتوبة الاولياء من تلوين الخطرات وتوبة الاصفياء من التنفيس

وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله وتوبة العام من الذنوب ولكل

واحد منهم معرفة وعلم في اصل توبته ومنتهى امره وذلك يطول

شرحه ههنا فاما توبة العام فان يغسل باطنه من الذنوب بماء

الحسرة والاعتراف بجنايته دائما واعتقاد الندم على ما مضى والخوف

على ما بقي من عمره ولا يستصغر ذنوبه فيحمله ذلك الى الكسل ويديم

البكاء والاسف على ما فاته من طاعة الله ويحبس نفسه عن الشهوات

ويستغيث الى الله تعالى ليحفظه على وفاء توبته ويعصمه من العود الى ما سلف

ويروض نفسه في ميدان الجهاد والعبادة ويقضي الفوائت من الفرائض

ويرد المظالم ويعتزل قرناء السوء ويسهر ليله ويظمأ نهاره ويتفكر

دائما في عاقبته ويستعين بالله سائلا منه الاستقامة في سرائه وضرائه

ويثبت عند المحن والبلاء كيلا يسقط عن درجة التوابين فان في ذلك

طهارة من ذنوبهم وزيادة في عملهم ورغبة في رجائهم قال الله
عز وجل وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين **فصل**

في المراقبة والمحاسبة قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة
فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها و
كفى بنا حاسبين وقال عز وجل ووضع الكتاب فترى المجرمين
مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك
احدا وقال يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله
ونسوه والله على كل شيء شهيد وقال يومئذ يصدر الناس اشتاتا
ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره وقال يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من
سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وقال واعلموا ان الله يعلم
ما في انفسكم فاحذروه فعرف ارباب البصائر من جملة العباد
ان الله عز وجل لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون في الحساب ويطالبون
بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا انه لا ينجيهم من هذه

الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس
في الانفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه
قبل ان يحاسب خف في القيمة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن
منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات
القيمة وقفاته وقادته الى الخزي سيئاته وقال الصادق
اذا اراد احدكم ان لا يسئل ربه شيئا الا اعطاه فلييأس من الناس
كلهم ولا يكون له رجاء الا من عند الله فاذا علم الله ذلك من قلبه لم
يسئله شيئا الا اعطاه فحاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا فان
للقيامة خمسين موقفا كل موقف مقام الف سنة ثم تلا في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة فمخرج المحاسبة على الامر بالياس من الناس و
الرجاء من الله يدل على ان الانسان انما يرجو الناس من دون
الله في تمام امره وهو غافل عن ذلك وان تمام المحاسبات انما
ترجع الى ذلك وذكر الوقوف في مواقف القيمة بعد الامر بمحاسبة النفس
يدل على ان الوقفات هنالك انما يكون للمحاسبات فمن حاسب نفسه
في الدنيا يوما فيوما لم يحتج الى تلك الوقفات في ذلك اليوم قال الله تعالى

ولتنظر نفس ما قدمت لغد ودرجه ينبغي ان يكون للعاقل اربع
ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع
لو لم يكن للحساب مهولة الا حياء العرض على الله عز وجل وفضيحة هتك
الستر على المخفيات لحق للمرء ان لا يهبط من رؤس الجبال ولا يأوي
العمران ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام الا عن اضطرار متصل بالتلف
ومثل ذلك يفعل من يرى القيمة باهوالها وشدايدها قائمة
في كل نفس ويعاين بالقلب الوقوف بين يدي الجبار حينئذ يأخذ
نفسه بالمحاسبة كانه الى عرصاتها مدعو وفي غمراتها مسؤل قال
الله عز وجل وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين

فصل معنى المحاسبة ان يطالب نفسه بالفرايض التي هي بمنزلة راس المال
فان اداها على وجهها شكر الله عز وجل عليه ورغبها في مثلها وان
فوتها من اصلها طالبها بالقضاء فان اداها ناقصة كلفها الجبران
بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعتابها وتعذيبها ومعاقبتها
واستوفى منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه
وكما انه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة

والنقصان

والنقصان حتى لا يغبن في شيء منها فينبغي ان يتقي غائلة النفس
ومكرها فانها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها اولا بتصحيح الجواب
عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ما
سيتولاه غيره في صعيد القيمة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وافكاره
وقيامه وقعوده واكله وشربه ونومه حتى عن سكوته لم سكت وعن
سكونه لم سكن فاذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده ما ادى منه
ادى الحق عنه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي على نفسه فليثبته
عليها وليكتب على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه
على قلبه وعلى جريدته ثم النفس غريم يمكن ان يستوفى منه الديون
اما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينه وبعضها بالعقوبة
له على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي
من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة
والاستيفاء قال الكاظم ع ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم
فان عمل حسنة استزاد الله وان عمل سيئة استغفر الله منها وتاب
اليه وقال الباقر ع لا يغرنك الناس من نفسك فان الامر يصل اليك

ودينك ولا تقطع بها دنياك ويكفك ذلك فإن معك من يحفظ عليك
عملك فأحسن فإني لم أر شيئاً أحسن دركاً ولا أسرع طلباً من حسنة
محدثة لذنب قديم وقال الصادق ع أن رجلاً أتى النبي صلعم فقال يا رسول
الله أوصني فقال له رسول الله صلعم فهل أنت مستوص إن أنا أوصيتك حتى
قال له ذلك ثلاثاً وفي كلها يقول له الرجل نعم يا رسول الله فقال له رسول
الله صلعم فإني أوصيك إذا أنت هممت بأمر فتدبر عاقبته فإن يك رشداً
فامضه وإن يك غياً فانته عنه وهذه الوصية من محاسبة النفس
ثم رابعها نظر ينبغي للعبد أن يراقب نفسه عند الخوض في الأعمال
يلاحظها بالعين الكالئة فإنها إن تركت طغت وفسدت ثم يراقب
الله في كل حركة وسكون وذلك بأن يعلم بأن الله مطلع على الضمائر
عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وأن
سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل
هي أشد من ذلك قال الله تعالى ألم يعلم بأن الله يرى وقال إن الله
كان عليكم رقيباً وقال النبي صلعم الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه
فإن لم تكن تراه فإنه يراك وحكي أن زليخا لما خلت بيوسف قامت فـ

فغطت

فغطت وجه صنمها فقال يوسف ما لك أتستحيين من مراقبة
جماد ولا أستحيي من مراقبة الملك الجبار وفي الحديث القدسي
إنما يسكن جنات عدن الذين إذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني
والذين انحنت أصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي إني لأهم
بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتي
صرفت عنهم العذاب هذه المعرفة إذا صارت يقيناً يعني أنها
خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب تجرت القلب
وقهرته على مراعاة جانب الرقيب وصرفت الهمة إليه والموقنون
بهذه المعرفة مراقبتهم على درجتين إحداهما مراقبة المقربين وهي
التعظيم والإجلال وهي أن يصير القلب مستغرقاً بملاحظة ذلك الجلال
ومنكسراً تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلى الغير وهذا
هو الذي صار همه هماً واحداً وكفاه الله سائر الهموم والثانية
مراقبة الورعين من أصحاب اليمين وهم قوم غلب يقينهم اطلاع الله
على ظواهرهم وبواطنهم ولكن لم يدهشهم ملاحظة الجمال والجلال
بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت إلى الأحوال والأعمال

والمراقبة فيها ويغلب عليهم الحياء من الله فلا يفقد موت ولا
يخجون الاسبا الثبت ويمتنعون من كل ما يفتضحون به في القيمة
فانهم يرون الله مطلعا عليهم فلا يحتاجون الى انتظار القيمة فان
العبد لا يخ اما ان يكون في طاعة او معصية او مباح فمراقبته في الطاعة
بالاخلاص والاكمال ومراعاة الادب وحراستها عن الافات و
مراقبته في المعصية بالتوبة والندم والاقلاع والحياء والاشتغال
بالتفكر ومراقبته في المباح بمراعاة الادب بان يقعد مستقبل القبلة
وينام على اليد اليمنى مستقبلا القبلة وغير ذلك فكل ذلك داخل في المراقبة
وبشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها وبالصبر على البلاء فان كل
ذلك حدود لا بد من رعايتها بدوام المراقبة ومن يتعد حدود الله
فقد ظلم نفسه **الباب الثالث** في التفكر والتدبر قال الله تعالى ويتفكرون
في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال افلا يتدبرون
القران ام على قلوب اقفالها وقال النبي صلعم تفكر ساعة خير من عبادة
سنة وقال امير المؤمنين عليه السلام التفكر يدعو الى البر والعمل به وقال
نبه بالتفكر قلبك وجاف عن الليل جنبك واتق الله ربك وقال الصادق ع

الفكر

افضل العبادة ادمان التفكر في الله وفي قدرته ليس المراد بالتفكر
في الله التفكر في ذات الله سبحانه فانه ممنوع منه لانه يورث الحيرة
والدهش واضطراب العقل بل المراد منه النظر الى افعاله وعجائب
صنعه وبدايع امره في خلقه فانها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه
وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيته وقدرته واحاطته
بالاشياء ومعيته لها وهذا تفكر اولوا الالباب قال الله عز وجل
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي
الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون
في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا
عذاب النار وقال عز وجل ومن اياته في مواضع كثيرة وتلك الايات
هي مبادي التفكر في الله وفي قدرته لاولي العلم لانه سبحانه ففي
الحديث المشهور عن النبي صلعم انه قال تفكروا في الاء الله ولا تفكروا
في الله فانكم لن تقدروا قدره وقال الباقر ع اياكم والتفكر في الله
ولكن اذا اردتم ان تنظروا في عظمته فانظروا الى عظم خلقه وقال الصادق
من نظر في الله كيف هو هلك واما التفكر الذي يدعو الى البر والعمل

فهو اعم من هذا فانه يشمل التفكر في الحسنات والسيئات فان العبد
اذا تفكر في حسناته هل هي تامة او ناقصة موافقة للسنة او مخالفة
لها خالصة من الشرك والشك او مشوبة بهما يدعوه لا محالة
هذا التفكر الى اصلاحها وتدارك ما فيها من الخلل وكذا اذا تفكر
في سيئاته وما يترتب عليها من العقوبات والبعد من الله يدعوه
ذلك الى الانتهاء عنها وتدارك ما فات منها بالتوبة والندم واذا
تفكر في صفات الله وافعاله من لطفه بعباده واحسانه اليهم بسوابغ
النعماء وبسطه الآلاء والتكليف دون الطاقة والوعد لعمل قليل بثواب
جزيل وتسخيره له ما في السموات والارض وما بينهما الى غير ذلك يدعوه
ذلك لا محالة الى الشكر والحمد والرغبة في الطاعات وهذا تفكر المتوسطين
واليه الاشارة بقوله ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم انما
العبادة التفكر في امر الله وسئل الصادق عما يروي الناس ان تفكر
ساعة خير من قيام ليلة كيف يتفكر قال يمر بالخربة او بالدار فيقول اين
ساكنوك اين بانوك ما لك لا تتكلمين وهذا التفكر المفهوم من الحديث
النبوي دون الاولين في الفضل ولعل الحديث النبوي اعم منه دائما

فمن الصادقة على قدر رتبة المخاطب فان تفكر كل احد انما
يكون بحسب شعوره وتبصره وقد اوردنا مجاري التفكر ومقاصدها في
كتابنا الموسوم بعلم اليقين من اراد رجع اليها فصل في فضيلة
التفكر قال الصادق اعتبروا بما مضى من الدنيا هل بقي على احد
وهل احد فيها باق من الشريف والوضيع والغني والفقير والولي
والعدو وكذلك ما لم يأت منها بما مضى اشبه من الماء بالماء
قال رسول الله كفى بالموت واعظا وبالعقل دليلا وبالتقوى زادا
وبالعبادة شغلا وبالله مؤنسا وبالقرآن بيانا قال الصادق لم يبق من
الدنيا الا بلاء وفتنة وما نجا من نجا الا بصدق الالتجاء قال نوح
وجدت الدنيا كبيت له بابان دخلت من احدهما وخرجت من الآخر
هذا حال صفي الله فكيف حال من اطمأن فيها وركن اليها واضاع
عمره في عمارتها ومزق دينه في طلبها والفكرة مرآة الحسنات وكفارة
السيئات وضياء للقلوب وفسحة للخلق واصابة في صلاح المعاد
واطلاع على العواقب واستزادة في العلم وهي خصلة لا يعبد الله
بمثلها وقال رسول الله فكرة ساعة خير من عبادة سنة ولا ينال منزلة التفكر

الا من قد خصه الله بنور التوحيد والمعرفة **فصل** قال الله تعالى

ابن آدم لو اكل قلبك طائر لم يشبعه وبصرك لو وضع عليه خرق

ابرة لغطاه تريد ان تعرف بهما ملكوت السموات والارض ان كنت

صادقا فهذه الشمس خلق من خلق الله فان قدرت ان تملأ عينيك

منها فهو كما تقول والمراد بالقلب اللحم الصنوبري المعروف ولهذا جعله

مأكولا وظاهر انه لا يصح ان يعرف به ملكوت السموات والارض كما

لا يصح ان يعرف بالبصر لانهما من عالم الملك فكيف يعرف بهما الملكوت

فالخطاب خاص بمن لا يتجاوز درجة الحس والمحسوس من افراد

بني آدم المشار اليهم بقوله سبحانه لهم قلوب لا يفقهون بها واما من

جاوزها منهم وبلغ الى درجة العقل والمعقول وهم اصحاب القلوب

الملكوتية المشار اليهم بقوله عز وجل ان في ذلك لذكرى لمن كان له

قلب فلهم ان يعرفوا بقلوبهم ملكوت السموات والارض لان قلوبهم من

الملكوت ولهذا حث سبحانه على النظر في الملكوت في غير موضع من كتابه

قال سبحانه اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من

شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون

وقال الله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون

من الموقنين الى غير ذلك من الآيات بلى ان ذاته تعالى لا يجوز ان يكتسبه

بالقلب كما لا يجوز ان يدرك بالبصر بل انما يجوز ان يطلع على القلب

شيء من عظمته بحسبه **الباب الرابع** في ذكر الموت وقصر الامل قال الله

تعالى كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة فمن

زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا

متاع الغرور وقال النبي ص اكثروا ذكر هادم اللذات قيل وما هو

يا رسول الله قال الموت فما ذكره عبد على الحقيقة في سعة الا ضاقت

عليه الدنيا ولا في شدة الا اتسعت عليه وقال الموت كفارة لكل

مسلم وقال تحفة المؤمن الموت وقال ع الموت الموت الا ولا بد من الموت

جاء الموت بما فيه جاء بالروح والراحة والكرة المباركة الى جنة عالية

لاهل دار الخلود الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم وقال اذا استحقت

ولاية الله والسعادة جاء الاجل بين العينين وذهب الامل وراء

الظهر وسئل امير المؤمنين اكيس فقال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم له

استعدادا وقال امير المؤمنين ع ما انزل الموت حق منزلته من عد غدا

من اجله وقال ما اطال عبد الامل الا اساء العمل وكان يقول لو
رأى العبد اجله وسرعته اليه لابغض العمل من طلب الدنيا وقيل
للباقر ع احدثني ما انتفع به قال اكثر ذكر الموت فانه لم يكثر ذكره انسان
الا زهد في الدنيا وقال الصادق ع اذا انت حملت جنازة فكن
كانك انت المحمول وكانك سألت ربك الرجوع الى الدنيا ففعل فانظر
ماذا تستأنف ثم قال عجبا لقوم حبس اولهم عن اخرهم ثم نودي فيهم
بالرحيل وهم يلعبون وقال ما خلق الله يقينا لا شك فيه اشبه بشك
لا يقين فيه من الموت وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع ذكر
الموت يميت الشهوات في النفس ويقلع منابت الغفلة ويقوي
القلب بمواعد الله ويرق الطبع ويكسر اعلام الهوى ويطفي نار
الحرص ويحقر الدنيا وهو معنى ما قال النبي ص فكر ساعة خير من
عبادة سنة وذلك عند ما يحل اطناب خيام الدنيا ويشدها
في الاخرة ولا يشك بنزول الرحمة على ذاكر الموت بهذه الصفة ومن لا
يعتبر بالموت وقلة حيلته وكثرة عجزه وطول مقامه في القبر وتحيره في
القيامة فلا خير فيه قال النبي ص اكثروا ذكر هادم اللذات ثم ذكر

تمام

تمام الحديث كما مر قال ع الموت اول منزل من منازل الاخرة واخر
منزل من منازل الدنيا فطوبى لمن اكرم عند النزول باولها وطوبى لمن
احسن مشايعته في اخرها والموت اقرب الاشياء من بني ادم وهو يعده ابعد
فما اجرى الانسان على نفسه وما اضعفه من خلق وفي الموت نجاة المخلصين
وهلاك المجرمين ولذلك اشتاق من اشتاق وكره من كره قال النبي
من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ثم
فصل اعلم ان الناس اما منهمك في الدنيا مكب على غرورها محب لشهواتها
واما تائب مبتدي او عارف منتهي اما المنهمك فلا يذكر الموت وان
ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويشتغل بمذمته وبغضه وهؤلاء اولئك الذين
قال الله تعالى فيهم قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون
الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وهذا يزيده ذكر الموت
من الله بعدا الا انه ليستفيد بذكر الموت التجافي من الدنيا وتنغص عليه
نعيمه ويتكدر عليه صفو لذته واما التائب فانه يكثر ذكر الموت
لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت
خيفة من ان تختطفه قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد وهو معذور

في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله من كره لقاء الله كره الله لقائه
لأن هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وانما يخاف فوت لقاء الله لقصوره
وتقصيره وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلاً بالاستعداد
للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارهاً للقاء وعلامة هذا أن يكون
دائم الاستعداد له لا شغل له سواه والا التحق بالمنهمك في الدنيا
واما العارف فانه يذكر الموت دائماً لانه موعد للقاء الحبيب والمحب
لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا في غالب الامر يستبطئ مجيء الموت
ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين
واعلى رتبة منهما من يفوض امره الى الله فصار لا يختار لنفسه موتاً
ولا حياة بل يكون احب الاشياء اليه احبها الى مولاه فهذا قد انتهى بفرط
الحب والولاء الى درجة التسليم والرضا فصل اعلم ان الموت هائل وخطره
عظيم وغفلة الناس لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره
بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا فلا ينجع ذكر الموت
في قلبه فالطريق فيه ان يفرغ العبد قلبه عن كل شيء الا عن ذكر الموت
الذي بين يديه كالذي يريد ان يسافر الى مفازة مخطرة او يركب

البحر

البحر فانه لا يتفكر الا فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك ان يؤثر
فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه وانجع طريق
فيه ان يكثر ذكر اقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت
التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم واحوالهم وكيف تبددت
اجزاؤهم في قبورهم وكيف ارملوا نساءهم وايتموا اولادهم وضيعوا
اموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت آثارهم واد
بادهم فمهما تذكر رجلاً رجلاً وفصل في قلبه حاله وكيفية موته
وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وتأمله في العيش والبقاء
ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الاسباب وركونه الى القوة والشباب
وميله الى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع
والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد والآن قد تهدمت رجلاه
ومفاصله وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه وكيف كان يضحك
وقد اكل التراب اسنانه وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى
عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت الا شهر وهو غافل عما يراد
به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة ملك الموت

وقرع سمعه النداء اما بالجنة او بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه انه
مثلهم وغفلته كغفلتهم وان السعيد من وعظ بغيره فلازمه هذه الافكار
واما الناصح دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت
في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير الموت نصب عينيه فعند ذلك يوشك
ان يستعد له ويتجافى عن دار الغرور والا فالذكر بظاهر القلب
وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه ومهما طاب
قلبه بشيء من الدنيا ينبغي ان يتذكر في الحال انه لا بد من مفارقته

فصل واما قصر الامل فقد قال النبي صلعم اذا اصبحت فلا تحدث نفسك
بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من دنياك
لاخرتك ومن حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك لا تدري
ما اسمك غدا وقال ان اشد ما اخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى
وطول الامل فاما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق واما طول الامل
فانه حب الدنيا ثم قال ان الله يعطي الدنيا من يحب ويبغض واذا احب الله
عبدا اعطاه الايمان الا ان للدين ابناء وللدنيا ابناء فكونوا من
ابناء الدين ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية

الا ان الاخرة قد اتت مقبلة الا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب
الا وانكم يوشك ان تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل وروي انه
قد اطلع ذات عشية الى الناس فقال ايها الناس اما تستحيون
من الله عز وجل قالوا وما ذاك يا رسول الله فقال تجمعون ما لا
تاكلون وتاملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون وروي
ان اسامة بن زيد اشترى من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى
شهر فقال النبي صلعم الا تعجبون من اسامة المشتري الى شهر ان اسامة
لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي الا ظننت ان شفري
لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت اني واضعه حتى
اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت اني لا اسيغها حتى اغص بها من الموت ثم
قال يا بني ادم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده
ان ما توعدون لات وما انتم بمعجزين **فصل** اعلم ان طول الامل له سببان
احدهما الجهل والاخر حب الدنيا اما حب الدنيا فانه اذا انس بها وبشهواتها
ولذاتها وعلائقها ثقلت على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه عن الفكر
في الموت الذي هو سبب مفارقتها وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه والانسان

مشغوف بالاماني الباطلة فيمني نفسه ابداً ما يوافق مراده وانما
يوافق مراده البقا في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه ويقدر
توابع البقاء وما يحتاج اليه من مال واهل ودار واصدقاء ودواب
وساير اسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه
فيلهو عن ذكر الموت فلا يقدر قربه فان خطر له في بعض الاحوال امر
الموت والحاجة الى الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال الايام
بين يديك فالى ان تكبر ثم تتوب واذا كبر فيقول الى ان تصير شيخا
واذا صار شيخا قال الى ان تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه
الضيعة او ترجع من هذه السفرة او تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه
وتدبير مسكن له او تفرغ من قهر هذا العدو الذي يشمت بك ولا
يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض في شغل الا ويتعلق باتمام ذلك الشغل
عشرة اشغال اخر وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم ويفضي به شغل
الى شغل بل الى اشغال الى ان تختطفه المنية في وقت لا يحتسبها فتطول
عند ذلك حسرته واكثر اهل النار صياحهم من سوف يقولون واحزناه
من سوف والمسوف المسكين لا يدري ان الذي يدعوه الى التسويف

اليوم

اليوم هو معه غداً وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا ويظن
انه يتصور ان يكون للخائض في الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات
ما فرغ منها الا من طرحها فما قضى احد منها لبانته وما انتهى ارب
الا الى ارب واصل هذه الاماني كلها حب الدنيا والانس بها
والغفلة عن قوله احبب ما احببت فانك مفارقه واما الجهل فهو ان
الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب و
ليس يتفكر المسكين في ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا اقل من عشر
اهل البلد وانما قلوا لان الموت في الشبان اكثر والى ان يموت شيخ
يموت الف صبي وشاب وقد يستبعد الموت لصحته وليستبعد الموت
فجاة ولا يدري ان ذلك غير بعيد وان كان بعيدا فالمرض فجاة
غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجاة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو
تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص من شباب
وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وليل ونهار لعظم استشعاره
بالاستعداد له واشتغاله ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعواه
الى طول الامل والى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو ابدا يظن الموت

يكون بين يديه ولا يقدر بزوله ووقوعه فيه وليشيع الجنايز ولا
يقدر ان يشيع جنازته لان هذا قد يكون عليه والقبر وهو شاهد
موت غيره فاما موت نفسه فلم يالفه ولا يتصور ان يالفه فانه لم
يقع فاذا وقع لا يقع دفعة اخرى بعده هو الاول وهو الاخر واذا عرفت
ان سبب طول الامل الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه اما الجهل
فيدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من
القلوب الطاهرة واما حب الدنيا فالعلاج في اخراجه من القلب شديد
وهو الداء العضال الذي اعيى الاولين والاخرين علاجه ولا علاج
له الا الايمان باليوم الاخر وما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب
ومهما حصل اليقين بذلك ارتحل من قلبه حب الدنيا فان حب الخطير
هو الذي يمحو من القلب حب الحقير فاذا راى حقارة الدنيا ونفاسة الاخرة
استنكف ان يلتفت الى الدنيا كلها فكيف وليس لكل عبد من الدنيا
الا قدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح بها ويترسخ في القلب حبها مع
الايمان بالاخرة فنسأل الله تعالى ان يرينا الدنيا كما اراها الصالحين
من عباده. **الباب الثامن** في الاخاء والالفة قال الله تعالى في معرض الامتنان

لو انفقت

لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف
بينهم وقال عز وجل فاصبحتم بنعمته اخوانا يعني بالالفة ثم ذم التفرقة
وزجر عنها فقال واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وقال ولا تكونوا
كالذين تفرقوا واختلفوا وقال النبي ع ان اقربكم مني مجلسا يوم القيمة احاسنكم
اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وقال النبي
المؤمن الف مألوف ولا خير فيمن لا يالف ولا يؤلف وقال في الثناء على
في الذين من اراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه
وقال من اخى اخا في الله رفع الله له درجة في الجنة لا ينالها بشيء من
عمله وقال ان الله تعالى يقول حقت محبتي للذين يتزاورون من اجلي
وحقت محبتي للذين يتناصرون من اجلي وحقت محبتي للذين يتحابون
من اجلي وحقت محبتي للذين يتباذلون من اجلي وقال لا تباغضوا
ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم ان
يهجر اخاه فوق ثلث وقال المؤمنون هينون لينون كالجمل الانف ان
قيد انقاد وان انيخ على صخرة استناخ وقال امير المؤمنين عليه السلم
اعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر به

وقال النبي ص اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله والتولي
لاولياء الله والتبري عن اعداء الله وقال السجاد ع اذا جمع الله الاولين
والاخرين قام مناد فنادى ليسمع الناس فيقول اين المتحابون في
الله قال فيقوم عنق من الناس فيقال لهم اذهبوا الى الجنة بغير حساب
قال فتلقيهم الملئكة فيقولون الى اين فيقولون الى الجنة بغير حساب قال
فيقولون فاي حزب انتم من الناس فيقولون نحن المتحابون في الله قال
فيقولون واي شيء كانت اعمالكم قالوا كنا نحب في الله ونبغض في الله
قال فيقولون نعم اجر العاملين وقال الباقر ع اذا اردت ان تعلم ان
فيك خيرا فانظر الى قلبك فان كان يحب اهل طاعة الله ويبغض اهل
معصيته ففيك خير والله يحبك وان لم تكن كذلك ففيك شر والله يبغضك والمرء
مع من احب قال الصادق ع ما التقى مؤمنان قط الا كان افضلهما اشدهما
حبا لاخيه قال كل من لم يحب في الدين ولم يبغض على الدين فلا دين له

فصل اعلم ان الحب في الله والبغض في الله غامض وانما ينكشف الغطاء
عنه بان يعلم ان الصحبة تنقسم الى ما يقع بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار
وبسبب الاجتماع في مدرسة او سوق او سفر او على باب السلطان

او غير ذلك والى ما ينشأ اختيارا ويقصد وهو الذي يجب على
الاخوة في الدين اذ لا ثواب الا على الافعال الاختيارية ولا ترغيب الا
فيها والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الامور
لا يقصدها الانسان غيره الا اذا احبه فان غير المحبوب يجتنب ويباعد عنه
ولا يقصد مخالطته والذي يحب فاما ان يحب لذاته لا ليتوصل به الى
محبوب ومقصود وراءه واما ان يحب ليتوصل به الى المقصود وذلك
المقصود اما ان يكون مقصورا على الدنيا وحظوظها واما ان يكون
متعلقا بالاخرة واما ان يكون متعلقا بالله تعالى فهذه اربعة اقسام
اما القسم الاول فهو حب الانسان لذاته وذلك ممكن وهو ان
يكون هو في ذاته محبوبا عندك على معنى انك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة
اخلاقه لاستحسانك له فان كل جميل لذيذ في حق من ادرك جماله
وكل لذيذ محبوب واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان يتبع المناسبة
والملائمة والموافقة بين الطباع ثم ذلك المستحسن اما ان يكون
الصورة الظاهرة اعني الخلقة واما ان يكون الصورة الباطنة اعني
كمال العقل وحسن الخلق ويتبع حسن الاخلاق حسن الافعال لا محالة

ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم
والعقل المستقيم وكل مستحسن مستلذ به ومحبوب بل في ائتلاف القلوب
امر اغمض من هذا فانه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة حة
في صورة وحسن في خلق وخلق ولكن لمناسبة باطنة توجب الالفة
والموافقة فان شبه الشيء ينجذب اليه بالطبع والاشباه الباطنة خفية
ولها اسباب دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها وعنه عبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقوله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها
ائتلف وما تناكر منها اختلف فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف
نتيجة التناسب الذي عبر عنه بالتعارف ويدخل في هذا القسم
المحبة للجمال اذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة فان الصورة الجميلة مستلذة
في عينها وان قدر فقد اصل الشهوة حتى يلتذ بالنظر الى الفواكه و
الانوار والازهار والتفاح المشوب بالحمرة والى الماء والخضرة من
غير غرض سوى عينها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله بل هو الحب بالطبع
وشهوة النفس ويتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله الا انه ان اتصل به غرض
مذموم صار مذموما والا فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم القسم الثالث

انه يحبه

انه يحبه لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة الى المحبوب غيره و
الوسيلة الى المحبوب محبوب ولذلك يحب الناس الذهب والفضة
من حيث انهما وسيلة الى المقاصد كما يحب الرجل سلطانا للانتفاع
به ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم امره في قلبه فالمتوسل
اليه ان كان مقصود الفائدة دنيوية لم يكن من جملة الحب في الله ثم
ينقسم ذلك الى مذموم ومباح القسم الثالث ان يحبه لا لذاته بل
لغيره وذلك الغير راجع الى الحظوظ في الدنيا بل يرجع الى الحظوظ في
الاخرة وهذا ايضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب استاذه وشيخه
لانه يتوسل به الى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل
الفوز في الاخرة فهذا من جملة المحبين لله وكذلك من يحب تلميذه لانه
يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويترقى به الى درجة التعظيم
في ملكوت السماء قال عيسى من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت
السماء ولا يتم التعليم الا بمتعلم فهو اذن آلة في تحصيل هذا الكمال فان
احب لانه آلة له اذ جعل صدره مزرعة لحرثه فهو محب لله بل نقول
من يجمع الضيفان ويهيئ لهم الاطعمة اللذيذة تقربا الى الله فاحب طباخا

بحسن صنعته في الطبخ فهو من جملة المحبين في الله وكذا الواجب من
يتولى له ايصال الصدقة الى المستحقين فقد احبه في الله بل نزيد على هذا
فنقول من احب لمن يخدمه بنفسه في غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه
ويفرغه بذلك للعلم والعمل ومقصوده من استخدامه في هذه الاعمال
الفراغ للعبادة فهو محب لله القسم الرابع ان يحبه لله وفي الله لا لينال
منه علماً او عملاً او يتوسل به الى امر وراءه وهذا اعلى الدرجات
وهو ادقها واغمضها وهذا القسم ايضاً ممكن فان من اثار غلبة الحب
ان يتعدى من المحبوب الى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولو من
بعد فمن احب انساناً حباً شديداً احب محب ذلك الانسان واحب
محبوبه واحب من يخدمه واحب من يثني عليه محبوبه واحب
من يتسارع الى رضا محبوبه قال المجنون: امر على الديار ديار ليلى
اقبل ذا الجدار وذا الجدارا * وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب
من سكن الديارا * فاذن المشاهدة والتجربة تدل على ان الحب يتعدى
من ذات المحبوب الى ما يتعلق به ولو من بعد ولكن ذلك خاصية فرط
المحبة فاصل المحبة لا يكفي فيه وتحقيق تمام الكلام فيه في باب المحبة

اعلم ان من يحب في الله لا بد ان يبغض في الله فانك ان احببت
انساناً لانه مطيع لله ومحبوب عند الله فان عصاه لا بد ان تبغضه لانه
عاص فيه وممقوت عند الله فهما متلازمان وكل واحد منهما ينبغي
في القلب وتاثيره يظهر في افعال المحبين والمبغضين في المقاربة
والمباعدة وفي الموافقة والمخالفة فاذا ظهر في الفعل سمي موالاة ومعاداة
ورد ان الله اوحى الى نبي من الانبياء عليهم السلام اما زهدك في
الدنيا فقد تعجلت الراحة واما انقطاعك الي فقد تعززت بي لكن
هل عاديت في عدواً او واليت في ولياً وقال عيسى عليه السلام تحببوا الى
الله ببغض اهل المعاصي وتقربوا الى الله بالتباعد عنهم والتمسوا رضاه
بسخطهم قالوا يا روح الله من نجالس قال جالسوا من يذكركم الله
رؤيته ومن يزيد في علمكم كلامه ومن يرغبكم في الاخرة عمله

فصل

قال الباقر عليه السلام قام رجل بالبصرة الى امير المؤمنين عليه السلام فقال يا امير المؤمنين
اخبرنا عن الاخوان فقال الاخوان صنفان اخوان الثقة واخوان المكاشرة
فاما اخوان الثقة فهم الكهف والجناح والاهل والمال فاذا كنت
من اخيك على حد الثقة فابذل له مالك وبدنك وصاف من صافاه

وعاد من عاداه واكتم سره وعيبه واظهر منه الحسن واعلم ايها
السائل انهم اقل من الكبريت الاحمر واما اخوان المكاشرة فانك تصيب
لذتك منهم فلا تقطعن ذلك منهم ولا تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم
وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان والكشر
التبسم كاشره كشف له عن انيابه وقال الصادق ع قال امير المؤمنين
عليه السلام لا عليك ان تصحب العاقل وان لم تحمد كرمه ولكن انتفع
بعقله واحترس من سيء اخلاقه ولا تدعن صحبة الكريم فان لم تنتفع
بعقله ولكن تنتفع بكرمه بعقلك وافرر كل الفرار من اللئيم الاحمق
وقال الصادق ع عليك بالتلاد واياك وكل محدث لا عهد له
ولا امان ولا ذمة ولا ميثاق وكن على حذر من اوثق الناس في نفسك
فان الناس اعداء النعم وقال ع لا تكون الصداقة الا بحدودها
فمن كانت فيه هذه الحدود او شيء منها فانسبه الى الصداقة ومن لم يكن فيه
شيء منها فلا تنسبه الى شيء من الصداقة فاولها ان تكون سريرته وعلانيته
لك واحدة والثانية ان يرى زينك زينه وشينك شينه والثالثة
ان لا تغيره عليك ولاية ولا مال والرابعة ان لا يمنعك شيئا مما لم

معدومة والخامسة وهي تجمع هذه الخصال ان لا يسلمك عند النكبات
وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع قل ثلاثة اشياء في كل
زمان الاخاء في الله والزوجة الصالحة الاليفة في دين الله
والولد الرشيد ومن اصاب احد الثلاثة فقد اصاب خير الدارين
والحظ الاوفر في الدنيا واحذر ان تواخي من ارادك لطمع او
خوف او فشل او اكل او شرب واطلب مواخاة الاتقياء ولو في
ظلمات الارض ولو افنيت عمرك في طلبهم فان الله عز وجل لم يخلق
على وجه الارض افضل منهم بعد النبيين وما انعم الله على العبد بمثل
ما انعم به من التوفيق بصحبتهم قال الله عز وجل الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين واظن ان من طلب في زماننا هذا صديقا
لا عيب فيه بقي بلا صديق الا ترى ان اول كرامة اكرم الله بها انبيائه
عند اظهار دعوتهم بصديق امين او ولي وكذلك من اجل ما
اكرم الله به اصدقائه واوليائه وامنائه صحبة انبيائه وهو دليل على
ان ما في الدارين نعمة اجل واطيب وازكى من الصحبة في الله والمواخاة
لوجهه خاتمة الكتاب اعلم ان ما اوردناه في هذا الكتاب وحققناه

في هذه المقالات والابواب من الاسرار الدينية والمعارف اليقينية
وما اشرنا اليه من رموز العقايد وما بسطنا الكلام فيه من
بيان الاخلاق المحمودة والمذمومة ومن اسرار الاعمال الحسنة والسيئة
قلما يوجد في غيره من الكتب بهذا التنقيح والتهذيب وهذا
التوضيح والترتيب مع ابتنائه ما اخذ جلها على الاصول الاصلية التي
لا اصفاء الا عليها ولا وثوق الا بها من الكتاب والسنة والاحاديث
اهل بيت النبوة دون اراء الناس من امثال الوسواس الخناس الذي
يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ولقد وفقني الله
تعالى لجمعها وتاليفها في مدة اشهر قلائل من سنة اربعين والف
الهجرية حين كنت على الرحيل وكان قد مضى من عمري ثلث وثمانون
وبقي قليل وكان قد اكتنفني اسباب اختلال الاحوال وتشتت البال
من امراض وعلل حيثما بين غيرها خوف الزوال وانما وفقني الله لذلك لسبب
ما انعم الله به علي من العقايد الحقة وبما تفضل الله به علي من موالاة
اوليائه ومعاداة اعدائه بعد ان عرفني الله اوليائه واعدائه
بوحي منه سبحانه الى رسوله وتبليغ رسوله الى عباده وتعليم ائمته

وارشاده

وارشاده واما فايدة هذا الجمع والتاليف وجدواه فهي ان يطلع
عليه من كان من اهله ورزق التوفيق من الله وقويت همته وبلغ
سعيه عنايته فيعمل بمقتضاه ثم يفوز بمبتغاه ومن كان دون ذلك
يعمل ببعضه بقدر وسعه وعلى حسب ميسوره وهكذا الى ان ينتفع
به بشيء يسير ويوزن بسنبلة من بذر كبير واما امثال الناس الذين
يقولون ما لا يفعلون ويمنون انفسهم اذا كانوا بالبر يامرون ففايدته
في حقهم زيادة بصيرتهم في تقصيرهم وقصورهم حتى بصيرة لك
سببا لمقتهم انفسهم وذلتهم وانكسارهم واطلاعهم على بواطن عيوبهم
وفضايح عيوبهم وانزجارهم فان الايمان يقتضي ان لا يرضى العبد المؤمن
لنفسه ما لا يرضى به مولاه فاذا لم يرض به يكون لا محالة دايم الحزن والندم
كثير الغم والالم فاذا كان كذلك يرجى له ان يتداركه الله بالرحمة والمغفرة
فان الله غفور رحيم وقد ورد ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال
منه خائفا ماقتا لنفسه فيرحمه الله فيدخل الجنة وما خرج عبد من ذنب
الا بالاقرار والاعتراف بالذنب كفارة له ومن اذنب ذنبا فعلم ان
الله مطلع عليه ان شاء عذبه وان شاء غفر له غفر الله له وان لم يستغفر

يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ونحن
لنا
نستغفر الله من كل ما زل به القدم او طغى به القلم ومن اقوا
لنا التي لا يوافقها اعمالنا ومما ادعيناه واظهرناه من العلم والبصيرة
ثم
بدين الله مع التقصير فيه ومن كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم
به
خالطه غيره ومن كل وعد وعدنا به من انفسنا ثم قصرنا في الوفاء
ومن كل نعمة انعم الله بها علينا فاستعملناها في معصيته ومن كل
كل
تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به ومن
كلام
خطرة دعتنا الى تصنع وتكلف تزينا للناس في كتاب سطرناه او
من
نظمناه او علم افدناه او استفدناه ثم نرجو اليه بعد الاستغفار
علينا
جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا او كتبه او سمعه ان يتفضل
بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات فانه كريم عميم الرحمة
وصلة
واسع الجود على اصناف الخلائق فما من خلق من خلق الله الا
ل
لنا اليه الافضال والكرم فقد قال رسول الله صلعم ان لله تعالى مائة رحمة انزل
طفرة
منها رحمة واحدة بين الجن والانس والطير والبهائم والهوام فبها يتعا
القيمة
وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم الله بها عباده يوم

الهي

خلفت
الهي درست الآمال وتغيرت الاحوال وكذبت الالسن و
العدات الا عدتك فانك وعدت مغفرة وفضلا اللهم صل
الرجيم
على محمد وال محمد واعطني من فضلك واعذني من الشيطان
تمرد
سبحانك وبحمدك ما اعظمك واحلمك واكرمك وسع حلمك
من
المتكبرين واستغرقت نعمتك شكر الشاكرين وعظم حلمك
فضلك
احصاء المحصين وجل طولك عن وصف الواصفين كيف لولا
حلمت عمن خلقته من نطفة ولم يك شيئا فربيته بطيب رزقك
وانشأته في نوافر نعمتك ومكنته في مهاد ارضك ودعوته
الى طاعتك فاستنجد على عصيانك باحسانك وعبد غيرك
اكرمتني
في سلطانك كيف لولا حلمك امهلتني وقد شملني لسترك و
و
بمعرفتك واطلقت لساني بشكرك وهديتني السبل الى طاعتك
سهلتني المسلك الى كرامتك واحضرتني سبيل قربتك فكان جزاؤك
منتقلا
مني ان كافأتك عن الاحسان بالاساءة حريصا على ما اسخطك
فيما استحق به المزيد من نقمتك سريعا الى ما ابعد من رضاك مغتبطا
بغرة الامل معرضا عن زواجر الاجل ثم يقنعني حلمك عني وقد اتاني

توعدك بأخذ القوة مني حتى دعوتك على عظيم الخطيئة استزيدك في
نعمك غير متناه بما أنذا شرفت عليه من نعمك مستبطئا لمزيدك
ومتسخطا لميسور رزقك مقتضيا جوائزك بعمل الفجار كالمراصد
رحمتك بعمل الأبرار ومجتهدا أتمنى عليك العظائم كالمدل الآمن
من قصاص الجرائم فإنا لله وإنا إليه راجعون مصيبة عظم رزؤها
وجل عقابها بل كيف أو لا أملي ووعدك الصفح عن ذنبي أرجو إقالتك
وقد جاهرتك بالكبائر مستخفيا عن أصاغر خلقك فلا أنا راقبتك
وأنت معي ولا أنا راعيت حرمة سترك علي بأي وجه ألقاك وبأي لسان
أناجيك وقد نقضت العهود والأيمان بعد توكيدها وقد جعلتك علي
كفيلا ثم دعوتك مقتحما في الخطيئة فأجبتني ودعوتني إليك فقري
فلم أجب فواسوأتاه وقبح صنيعاه أية جرأة تجرأت وأي تغرير
غررت نفسي سبحانك فبك أتقرب إليك وبحقك أقسم عليك ومنك
أهرب إليك بنفسي استخففت عند معصيتي لا بنفسك وبجهلي اغتررت
لا بحلمك وحقي أضعت لا عظيم حقك ونفسي ظلمت ولرحمتك رجوت
وبك آمنت وإليك أنبت وتضرعت فارحم إليك فقري وفاقتي

كبوتي

كبوتي لحر وجهي وحيرتي في سوءة ذنوبي يا مالك أرحم الراحمين وتم
الكلام حامدا لله ومصليا على نبيه وأهل بيت نبيه
عليه وعليهم السلام والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا تم الكتاب بعون الله
الوهاب في يوم الثلثاء آخر شهر شعبان المعظم بيد العبد الأقل ابن رحيم
محمد حسين أبو القاسم الشهير بلاميرزا في سنة سبع وسبعين ومائة بعد الألف
في شعبة الأصحاب هكذا في الفهرست



